

مجالس في أدب العرب

ألقاها

محمد بن سعيد ابن طوق المري

الإبرازة الثانية

مجالس في أدب العرب

ألقاها:

محمد بن سعيد ابن طوق المري

الإبارة الثانية

١٤٤٧



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَجَالِسُ فِي أَدَبِ الْعَرَبِ

الحمد لله مُؤلي الإحسان، معلّم البيان، والصلاة والسلام على نبينا المبعوث بأفصح لسان، وعلى الآل والأصحاب والإخوان، صلاةً وسلاماً يُجدّدهما الجديدان، ويُمليهما الملوّان، ما سبّحت الوُزُق على الأفنان، وعنّت الوجوه للملك الديّان.

أما بعد فإن أصل ما في هذه الأوراق مدارس مع بعض الإخوان، طواها ثوب النسيان، فدخلت في خبر كان، وتبدّلت حركاتها بالإسكان، حتى هيأ الله لها بحسن تدبيره الشيخ عثمان بن إبراهيم المديفر زاده الله من العلم والإيمان، وجعله مباركاً أينما كان، ففرّغها واعتنى بها وزاد فيها ونقص وهذب ورتّب وقد أحسن في كل ما فعل، فصارت نسبتها إليه حقيقة، وإلى ملقيها مجازاً باعتبار ما كان.

ثم تولّيت مراجعة هذا التفريغ فزدت في تضاعيفه بعض الأخبار، وأعدت صياغة بعضها. ومن المهم التنبيه على أن الغالب في الدروس المفرّغة أن يكون الكلام فيها ابنَ يومه وليلته، بل قد يكون ابنَ ساعته ولحظته، فليست كالتصانيف التي يكون الكلام فيها ابنَ شهره وسنته، يبدئ فيه كاتبه ويعيد، ويتأثّق في ترصيفه وتنضيده كما يريد، وقد جعل الله لكلّ شيء قدراً.

وكان من غرض هذه المجالس أن يُعرّض شيء من روائع الأدب وجواهره ومُلَحِّه، وأن نتعرف على بعض أعلام الشعر وشيء من مُتَخَيَّرِ أشعارهم منذ أن كان الشعر إلى يوم

الناس هذا، وألا نشتغل عن الأدب بما قيل عنه، بل نعيش مع طريف حكاياتهم، وسرعة بديهتهم، وحلو نادرهم، وارتجازهم على نوقهم، ومفاخراتهم في مجالسهم، وإنشادهم في أنديتهم، ونرى كيف يحمل الأدب على الاتصاف بالكمالات، ويزيد في العقل، ويرفع الوضع، ويضع الرفيع، وينزع الأحقاد، ويشير العداوات، ويكسب سرعة البديهة، ويثمر سلامة اللسان، ويذب عن الأحساب، ويخلد المفاخر، ويمضي الشفاعات، ويستنجز الصلات، نرى كل ذلك وغيره من خلال قصصهم وأخبارهم وأشعارهم ذلك أدنى أن تستحكم محبة الأدب في النفوس، وأن تهوي إليه الأفتدة، فيرتع طالبه في رياضه، ويكرع من حياضه، ولا يزال كذلك حتى ينقاد منه الطبع، وتنهض الملكة، ويرى جمال اللسان، ويرتاض على البيان، ويجري قلمه على السداد، وتمدد القريحة بالأمداد.

وأول خطوة إلى ذلك إحياء حب الأدب في القلوب بأن تعرض روائعه وجواهره في المعرض الحسن، وكل محاولة لصناعة أديب دونها يخشى ألا تؤتي أكلها.

وستنتهي بك هذه الأوراق إلى خروج من جد الكلام إلى ظرفه، ومن حزنه إلى سهله، بما ستره من نسيب الشعراء، ونوادر الحمقى والمغفلين، وأخبار المزاح وما ورد عن الأشراف والأئمة من ذلك، وهذه جادة في الأدب سلكها السالكون، وأخذ فيها القائلون، "ولو وقع فيه توقي المتزمتين لذهب شطر بهائه، وشرط مائه، ولأعرض عنه من أحببنا أن يقبل إليه معك"^(١)، فأرسل نفسك على سجيّتها، ولتعرف المذهب في ذلك، فإن الله - تعالى - يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه.

ولا يفوتني هنا أن أزجي شكري المشفوع بالدعاء للشيخين الكريمين أبي الحسن العامري وعبد الباري العلمي اللذين كانا سبباً في إبراز هذه الأوراق بحسن الدلالة والمشورة والنصح.

(١) قاله ابن قتيبة في مقدمة عيون الأخبار.

ولما كَلَّ اللّسان عن بلوغ ما استحقّ من الشكر، كان أعظم الحيل عندي أن أمحضهما
صدق المصافاة، ومكنون الودّ، وأنا أكِل مكافأتهما إلى الكريم - سبحانه - فجزاهما الله
خير الجزاء وأوفره، وأحسن إليهما في الدنيا والآخرة.
هذا والله المرجو أن يتقبّل العمل، ويغفر الزلل.

وكتبه

محمد بن سعيد ابن طوق المري
يوم الأحد الثاني من شهر ربيع الآخر
سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة وألف
بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم

مجالس في أدب العرب

القسم الأول

فضل الأدب ودواعي العناية به

وفيه ستة مجالس

المجلد الأول

في هذا المجلس:

- الشعر ديوان العرب.
- حاجة طالب العلم إلى أن يُرطب مشاعره بنفحات الأدب؛ ليعذب قوله ويجمّل تقريره للعلم.

• المقصود من هذه المجالس أمران:

الأول: أن نعرف منزلة الأدب وأهميته.

والثاني: أن تُعرض نواذره وروائعه وجواهره؛ فإنها إذا عُرضت في المعرض الحسن أوشكت أن تنجذب إليها القلوب وأن تهوي إليها الأفئدة.

• الطريق إلى تحقيق هذا المقصود ثلاثة أشياء هي محاور هذه المجالس:

الأول: لماذا الدعوة إلى الأدب؟ **والثاني:** شعر العلماء، **والثالث:** عصور الأدب.

• دورة حياة كلمة الأدب.

• لماذا الدعوة إلى علم الأدب؟

أولاً: الإسلام حث عليه، وما ورد في ذلك من الأحاديث والآثار عن السلف.

ثانياً: يعين على فهم القرآن وشواهد ذلك.

* كان ابن عباس يُسأل عن الآية فينشد في معناها الشعر.

ثالثاً: اللغة والأدب عنوان الهوية.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

[الرجز]

وَكَمْ أَنَالَ مِنْ أَرْبٍ	فَالشَّعْرُ دِيَوَانُ الْعَرَبِ
إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ	فَانْسِلْ إِذَا رُمْتَ الْأَدَبِ
تَكْسُو الْأَدِيبَ الْعَارِي	رَوَايَةُ الْأَشْهَارِ
وَتُكْرِمُ الشَّافِعِيَا	وَتَرْفَعُ الْوَضِيعَا
وَتُضْلِحُ الْمَعَايِبَا	وَتُنَجِّحُ الْمَارِبَا
وَتُذْهِبُ الْأَخْزَانَا	وَتُطْرِبُ الْإِخْوَانَا
وَتُؤْنِسُ الْمُشْتَاقَا	وَتُنْعِشُ الْعُشَّاقَا
وَتُثَبِّتُ الْوِدَادَا	وَتَنْسَخُ الْأَحْقَادَا
وَتُعْطِفُ الْغُضْبَانَا	وَتُقَدِّمُ الْجَبَانَا
وَاحْفَظْهُ حِفْظًا جَمًّا	فَقَدْ لَمْ لَهُ مُهْتَمَّا
مُسْتَمِعًا وَأَعْجَبَا	وَخَيْرُهُ مَا أَطْرَبَا

حَرِيٌّ بِحَمَلَةِ الْعِلْمِ وَشِدَاةِ الْمَعْرِفَةِ أَنْ يُرْطَبُوا مَشَاعِرَهُمْ بِهَذِهِ النِّفَحَاتِ الْأَدَبِيَّةِ؛ حَتَّى يَعْذِبَ قَوْلُهُمْ، وَتَجْمَلَ عِبَارَاتُهُمْ، وَيَحْلُوَ تَقْرِيرُهُمْ لِحَقَائِقِ الْعِلْمِ فَتَقَعِ مِنَ الْقُلُوبِ مَوْجُ الْقَطْرِ مِنَ الْأَرْضِ الْعَطْشَى، وَالْعَذَبِ الْفِرَاتِ مِنَ الْكَبْدِ الْحَرِيِّ، كَمَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَالشَّعْبِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يَذُوبُ كَلَامُهُمْ رِقَّةً وَحَلَاوَةً، وَبَهْجَةً وَطَلَاوَةً، وَقَدْ قَالَ ابْنُ السَّيِّدِ الْبَطْلِيُّوسِي: الطَّرِيقَةُ الْفَقْهِيَّةُ مُفْتَقِرَةٌ إِلَى عِلْمِ الْأَدَبِ، مُؤَسَّسَةٌ عَلَى أَصُولِ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَإِنَّمَا مَثَلُهَا وَمَثَلُهُ قَوْلُ أَبِي الْأَسْوَدِ: [الطويل]

فَالَا يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهَ فَإِنَّهُ أَخُوها غَذَتْهُ أُمُّهُ بِلَبَانِهَا

وهذه مجالس في الأدب المقصود منها أمران:

الأول: أن نعرف فضل الأدب، ومنزلته وأهميته، وتأثيره على النفوس.

الثاني: أن يُعَرِّضَ شيءٌ من نَوَادِرِهِ وروائعه وجواهره؛ فإنها إذا عُرِضَتْ في المَعْرِضِ الحسن أوشكت أن تنجذب إليها القلوب، وأن تهوي إليها الأفتدة.

ولا نريد أن نشتغل عن الأدب بما قيل في الأدب، بل نريد أن نعيش مع الأعراب وهم ينشدون الشعر على نُوقِهِمْ، ومع الشعراء في مُفَاخَرَاتِهِمْ في مجالس الخلفاء، نريد أن نعيش معهم في أخبارهم وأشعارهم، في سرعة بديهِتِهِمْ، وحُلُوِّ نَادِرَتِهِمْ، وطريف حكاياتهم.

والطريق إلى تحقيق هذا المقصود ثلاثة أشياء، هي محاور هذه المجالس:

الأول: لماذا الدعوة إلى علم الأدب؟

الثاني: شعر العلماء وأدب الفقهاء.

الثالث: عصور الأدب.

ويَحْسُنُ قبل البدء أن نعرف دَوْرَةَ حياة كلمة الأدب.

الأدب في الأصل: الدعوة إلى الطعام، يقال: أَدَبَ القومَ يَأْدِبُهُمْ أَدْبًا وَأَدْبًا؛ إذا دعاهم إلى الطعام، ومنه المأدبة -بضم الدال وتفتح وحكي فيها الكسر فهي مثلثة- للطعام الذي يصنعه الرجل ويدعو إليه الناس، قال طرفة:

[الرملة]

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفَلَى لَا تَرَى الْآدِبَ مِنْهَا يَنْتَقِرُ

والمشتاة: الشتاء وهو وقت مَخْمَصَة وشدة وجوع.

ودعوة الجَفَلَى هي الدعوة العامة.

والآدِب: الداعي.

ويُنْتَقَر: يخصُّ بالدعوة.

فالدعوة نوعان: الجَفَلَى والنَّقَرَى.

والإطعام مرتبط بخَصْلَة عظيمة هي الكرم، وقد كان الكرم من أشرف خلال العرب، لولا الكرم ما وجد المسافر من يسقيه في سفره وقطعه الفلوات، لذا أُطْلِقَ بعد ذلك الأدب على كرم الأخلاق وتهذيب الطُّباع، ومن هذا المعنى: ما يُروى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «أَدَّبَنِي ربي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي» وهذا الأثر وإن لا يعرف له إسناد ثابت كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية وأيده السخاوي والسيوطي إلا أن معناه صحيح، وقالت امرأةٌ عجوز كان ولدها يضربها، فإذا سُئِلَ عن ذلك قال: أريد أن أُؤدَّبَها قالت: [البسيط]

أَمْسَى يُمَزَّقُ أَثَوَابِي وَيَضْرِبُنِي أَبْعَدَ سِتِّينَ يَبْغِي عِنْدِي الْأَدْبَا؟

وقد قال ابن فارس في هذه الكلمة -الأدب-: إنها ترجع إلى الاجتماع.

وهذا أصل صحيح؛ فالأدب الدعوة إلى الطعام، والناس يجتمعون على الطعام،

ويجتمعون أيضًا على استحسان الكرم والأخلاق المُهَذَّبة.

وفي الدولة الأموية كان الملوك يَتَّخِذُونَ الْمُؤَدِّبِينَ لأولادهم، فكان معلم أولاد الخلفاء يسمى مُؤَدِّبًا، وكان المؤدِّبون يلقنون أولاد الخلفاء الأشعار والخطب وأخبار العرب وأنسابهم وأيامهم فأُطْلِقَ الأدب على كل ذلك وصارت كل العلوم داخلة في حدِّ الأدب.

قال ابنُ خَلْدُون: "هذا العلم -يعني الأدب- لا موضوع له يُنْظَرُ في إثبات عَوَارِضِهِ أو نَفْيِهَا، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجادة في فَنِّي المنظوم

والمنثور، على أساليب العرب ومناحيهم، فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به المَلَكَة: من شعرٍ عالي الطبقة، وسجعٍ مُتَساوٍ في الإجابة، ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة، يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية، مع ذكر بعض من أيام العرب؛ يفهم به ما يقع في أشعارهم منها، وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة. والمقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شيءٌ من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفحه؛ لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه، فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه. ثم إنهم إذا أرادوا حَدَّ هذا الفن، قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها، والأخذ من كل علم بطرف".

ثم لما تكاثرت العلوم اختص لفظ الأدب بعلوم العربية ثم دارت الكلمة دورتها الأخيرة فصار الأدب قِسِمًا للنحو والصرف والبلاغة، وصَار يُطَلَق على: الكلام البليغ من الشعر والنثر، فكل ما يعينك على أن تعبر عما في نفسك تعبيرًا جميلًا مؤثرًا فهو الأدب الذي نريده.

ما دواعي العناية بالأدب؟

١- أن الإسلام رفع الأدب

قال -صلى الله عليه وسلم- كما في البخاري: «إن من الشعر حكمة».

وقال -صلى الله عليه وسلم- كما في الصحيحين: «أصدقُ كلمة قالها شاعر قولٌ لبيد:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَّا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ».

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «اهجوا قريشًا؛ فإنه أشد عليها من رَشَقٍ بالنبل» أخرجه

مسلم.

وكان -صلى الله عليه وسلم- كما في مسند الإمام أحمد إذا استراث الخبر تَمَثَّل فيه

بيت طرفة:

وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ.

وفي صحيح مسلم من حديث الشَّريد بن سُويد - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له «هل معك من شعر أُمِّيَّة بن أبي الصَّلْت شيء؟» قال: قلت: نعم. قال: «هيه» فأنشدته بيتاً. فقال: «هيه» ثم أنشدته بيتاً. فقال «هيه» حتى أنشدته مئة بيت.

وعن جابر بن سَمُرَةَ - رضي الله عنهما - أنه قال: جالست النبي - صلى الله عليه وسلم - أكثر من مئة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر، ويتذكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت، فربما يتبسم معهم. أخرجه الترمذي وصححه الألباني.

وثبت عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يضع لحسان - رضي الله عنه - منبراً في المسجد فيقوم عليه يهجو من قال في رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إن روح القدس مع حسان ما نافح عن رسول الله». أخرجه أبو داود وحسنه الألباني.

قال صاحب الشمقمقية: [الرجز]

وَقَدْ بَنَى الْمِنْبَرَ لِابْنِ ثَابِتٍ فَكَانَ لِلْإِنشَادِ فِيهِ يَرْتَقِي

- وقد قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: مُرْ مَنْ قَبْلَكَ بتعلم الشعر؛ فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب.

- وقال ابن عباس - رضي الله عنه -: الشعر ديوان العرب.

- ونقل محمد بن سَلَام الجُمَحِي عن بعض أشياخه أنه قال: كان عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر.

- وقال المُفَضَّل -رحمه الله-: لم يبق أحد من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا وقد قال الشعر وتَمَثَّلَ به.

- بل قال عبدالله بن عُبيد بن عُمير اللَّيْثي: كان الرجال من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- يتناشدان الشعر وهما يطوفان حول البيت.

- وجاء عن زيد بن ثابت -رضي الله عنه- : أنه روى من شعر كعب بن مالك تسعين قصيدة.

- وكانت عائشة -رضي الله عنها- تحفظ من شعر لبيد بن ربيعة العامري -رضي الله عنه- وحده اثني عشر ألف بيت [الرجز]

رَوَتْ لَهُ مِنَ الْأُلُوفِ اثْنِي عَشَرَ عَائِشَةُ وَكُلُّ شَعْرِهِ دُرُّ

- وعن أبي خالد الوَالِبي أنه قال: كنت أجلس مع أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلعلهم لا يذكرون إلا الشعر حتى يتفرقوا.

- وعن الشَّعْبِي أنه قال: كان أبو بكر شاعرًا وكان عمر شاعرًا وكان علي أشعر الثلاثة -رضي الله عنهم-.

- وقال عكرمة: كنت أسير مع ابن عباس -رضي الله عنهما- ونحن منطلقون إلى عرفات، فكنت أنشده الشعر ويفتحه علي.

- وعن كَثِير بن أَفْلَح أنه قال: كان آخر مجلس جلسنا فيه مع زيد بن ثابت -رضي الله عنه- مجلسًا تناشدنا فيه الشعر.

- وعن الحكم أن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنشد شعرًا في المسجد والمؤذن يقيم.

- وعن عكرمة قال: كان ابن عباس -رضي الله عنهما- إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد شعراً من أشعارهم.

وهذه الآثار كثير منها في مصنف ابن أبي شيبة في باب الرخصة في الشعر.

- وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: لم يكن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مُتَحَرِّقِينَ وَلَا مُتَمَاقِطِينَ، وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم، ويذكرون أمر جاهليتهم، فإذا أريد أحد منهم على شيء من أمر الله دارت حَمَالِقُ عَيْنِهِ كأنه مجنون. أخرجه البخاري في الأدب المفرد وحسنه الألباني.

متحرقين: أي متقبضين

والحماليق: جمع حِمْلَاق، وحِمْلَاق العين باطن أجفانها الذي يُسَوِّدُه الكحل، وهو كناية عن فتح العينين والنظر الشديد.

- وعن مطرف أنه قال: صحبت عمران بن حصين -رضي الله عنهما- من الكوفة إلى البصرة فقلَّ منزل ينزله إلا وهو ينشدني شعراً. أخرجه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني.

فالتزهيد في الشعر والتهوين من شأنه انحراف عن منهج السداد.

- قيل لسعيد بن المُسَيَّب: إن قومًا بالعراق يَعِيبُونَ إنشاد الشعر. فقال: نسكوا نُسْكَاءً أعجمياً.

- وسئل ابن سيرين وهو في المسجد عن رواية الشعر في شهر رمضان، وأن قومًا قالوا: إنه ينقض الوضوء، فقال: [البسيط]

نُبِّئْتُ أَنَّ فَتَاهَ كُنْتُ أَخْطُبُهَا عَرُوقُوبَهَا مِثْلَ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي الطُّولِ

ثم قام فَأَمَّ النَّاسَ.

- وسئل ابن عباس - رضي الله عنهما - وهو محرم: هل الشعر من رَفَث القول؟

فأنشد:

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَاهُمِيسَا إِنَّ تَصْدُقِ الطَّيْرُ ...

إلى آخر البيت وقال: إنما الرفث عند النساء، ثم أحرم للصلاة.

فإن قال قائل: إن الله - عز وجل - ذم الشعراء فقال: {وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} ٢٣ أَلَمْ تَرَ

أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ} ٢٤ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ} ٢٥ فما الجواب؟

الجواب: أن من يقرأ هذه الآيات وينقطع نفسه هنا هو مثل الذي يقرأ {قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ}

ويقف! أين الاستثناء الذي يرفع اللائمة عن المؤمنين {إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا}.

- وإن قال قائل: فقد قال - صلى الله عليه وسلم - كما في الصحيحين: «لأن يمتلي جَوْف

أحدكم قِيحًا يَرِيهِ - أي يفسده - خير له من أن يمتلي شعرًا» فما الجواب؟

الجواب: المذموم أن يكون الشعر مستوليًا على القلب، بحيث يشغله عن القرآن

والحديث، وإلا فكيف نُوفِّق بين هذا الحديث وبين الأدلة المتكاثرة التي فيها حث

الإسلام على الشعر، تجد هذا الجواب في شرح الحافظ ابن حجر على البخاري، وشرح

النووي على مسلم.

وإن قال قائل: إن الله - تعالى - نَزَّ نَبِيَّهٗ - صلى الله عليه وسلم - عن قول الشعر فقال -

تعالى -: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ} وما ذاك إلا لنقص الشعر فما الجواب؟

الجواب: أن الله -تعالى- نفى الشاعرية عن النبي -صلى الله عليه وسلم- لئلا تدخل الشبهة على من أُرسل إليه -كما قال القرطبي في تفسيره- فَيُظَنُّ أنه قَوِيَ على القرآن بما في طبعه من القوة على الشعر، كما نفى الله -تعالى- عن نبيه -صلى الله عليه وسلم- القراءة والكتابة فقال تعالى: {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ} وذلك ليكون أبلغ في قطع حجة المبطلين وأدل على أن هذا القرآن من عند الله فإنه لو جاء ممن يقرأ أو يكتب لارتاب المبطلون ولقالوا: لعله تعلمه أو كتبه بيده.

قال في الشمقمقية: [الرجز]

مَا هُوَ إِلَّا كَالْكِتَابَةِ وَمَا
وَأَنَّمَا نُزِّهَ عَنْهُمَا النَّبِيُّ
فَضْلُهُمَا إِلَّا كَشَمْسِ الْأَفْقِ
لِيُذْرَكَ الْإِعْجَازُ بِالتَّحْقِيقِ

٢- أنه يعين على فهم القرآن.

سأل عمر -رضي الله عنه- أصحابه وهو على المنبر عن قوله تعالى: {أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ} ما التَّخَوُّفُ؟ فقال رجل من هذيل: التَّخَوُّفُ: التَّنْقِصُ. قال: أو تعرف ذلك العرب؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ
تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا: تَنَقَّصَ الرَّحْلُ مِنَ النَّاقَةِ، وَالرَّحْلُ مَرْكَبٌ لِلْبَعِيرِ وَالنَّاقَةِ.
تَامِكًا: سَنَامًا مَرْتَفِعًا.

قَرْدًا: قَدْ تَرَكَ لِحْمَهُ مِنَ السَّمَنِ أَوْ كَثُرَ عَلَيْهِ الْقَرَادُ.

كَمَا تَخَوَّفَ: كَمَا تَنَقَّصَ.

عود النبعة: شجرٌ تَتَّخِذُ منه القِسيّ.

والسَّقْنُ: المِبْرَدُ.

والمعنى أن الرجل تَنَقَّصَ سنامَها المُرتَفَع كما تَنَقَّصَ المِبْرَدُ عُوْدَ النَّبْعَةِ.

فقال عمر -رضي الله عنه-: عليكم بديوانكم لا تضلّوا. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم.

- وقد صح عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: أنه كان يُسأل عن الآية فينشد في معناها الشعر. وقال: إذا قرأتُم شيئاً من كلام الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب.

- ومما يشهد لهذا خبرُ مسائلِ نافع بن الأزرق، فإنه يَبَيِّنُ ابن عباس -رضي الله عنهما- جالسٌ بفناء الكعبة، قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، قال نافع بن الأزرق لصاحبه نَجْدَةَ الحَرُورِي -وهما من كبار الخوارج-: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به! فقاما إليه فقالا له: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فُتُسِّرَها لنا وتأتينا بما صدَّقه من كلام العرب، فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما. فسألاه مسائل، فكان كلما أجاب ابن عباس -رضي الله عنهما- سأله نافع: وهل تعرف ذلك العرب؟ فيخبره ابن عباس -رضي الله عنهما- بما يشهد لذلك من كلام العرب، من ذلك أنه قال له: أخبرني عن قوله تعالى: **{وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ}** قال: الوسيلة الحاجة. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول عنترَةَ: [الكامل]

إِنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ أَنْ يَأْخُذُوكَ تَكْحَلِي وَتَخْضَبِي
قال: أخبرني عن قوله تعالى: **{فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا}** قال: النقع ما يسطع من حوافر الخيل.
قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول حسان: [الوافر]

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِن لَّمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ
قال: أخبرني عن قوله تعالى: {وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى} قال: لا تعرق فيها من
شدة حر الشمس. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصِرُ
في مسائل كثيرة ذكرها السيوطي في الإتيان.
فالأدب يعين على فهم القرآن.

٣- أن الأدب واللغة عنوان الهوية:

- كتب كاتب فرنسي قصة عنوانها: الدرس الأخير، حاصلها أن صبيًا قال: غدوت إلى
المدرسة صبيحة يوم من الأيام الأخيرة من العام ولمّا أحفظ درسي، فخشيت أن يقرّعني
أستاذي ويعاقبني فأخذت طريق الحقول علّي أقطع النهار في اللعب واللهو، ثم بدا لي
فعدت عن هذه الفكرة وذهبت إلى المدرسة قلق الذهن مشغول البال، فما لفت نظري إلّا
إسراع الناس مصفرة ألوانهم، عليهم أمارات الخوف والألم، إلى حيث لا أعلم. فتبعتهم
حتى وصلوا إلى دار الحاكم، ثم لم أدر ماذا كان بعد ذلك لأنّي أسرعت إلى المدرسة،
فذهبت سعيًا إلى غرفة الدرس فوجدت الأستاذ يروح ويحيى فيها قلقًا، قد ارتدى حلته
الرسمية التي ما كان يلبسها إلّا في يوم احتفاء أو عند قدوم مفتش. ورأيت بعضًا من أهالي
القرية قد جلسوا على المقاعد واجمين شاخصة أبصارهم بوجوه كئيبة مكفهرة، فانسللت
إلى مكاني وأنا أشدّ ما أكون حيرةً ووجلًا.

وعلا الأستاذ المنبرَ فقال بصوت مرتجف ورنة حزينة كأنها بكاء ونحيب: أولادي، هذه آخر ساعة أراكم فيها ثم نفترق إلى غير تلاق، لأن بلادكم قد احتلها الألمان واستبدلوا لغتهم الجرمانية بلغتكم الفرنسية، فلا فرنسية بعد اليوم.

وخنقته العبرات فما استطاع أن يُتمّ كلامه، فعلمت لِمَ كان الناس يسرعون إلى دار الحاكم، ثم عاد الأستاذ فقال: والآن أصغوا إليّ لأتلو عليكم «الدرس الأخير». قم يا ...

فلم أسمع اسمي حتى ارتجفت وقمت، ولم أكن حفظت درسي فوقفت ساكنًا، فقال: اجلس يا بني، اجلس، فأنا لن أعاقبك ولن ألومك فقد فات أوان اللوم والعقاب، ولكن اعلّموا يا أولادي أنكم أضعتم بلادكم وسلمتموها إلى عدوكم بإهمالكم لغتكم.

فاللغة والأدب عنوان الهوية وليس يبعد ما فعلته اليهود، فقد بعثت اللغة العبرية من قبرها من أجل أن تكون عنصر تفاهم مشترك بين هؤلاء الذي جاؤوا من ثقافات مختلفة، فهم يعرفون أن اللغة الموحدة جديرة بأن تصهر هذا الكيان وأن تجعله شيئًا واحدًا، وأيضًا فرنسا كانت ترى أن العمل الجبار الذي عليها إنجازه فيما احتلته من البلاد نشر لغتها حتى تقوم مقام لغة أهل البلد، قال نابليون: علموا اللغة الفرنسية ففي تعليمها خدمة الوطن الحقيقية.

وهكذا كانت تفعل دول الاحتلال في البلاد التي احتلتها.

المجلس الثاني

في هذا المجلس:

رابعًا: الأدب يحمل على الاتصاف بالكمالات:

- خبرُ معاوية - رضي الله عنه - ليلة الهَرِيرِ وأبيات عمرو بن الإطنابة.

- خبرُ المأمون وامتناعه من مصارعة أخيه لأبياتٍ لعبد الملك بن مروان.

وَلَوْ لَا خِلَالُ سَنَنِهَا الشُّعْرُ مَا دَرَى بُغَاةَ الْعُلَى مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى الْمَكَارِمُ

خامسًا: الأدب يزيد في العقل:

- خبر الزُّبَيْرِ قَان بن بدر وعَمْرِو بن الأَهْتَم - رضي الله عنهما - في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم.

- خبرُ خالد القَسْرِي وذمُّه الحجاج بن يوسف الثقفي، وإظهاره البراءة منه في خطبة

الجمعة بمكة، وقد مدحه في خطبة الجمعة التي قبلها.

- خبرُ غَيْلَانَ بن خَرْشَةَ وتقييحه لنهر أم عامر مع زياد، بعد تحسينه له مع عبد الله بن عامر.

- خبر الحجاج وكتابه إلى عبد الملك بن مروان الذي فيه: إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثْلُكَ كَمَثَلِ ابْنِي آدَمَ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا...

- خبر الحارث بن هشام وتحسينه فراره يوم بدر.

- ابن دَقِيق العِيد: تَمَنَيْتُ أَنَّ الشَّيْبَ عَاجِلٌ لِمَتِّي!

ومنه حُسْنُ التَّعْلِيل:

• خبر المَازَرِي والشُّعَاعِ المُنْعَكِس.

• خبر ابنِ عُنَيْنٍ مع الفخر الرازي والحمامة التي ألقت نفسها على الرازي.

فِي زُخْرُفِ الْقَوْلِ تَزْيِينٌ لِّبَاطِلِهِ وَالْحَقُّ قَدْ يَغْتَرِيهِ سُوءُ تَغْيِيرِ

سادسًا: الأدب يرفع الوضيع:

- خبر بني أنفِ الناقة.
- خبر هَرَمِ بنِ سَنان مع زُهَير بن أبي سُلَيمى.
- خبر المُحَلَّق الكِلَابي مع الأعشى.
- خبر المَازِني مع الخليفة الواثق.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فقد سبق في المجلس الأول أن المقصود من هذه المجالس أمران:

الأول: أن نعرف فضل الأدب، ومنزلته وأهميته، وتأثيره على النفوس.

الثاني: أن يُعَرَّضَ شيءٌ من نَوَادِرِهِ وروائعه وجواهره؛ فإنها إذا عُرِضَتْ في المَعْرِضِ الحسن أوشكت أن تنجذب إليها القلوب، وأن تهوي إليها الأفتدة.

والطريق إلى تحقيق هذا المقصود ثلاثة أشياء:

الأول: لماذا الدعوة إلى علم الأدب؟

الثاني: شعر العلماء.

الثالث: عصور الأدب.

بدأنا بالأول وأخذنا ثلاثة من دواعي العناية بالأدب:

أولاً: أن الإسلام حث على الأدب.

ثانياً: أنه يُعين على فهم القرآن.

ثالثاً: أن الأدب عنوانُ الهوية وشعارُ كلِّ قوم.

ومن دواعي العناية بالأدب وأسباب الدعوة إليه:

٤ - أنه يحمل على الاتصاف بالكمالات.

وقد قال أبو بكر الصديق عليه السلام: عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ الشَّعْرَ؛ فَإِنَّهُ يُعَلِّمُهُمْ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ.
وكتب عمرُ إلى أبي موسى الأشعري: مُرْ مَنْ قَبْلَكَ بِتَعَلُّمِ الشَّعْرِ؛ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى
مَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَصَوَابِ الرَّأْيِ، وَمَعْرِفَةِ الْأَنْسَابِ.

وسياقي كثير من شواهدة في هذه المجالس، ولا بأس أن نذكر هنا شيئاً من شواهدة:
- من ذلك: أَنَّ معاوية عليه السلام قال: اجعلوا الشعر أكبرَ همِّكم، وأكثرَ دأْبِكُمْ؛ فلقد رأيتُني
ليلة الهَرِيرِ بصِفِّينَ -وصِفِّينَ وقعة كانت بين أهل الشام وأهل العراق- وقد أُتيتُ بفرس
أَغْرَ مُحَجَّلٍ بَعِيدِ البطنِ من الأرض، وأنا أريد الهربَ لِشِدَّةِ الْبُلُوْى، فما حَمَلَنِي عَلَى
الْإِقَامَةِ إِلَّا أَيْاتُ عَمْرِو بْنِ الْإِطْنَابَةِ:

[الوافر]

وَأَخَذِي الْحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرَّبِيحِ	أَبَتْ لِي هِمَّتِي وَأَبَى بَلَائِي
وَضَرَبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمُشِيحِ	وَأِقْحَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي
مَكَانِكَ تُحَمِّدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي	وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأْتُ وَجَاشْتُ
وَأَحْمِي بَعْدُ عَنْ عَرَضٍ صَحِيحِ	لِادْفَعِ عَنْ مَآثِرِ صَالِحَاتِ

- ومن شواهد ذلك: أَنَّ الرَّشِيدَ كَانَ قَدْ شَغَلَهُ أَمْرٌ وَلَدَيْهِ الْأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ؛ مَنْ الَّذِي يَعْهَدُ
إِلَيْهِ بِالْأَمْرِ مِنْهُمَا؟ فَأَحْضَرَهُمَا وَهُمَا صَبِيَّانِ، فَأَغْرَى بَيْنَهُمَا يَخْتَبِرُ حِلْمَهُمَا، فَأَسْرَعَ الْأَمِينُ
إِلَى الْمَأْمُونِ، وَكَانَ الْمَأْمُونُ أَحْلَمَهُمَا، ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَهُمَا أَنْ يَتَصَارَعَا فَوَثَبَ الْأَمِينُ وَسَكَنَ
الْمَأْمُونُ، فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: مَا لَكَ لَا تَقُومُ، أَخَفَّتَ ابْنُ الْهَاشِمِيَةِ؟ إِنَّهُ لَا يَدُّ. فَقَالَ الْمَأْمُونُ:
هُوَ عَلَى مَا ذَكَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنِّي لَمْ أَخْضَعْ؛ وَإِنَّمَا قَبِضَ يَدِي عَنْهُ الَّذِي قَبِضَ لِسَانِي.
فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: وَمَا الَّذِي قَبِضَ يَدَكَ وَلِسَانَكَ؟ فَقَالَ: قَوْلُ الْأُمِّوِيِّ لَبْنِيهِ: [الكامل]

انْفُوا الضَّغَائِنَ بَيْنَكُمْ وَتَوَاصَلُوا	بَيْنَ الْأَبَاعِدِ وَالْحُضُورِ الشُّهَدِ
حَتَّى تَلِينَ قُلُوبُكُمْ وَجُلُودُكُمْ	لِمَسْوَدٍ مِنْكُمْ وَغَيْرِ مَسْوَدٍ

إِنَّ الْقِدَاحَ إِذَا اجْتَمَعَ فَرَامَهَا بِالْكَسْرِ ذُو حَنْقٍ وَبَطْشٍ أَيْدٍ
عَزَّتْ فَلَمْ تُكْسَرْ وَإِنْ هِيَ بُدِّدَتْ فَالْوَهْنَ وَالتَّكْسِيرُ لِلْمُتَبَدِّدِ
وإلى هذا أشار في الشَّمَقَمَقِيَّةِ بقوله:

وَلَكَ فِي مَنْ كَانَ مِثْلَ الْأُمُويِّ يِ أَسْوَةً بِهَا اقْتَدَى كُلُّ تَقِيٍّ
مراده بالأُموي: عبدالملك بن مروان، وبمن كان مثله: المأمون.

ولما ورد على البخاري نَعِيُّ عبدالله بن عبدالرحمن الدَّارِمِي، طأطأ رأسه ثم رفعه ودموعه
تسيل على خَدَّيه، وقال:

إِنْ تَبَقَّ تُفْجَعُ بِالْأَجْبَةِ كُلُّهُمْ وَفَنَاءُ نَفْسِكَ لَا أَبَاكَ أَفْجَعُ
ما أوعظه من بيت! إذا مات فلان وفلان فما زلت تستطيع أن تعمل، لكن إذا فَنِيَتْ نفسك
فمَنْ يصلي لك، ومن يصوم لك! قال الشاعر:

وَنَفْسَكَ أَكْرِمْ عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ فَمَا لَكَ نَفْسٌ بَعْدَهَا تَسْتَعِيرُهَا
وَلَا تَقْرَبِ الْأَمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ حَلَاوُتُهُ تَفْنَى وَيَبْقَى مَرِيرُهَا
وما أصدق قول أبي تمام:

وَلَوْ لَا خِلَالُ سَنَنِهَا الشُّعْرُ مَا دَرَى بُغَاةُ الْعُلَى مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى الْمَكَارِمُ

ومن دواعي العناية بالأدب والسعي في تحصيله:

٥- أن الأدب يزيد في العقل ويحيي الفكر

ومما يبين هذا ما يسمى عند الأدباء بتحسين القبيح وتقييح الحسن.

- ومن شواهد ذلك: خبر الزُّبْرُقَان بن بدر مع عَمْرُو بن الْأَهْتَم عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وذلك أنهما جلسا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال الزُّبْرُقَان: يا رسول الله، أنا سيد بني تميم والمُطَاع فيهم والمُحَبَّب لديهم، أمنعهم من الظلم وأخذ لهم حقوقهم، وهذا -يعني عمرو بن الأَهِم- يعلم مني ذلك.

فقال عمرو بن الأَهِم: إنه لشديد العَارِضَة، مَانع لِجَانِبِهِ، مُطَاع في أَذْنِيهِ.

فقال الزُّبْرُقَان: والله لقد علم مني أكثر مما قال، وما منعه إلا الحسد!

فقال عمرو: أنا أحسدك! فوالله إنك للثيم الخال، حديث المال، أحمق الوالد، مُضَيِّع العشيرة. والله يا رسول الله، لقد صدقت في الأولى وما كذبت في الأخرى، ولكني رجل رضية فقلت أحسن ما علمت، وسَخِطْتُ فقلت أقبح ما علمت، ولقد صدقت في الأولى والآخرة جميعاً، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن من البيان لسحرا»، أخرجه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرک وقال ابن كثير في البداية والنهاية بعد أن ساق الخبر بإسناده: هذا إسناد غريب جداً.

والأصل أن لا يُحرَص على الحكم على الأخبار التي تذكر في الأدب، لكن هذا يتعلق بالصحابة، فلا يحسن أن يُمشَى.

وقد قال في الشَّمَقَمَقِيَّة مشيراً إلى هذه القصة:

[الرجز]

وَقَالَ لِابْنِ أَهْتَمٍ فِي مَدْحِهِ وَذَمِّهِ لِلزُّبْرُقَانِ الْأَسْمَقِ
مَقَالَةً خَتَمَهَا بِقَوْلِهِ: إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً تَقِي

- ومن شواهد هذا: خبر خالد القسري مع الحجاج، فإنه صعد المنبر مرة يوم الجمعة - وهو أمير مكة آنذاك - فذكر الحجاج وحمد طاعته وأثنى عليه خيرًا، فلما كان في الجمعة الثانية، ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك، يأمره فيه بشتم الحجاج، ونشر عيوبه، وإظهار البراءة منه. فكيف تخلص؟

صعد المنبر في الجمعة الثانية، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن إبليس كان ملكًا من الملائكة، وكان يُظهر من طاعة الله - تعالى - ما كانت الملائكة ترى له به فضلًا، وكان الله عليم من خبثه وغشه ما كان خفي عن الملائكة، فلما أراد الله فضيحته أمره بالسجود لآدم فظهر لهم ما كان يُخفيه عنهم فلعنوه، وإن الحجاج كان يُظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلًا، وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غشه وخبثه على ما خفي عنا، فلما أراد الله فضيحته أجرى ذلك على يدي أمير المؤمنين. وما نزل خالد القسري حتى ذم الحجاج وأظهر البراءة منه.

- ومن عجيب الأخبار في هذا: خبر غيلان بن خرشة الضبي مع عبد الله بن عامر، وكان مرَّ معه على نهر أم عبد الله الذي كان يشق البصرة، فقال عبد الله بن عامر: ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر! فقال غيلان: أجل والله أيها الأمير، يتعلم فيه العوم صبيانهم، ويكون لسقيهم ومسيل مياههم، ويأتيهم بميرتهم. ثم لما تغلب زياد بن أبيه - وكان عدوًّا لعبد الله بن عامر - مرَّ غيلان بن خرشة مع زياد بن أبيه على هذا النهر، فقال زياد: ما أضرب هذا النهر لأهل هذا المصر! فقال غيلان: أجل والله، تندى منه دورهم، ويعرق فيه صبيانهم، ويكثر بسببه ذبابهم.

- ومن شواهد: أن عبد الملك بن مروان بنى بابًا من أبواب المسجد الأقصى، وبنى الحجاج بابًا إلى جانبه، فجاءت صاعقة فأحرقت الباب الذي بناه عبد الملك، فعظم ذلك

على عبدالملك وشقَّ عليه فكتب إليه الحجاج: إلى عبدالملك بن مروان أمير المؤمنين،
 إنما مثلي ومثلك كمثلي ابني آدم إذ قرَّباً قرباناً فتقبَّل من أحدهما ولم يتقبَّل من الآخر -
 لأنه كانت علامة قبول القُربان: أن تنزل صاعقة من السماء على القربان المُتقبَّل - فسُرِّي
 عن عبدالملك.

- ومن شواهد: أن الحارث بن هشام فرَّ يوم بدر وترك أخاه أبا جهل - عمرو بن هشام -
 فعَيَّرَه حسان بذلك، وقال في قصيدة له:
 [الكامل]

إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثْتَنِي فَنَجَوْتُ مَنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
 تَرَكَ الْأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامٍ
 فاعتذر الحارث بن هشام عن فراره وقال:
 [الكامل]

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّى عَلَوْا فَرَسِي بِأَشَقَرِ مُزِيدٍ
 وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أُقَاتِلَ وَاحِدًا أَقْتُلُ وَلَا يَضُرُّ عَدُوِّي مَشْهَدِي
 فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَحِبَّةَ فِيهِمْ طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمِ مُفْسِدٍ
 انظر كيف حَسَّنَ ما يتفق الناس على قبحه!

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: ما اعتذر أحد من الفرار بأحسن من هذا الاعتذار!
 حتى إن هذا الاعتذار تُرجم لبعض ملوك الأعاجم فقال: يا معشر العرب، حَسَّنتُم كل
 شيء حتى الفرار! يعني: بلغتُم بلطافة ألسنتكم وحسن احتجاجكم مبلغاً لم يبلغه أحد.
 وقد أسلم الحارث بن هشام ﷺ عام الفتح وحَسَّن إسلامه.

- ومن ذلك: قول لسان الدين ابن الخطيب:
 [الطويل]

جَزَى اللَّهُ عَنِّي زَا جَرَ الشَّيْبِ خَيْرَ مَا جَزَى نَاصِحًا فَازَتْ يَدَاهُ بِخَيْرِهِ
 أَلْفَتْ طَرِيقَ الْحُبِّ حَتَّى إِذَا انْتَهَى تَعَوَّضْتُ حُبَّ اللَّهِ عَنْ حُبِّ غَيْرِهِ

انظر كيف حسن الشيب!

- وأعظم من هذا تحسين الموت! قال الشاعر:

[الطويل]

جَزَى اللَّهُ عَنَّا الْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ أَبْرَُّنَا مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَأَزْأَفُ
يُعَجِّلُ تَخْلِيصَ النَّفُوسِ مِنَ الْأَذَى وَيُذْنِي مِنَ الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ
- ومن جميل هذا الباب قول ابن دَقِيقِ الْعِيدِ:

[الطويل]

تَمَنَيْتُ أَنَّ الشَّيْبَ عَاجِلَ لِمَتِّي وَقَرَّبَ مِنِّي فِي صَبَايَ مَزَارَهُ
لَا أَخُذُ مِنْ عَصْرِ الشَّبَابِ نَشَاطَهُ وَأَخُذُ مِنْ عَصْرِ الْمَشَيْبِ وَقَارَهُ
- ومنه ما يسمى بحُسنِ التعليل وهو: أن تُدعى لَوْصِفِ عِلَّةٌ مناسبةٌ له باعتبارٍ لطيفٍ غير
حقيقي، وهو من المحسنات المعنوية عند البلاغين، ومن أمثلته قول المتنبي: [الكامل]

لَمْ يَحِكْ نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا حُمَّتْ بِهِ فَصَبِيبُهَا الرُّحَضَاءُ
أنكر أن يكون السحاب الممطر قد أشبه الممدوح في كرمه وعطائه، وأتى بعِلَّةٍ في غاية
الطرافة وهي: أن السحاب أخذته الرحضاء -وهي الحمى- من شدة الغيرة من الممدوح
فتصبب منه الماء من شدة حرارة الحمى.

ومنه قول المتنبي أيضاً:

[الرمل]

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذُّنَابُ
عِلَّةٌ قَتْلُ الْأَعْدَاءِ عَادَةً دَفَعُ مَضْرَتِهِمْ، إِلَّا أَنَّهُ عَلَّلَ بِكْرَمِ الْمَدْمُوحِ مِمَّا جَعَلَهُ يَخْشَى تَخْيِيبَ
رَجَاءِ الذُّنَابِ فِي لَحُومٍ مِنْ سَيَقْتَلُهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ.

- والمَازِرِي كان جالسًا -وهذا مثال جميل لحسن التعليل ويصلح أن يذكر فيما سيأتي إن
شاء الله من سرعة البديهة- فدخل شُعَاعُ شَمْسٍ مِنْ كُوَّةِ الْحَائِطِ عَلَى رِجْلِهِ، فَقَالَ: (هَذَا

شِعَاعٌ مُنْعَكِسٌ) وقوله هذا: شَطْرُ بَيْتٍ مِنْ مَجْزُوءِ الرَّجْزِ، وكان عنده طالب من طلبته سريع البديهة، فأحسن في التعليل قال:

[الرجز]

هَذَا شِعَاعٌ مُنْعَكِسٌ لِعِلَّةٍ لَا تَلْتَبِسُ
لَمَّا رَأَى عُنْصُورًا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ يَنْبَجِسُ
أَتَى يَمْدُ سَاعِدًا مِنْ نُورِ عِلْمٍ يَنْقَتِسُ

ومن لطيف ذلك ما ذكره ياقوت في معجم الأدباء وابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء عن ابن عَنِينِ الشاعر أنه حضر مرة مجلس الفخر الرازي بخراسان وهو على المنبر يعظ الناس، فجاءت حمامة خلفها جراح يطاردها، فألقت نفسها على الفخر الرازي كالمستجيرة به فرجع عنها الجراح، فأنشأ ابن عنين على البديهة:

جَاءَتْ سُلَيْمَانَ الزَّمانِ حَمَامَةٌ وَالْمَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحِي خَاطِفٍ
مَنْ نَبَأَ الْوَرْقَاءَ أَنَّ مَحَلَّكُمْ حَرَمٌ وَأَنْتَكَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِ

فطرب لها الرازي، واستدناه، وأجلسه قريباً منه، وبعث إليه بعد ما قام من مجلسه خلعة كاملة ودنانير كثيرة، وبقي دائماً محسناً إليه، ثم زاد بعد ذلك ابن عنين فيها أبياتاً أخر.

[البسيط]

- ورحم الله ابن الرومي إذ يقول:

فِي زُخْرَفِ الْقَوْلِ تَزِينٌ لِبَاطِلِهِ وَالْحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سُوءُ تَعْبِيرِ
تَقُولُ: هَذَا مُجَاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ وَإِنْ ذَمَّمْتَ تَقُلْ: قَيْءُ الزَّنَابِيرِ
مَدْحًا وَذَمًّا وَمَا جَاوَزْتَ وَصْفَهُمَا حُسْنُ الْبَيَانِ يُرِي الظُّلَمَاءَ كَالنُّورِ

ومن دواعي العناية بعلم الأدب عظيم أثره وسلطانه على النفوس ومن ذلك:

٦ - أنه يرفع الوضيع

ومن شواهد: خبر بني أنف الناقة وهم بنو جعفر بن قريع، وسبب جريان هذا اللقب على جعفر: أن أباه قريعاً نحر ناقةً فقسمها بين نسائه، فبعثت جعفرًا أمه؛ تسأل زوجها حظها من اللحم، فلم يجد غير رأس الناقة وعُنُقِها، فقال لجعفر: شأنك بهذا. فأدخل جعفر يده في أنف الناقة وجعل يجره إلى أمه والناس يضحكون منه، فلُقّب بأنف الناقة، فكان جعفر يُسَبُّ بهذا، وبقي هذا اللقب سُبّةً في عَقِبِهِ، فكان الواحد منهم إذا سئل عن نسبه ينتسب إلى جده يقول: من بني قريع ويتجاوز النسبة إلى جعفر فرارًا من اللقب، وبُقُوا على ذلك حتى جاء الحطيئة فمدحهم بقصيدته التي يقول فيها:

[البسيط]

قَالَتْ أُمَامَةُ لَا تَجْزَعُ فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْعَزَاءَ وَإِنَّ الصَّبْرَ قَدْ غُلِبَا
سِيرِي أُمَامُ فَإِنَّ الْأَكْثَرِينَ حَصَى وَالْأَكْرَمِينَ إِذَا مَا يُنْسَبُونَ أَبَا
قَوْمُهُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا
فرفعهم وصار هذا اللقب مدحًا لهم وفخرًا بعد أن كان ضعةً وذمًا، وصار الواحد منهم إذا سئل مِمَّنْ أنت؟ يقول: من بني أنف الناقة كما ترى!

قال في الشَّمَقْمَقِيَّة: [الرَّجَز]

كَمْ خَامِلٍ سَمَا بِهِ إِلَى الْعُلَى يَيْتُ مَدِيحٍ مِّنْ بَلِيغٍ ذَلِقِ
مِثْلَ بَنِي الْأَنْفِ وَمِثْلَ هَرَمٍ وَكَالَّذِي يُعْرِفُ بِالْمَحَلِّقِ
هؤلاء ثلاثة أشار إليها، إلا أن هَرَمَ بنَ سِنَانٍ لم يكن خاملًا بل كان من سادات قومه ولكن أخاه خارجة بن سنان كان أشهر منه وأذَكَرَ في الناس، فلما وقع لزهير بن أبي سُلمى في هرم ما وقع من المدح ازداد شرفًا على شرفه حتى فاق أخاه في ذلك بل لا يكاد اليوم أخوه يذكر، وقد أفنى زُهير في هرمٍ مَدِيحَه، ومن ذلك قوله:

[البسيط]

قَدْ جَعَلَ الْمُبْتَغُونَ الْخَيْرَ فِي هَرَمٍ وَالسَّائِلُونَ عَلَى أَبْوَابِهِ طُرْقَا
إِنْ تَلَقَّ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا تَلَقَّ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقَا

لَوْ نَالَ حَيٍّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةٍ أَفْقَ السَّمَاءِ لَنَالَتْ كَفُّهُ الْأَفْقَا
وقوله:

[البسيط]

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَكِنْ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمٌ
هُوَ الْجَوَادُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْوًا وَيُظْلِمُ أَحْيَانًا فَيُظْلِمُ
وإنَّ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرِمٌ

وقوله في معلقته يمدحه ويمدح ابن عمه الحارث بن عوف لما تحملا الحمالات في

حرب داحس والغبراء وأصلحا بين عبس وذبيان:

[الطويل]

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلُهُ رَجَالٌ بَنُوهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ
يَمِينًا لِنِعْمِ السَّيْدَانِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِّنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ
تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَانٍ بَعْدَمَا تَفَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ
وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُذِرِكِ السَّلْمَ وَاسِعًا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِّنَ الْقَوْلِ نَسْلَمِ
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنِ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتِمِ
عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هَدَيْتُمَا وَمَنْ يَسْتَبِجْ كَنْزًا مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمِ
فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالِ الْمُزَنِّمِ
تُعْفَى الْكُلُومُ بِالْمِئِينَ فَأَصْبَحَتْ يُنْجَمُهَا قَوْمٌ لَّقَوْمٌ غَرَامَةٌ
وَلَمْ يُهَرِّقُوا بَيْنَهُمْ مِلءَ مُحْجَمِ

يروى أن عمر رضي الله عنه استنشد بها كعب بن زهير -صاحب بانة سعاد- فاستحسنها وقال:

بماذا أجازكم؟ قال كعب: بمئة ناقة وجبة بيعت بمئة ناقة، وأقسم أن لا يسلم عليه زهير إلا

أعطاه مئة ناقة، فصار زهير لذلك إذا قدم مجلسا هو فيه يقول -خوفا من أن يخرجه-:

عُمُوا صَبَاحًا غَيْرَ هَرِمٍ، وَخَيْرَكُمْ اسْتَشْنَيْتُ، قال عمر: ذهب الذي أعطاكم وبقي الذي

أعطيتموه.

ويروى هذا الخبر على وجه آخر وهو أنَّ عمر -رضي الله عنه- لقي بعض ولد هرم بن سنان فقال: أنشدني بعض ما قال فيكم زهير فأنشده فقال عمر: أما إنه كان يقول فيكم فيحسن فقال: وكذلك كنا نعطيه فنجزل فقال عمر: ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم.

- وممن رفعه الشعر عبدالعزى بن حنتم الكلابي الملقب بالمُحَلَّق لأن حصاناً عضه في وجنته فكانت العضة كالحلقة وكان رجلاً مُقَلًّا ليس له كبير شيء من مال ولا جاه ولا حسب، وكانت له عشر بنات لم تتزوج أي واحدة منهن، فمَرَّ الأعشى أبو بصير مرّة بقريته، فقالت له أمّه -وقيل: زوجته-: إن أبا بصير رجل مجذوذ في شعره -أي محظوظ- وأنت رجلٌ حاملٌ مُقَلٌّ ولك بنات، فلو سبقت إليه وأكرمته رجونا أن يكون لك منه خير. فبادر المحلق إليه وأنزله ونحر له وسقاه الخمر فلمّا اختلط كَبِدُ الناقة بالخمر في بطنه ولبس الجُبّة التي أعطاه إياها المُحَلَّق واختال فيها، استيقظت شياطين شعره، فقال قصيدته التي مطلعها:

[الطويل]

أَرِقْتُ وَمَا هَذَا الشَّهَادُ الْمُؤَرَّقُ وَمَا بِي مِنْ سُقْمٍ وَمَا بِي تَعَشُّقُ
وعلى ذكر هذا البيت، ذكروا أن كسرى سمع الأعشى يوماً ينشده -وكان الأعشى يفد على ملوك فارس- فقال: فسروا لي ما قال، فقالوا: ذكر أنه سهر من غير سقم ولا عشق، فقال كسرى: إن كان سهر من غير سقم ولا عشق فهو لص.

يقول الأعشى في قصيدته:

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تَحَرَّقُ
تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَضْطَلِيَانِهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ
يقول: بات يستدفئ بهذه النار الكرم والمحلّق.

رَضِيعِي لِبَانٍ ثُدِي أُمٌّ تَحَالَفَا بِأَسْحَمِ دَاجٍ عَوْضٌ لَا تَنْفَرُّ

تَرَى الْجُودَ يَسْرِي سَائِلًا فَوْقَ وَجْهِهِ كَمَا زَانَ مَتْنُ الْهِنْدُؤَانِيِّ رَوْنَقُ
فلم يفرغ من إنشادها حتى تسارع الأشراف يخطبون بناته، وما باتت واحدة منهن إلا في
عصمة رجل أفضل من أبيها ألف ضعف كما يقول ابن رشيق في العمدة، وفي قصته
روايات كثيرة.

- ومما يتصل برفعة الوضيع، خبر أبي عثمان المازني - وإن كان ليس من هذا الباب إلا
أنه قريب منه - روى المبرّد أن بعض أهل الذمة قصد أبا عثمان المازني ليقراً عليه كتاب
سيبويه وبذل له مئة دينار في تدريسه إياه، فامتنع أبو عثمان من ذلك، قال: فقلت له: جُعِلَتْ
فداك، أترد هذه المنفعة مع فاقتك وشدة إضاقتك فقال: إن هذا الكتاب يشتمل على كذا
وكذا آية من كتاب الله عز وجل، ولست أرى أن أمكّن منها ذميّاً غيراً على كتاب الله وحمية
له، قال: فاتفق أن غنّت جارية بحضرة الواثق بقول العرجي:

أَظْلُومٌ إِنْ مَصَّابِكُمْ رَجُلًا أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلُمٌ

فاختلف من كان بالحضرة في إعراب رجلاً، فمنهم من نصبه وجعله اسم إن، ومنهم من
رفعه على أنه خبرها، والجارية مصرة على أن شيخها أبا عثمان المازني لقنها إياه بالنصب،
فأمر الواثق بإشخاصه.

قال أبو عثمان: فلما مثلت بين يديه قال: ممن الرجل؟ قلت: من بني مازن، قال: أي
الموازن أوازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة؟ قلت: من مازن ربيعة، فكلّمني بكلام
قومي، وقال: يا اسمك لأنهم يقلبون الميم باءً والباء ميمًا، قال: فكرهت أن أجيبه على لغة
قومي كيلا أواجهه بالمكر، فقلت: بكر يا أمير المؤمنين، ففطن لما قصدته، وأعجب به،
ثم قال: ما تقول في البيت أترفع (رجلاً) أم تنصبه؟ فقلت: بل الوجه النصب يا أمير
المؤمنين، فقال: ولم ذلك؟ فقلت: إن مصابكم مصدر بمعنى إصابتكم، فأخذ اليزيدي في

معارضتي، فقلت: هو بمنزلة قولك إن ضربك زيدًا ظلم فالرجل مفعول مصابكم وهو منصوب به والدليل عليه أن الكلام معلق إلى أن تقول ظلم فيتم، فاستحسنه الواثق وقال: هل لك من ولد؟ قلت: نعم بُنيَّة يا أمير المؤمنين، قال: ما قالت لك عند مسيرك؟ فقلت: طافت حولي وأنشدت وهي تبكي قول الأعشى:

[المتقارب]

أَيَّا أَبْتَا لَا تَرِمُ عِنْدَنَا فَإِنَّا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرِمْ
أَرَانَا إِذَا أَضْمَرْتَكَ الْبِلَا دُنُجْفَى وَتُقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمُ

قال: فما قلت لها؟ قال: قلتُ لها ما قال جرير لابنته:

[الوافر]

ثَقِي بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ

قال: على النجاح إن شاء الله - تعالى -، ثم أمر لي بألف دينار، وردني مكرماً.

قال المبرد: فلما عاد إلى البصرة قال لي: كيف رأيت يا أبا العباس ردنا لله مئةً فعوّضنا ألفاً.

المجلس الثالث

في هذا المجلس:

سابعًا: الأدب يضع الرفيع:

- خبرُ الرَّبِيعِ بنِ زيَادٍ معَ لَبِيدِ بنِ رَبِيعَةَ.
- خبرُ بني العَجَلَانِ معَ النَّجَاشِيِّ الشاعرِ.
- خبرُ بني نُمَيْرٍ معَ جَرِيرِ.

ثامنًا: الأدب يتزعُّ الغضب:

- خبرُ تَمِيمِ بنِ جَمِيلٍ معَ الْمُعْتَصِمِ.
- خبرُ الأَسِيرِ مِن أصحابِ الْمُخْتَارِ معَ مُصْعَبِ بنِ الزُّبَيْرِ.
- خبرُ الأَسِيرِ مِن أصحابِ ابنِ الْأَشْعَثِ معَ الْحَجَّاجِ.
- فتنَةُ ابنِ الْأَشْعَثِ: كيف بدأت؟ وإلَا مَ انتهت؟
- خبرُ عُمَرَ بنِ حِطَّانٍ معَ الْحَجَّاجِ.
- خبرُ الشَّعْبِيِّ معَ الْحَجَّاجِ.
- أبياتُ قُتَيْبَةَ في النَّضْرِ بنِ الْحَارِثِ، التي يُرَوَى أَنَّهَا أَبَكَتِ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى أَخْضَلَتِ الدَّمُوعُ لِحْيَتَهُ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فكما أن الأدب يرفع الوضيع - وقد سبق ذكر شيء من شواهد - فهو كذلك

٧- يضع الرفيع

ومن شواهد ذلك:

- خبر الربيع بن زياد، فإنه كان مُلَازِمًا لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ، وكان سَبَبُ انْحِطَاطِهِ: أَنَّهُ وَفَدَ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ مُلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ وَإِخْوَتَهُ وَمَعَهُمْ لَبِيدٌ وَهُوَ ابْنُ أَخِيهِمْ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ غَلَامًا صَغِيرًا ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ، وَكَانَ يَجْلِسُ فِي رَحْلِهِمْ وَيَرْعَى لَهُمْ إِبْلَهُمْ عَلَى النُّعْمَانِ فوجدوا عنده الربيع بن زياد وكان عدوًّا لهم فجعل يحطُّ من قَدْرِهِمْ عِنْدَ النُّعْمَانِ. فسمعهم لَبِيدٌ مَرَّةً يَتَكَلَّمُونَ فِي أَمْرِ الرَّبِيعِ، ويقولون: ارجعوا بنا إلى أَهْلِينَا لَا يَضْحَكُ مِنَّا الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ. فسألهم لَبِيدٌ فَكَتَمُوهُ، فقال: وَاللَّهِ لَا رَعِيْتُ لَكُمْ وَلَا حَفِظْتُ لَكُمْ رِحَالَكُمْ حَتَّى تَخْبِرُونِي، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ غَلَبَهُمْ وَصَدَّ وَجَهَ الْمَلِكِ عَنْهُمْ، فقال: هل تقدرون على أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَزْجُرَهُ عَنْكُمْ بِقَوْلٍ مُمِضٍّ فَلَا يَلْتَفِتُ النُّعْمَانُ إِلَيْهِ أَبَدًا؟ قالوا له: وهل عندك ذلك؟ قال: نعم، قالوا: فَإِنَّا نَبْلُوكُ بِشْتَمِ هَذِهِ الْبَقْلَةِ وَكَانَتْ أَمَامَهُمْ بِقْلَةً فَأَخَذَهَا بِيَدِهِ وَذَمَّهَا، فوجدوه أَهْلًا لَذَلِكَ وَقَالُوا: أَنْتَ وَاللَّهِ صَاحِبُهُ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا حَلَقُوا رَأْسَهُ وَتَرَكَوْا لَهُ ذَوَابَتَيْنِ، وَأَلْبَسُوهُ حِلَّةً، وَغَدَوْا بِهِ مَعَهُمْ حَتَّى انْتَهَوْا بِهِ إِلَى النُّعْمَانِ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ وَحَوْلَهُ النَّاسُ، وَمَعَهُ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ يُوَاكِلُهُ، فَنَادَاهُ لَبِيدٌ مِنْ وَرَاءِ الْقُبَّةِ قَائِلًا: [مشطور

الرجز]

أَنَامَ أَمْ يَسْمَعُ رَبُّ الْقُبَّةِ
يَا أَوْهَبَ النَّاسِ لِعَنَسِ صَلْبِهِ
فأدخلهم النُّعْمَان، فقال لبيد:
[مشطور الرجز]

أَكُلَّ يَوْمٍ هَامَتِي مُقَرَّعَةً؟
يَا رَبَّ هَيَّجَاهِي خَيْرٌ مِنْ دَعَا
يَا وَاهِبَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ مِنْ سَعَا
نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَا
الْمُطْعَمُونَ الْجَفَنَةَ الْمُدْعَدَا
وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَعَا
مَهَلًا أَبَيْتَ اللَّعْنَ لَا تَأْكُلَ مَعَا

ثم ذكر أبياتاً يسب فيها الربيع أقذع فيها.

فقال النُّعْمَانُ للربيع:
[البسيط]

شَرَّدَ بِرَحْلِكَ عَنِّي حَيْثُ شِئْتَ وَلَا
وَارْحَلَ بِحَيْثُ أَرَدْتَ؛ الْأَرْضُ وَاسِعَةٌ
قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ إِنْ صِدْقًا وَإِنْ كَذِبًا
وَلَمْ يُرَ الرَّبِيعُ بِحَضْرَةِ النُّعْمَانِ بَعْدَهَا.
تُكْثِرُ عَلَيَّ وَدَعُ عَنْكَ الْأَقَاوِيلَا
وَأَنْشُرْ بِهَا الطَّرْفَ إِنْ عَرَضَا وَإِنْ طُولَا
فَمَا اعْتَذَارُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلَا

- ومن شواهد وضع الأدب للرفيع: خبرُ بني العجلان، وقد كانوا لُقِّبُوا بهذا
لتعجيلهم القرى للضيوف، فكانوا يفتخرون بهذه النسبة، حتى هجَاهُم النَّجَاشِيُّ الشاعر
- واسمه قَيْسُ بْنُ عَمْرٍو الحارثي - فقال فيهم:
[الطويل]

إِذَا اللَّهُ عَادَى أَهْلَ لُؤْمٍ وَدِقَّةٍ
فَعَادَى بَنِي الْعَجْلَانِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلٍ
قُبَيْلَةً لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ
وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ

وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً إِذَا صَدَرَ الْوُرَادُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلٍ
تَعَاْفُ الْكِلابُ الضَّارِيَاتُ لِحُومِهِمْ وَتَأْكُلُ مِنْ كَعْبِ بْنِ عَوْفٍ وَنَهْشَلٍ
وَمَا سُمِّيَ الْعَجْلَانُ إِلَّا لِقَوْلِهِمْ خُذِ الْقَعْبَ وَاحْلُبْ أَيُّهَا الْعَبْدُ وَاعْجَلِ
ذَكَرَ الرُّوَاةُ أَنَّهُمْ اتَّضَعُوا بِهَذَا الشَّعْرَ بَعْدَ رَفْعَتِهِمْ، وَذَلُّوا بَعْدَ عَزِّهِمْ، حَتَّى صَارُوا يَفِرُّونَ
مِنَ الْإِنْتِسَابِ إِلَى الْعَجْلَانِ، وَجَعَلَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ إِذَا سُئِلَ عَنْ نَسَبِهِ يَقُولُ: كَعْبِي؛ مَخَافَةَ
أَنْ يَسْخَرَ مِنْهُ.

وقد اشتكوا إلى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وقالوا: إن النجاشي هجانا. فقال:
ماذا قال لكم؟ فَأَنْشَدُوا الْبَيْتَ الْأَوَّلَ:

إِذَا اللَّهُ عَادَى أَهْلَ لُؤْمٍ وَدِقَّةٍ فَعَادَى بَنِي الْعَجْلَانِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلٍ
قال: هذا رجل دعا فإن كان مظلوماً استجيب له، وإن لم يكن مظلوماً لم يستجب له.
فقالوا: إنه قال:

قُبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ
فقال -يَحْمِلُهَا عَلَى الْمَحْمَلِ الْحَسَنِ -: ليت آل الخطاب كانوا كذلك.
قالوا: إنه قال:

وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً إِذَا صَدَرَ الْوُرَادُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلٍ
فقال: ذلك أَصْفَى لِلْمَاءِ وَأَقْلُّ لِلْكَدَرِ.
قالوا: إنه قال:

تَعَاْفُ الْكِلابُ الضَّارِيَاتُ لِحُومِهِمْ وَتَأْكُلُ مِنْ كَعْبِ بْنِ عَوْفٍ وَنَهْشَلٍ

فقال: كَفَى ضِياعاً بَمَنْ تَأْكُلُ الْكِلَابُ لَحْمَهُ يعني أنتم تزعمون أنه فَضَّلَ أولئك عليكم لأن الكلاب لا تأكل من لحومهم؟! وأيُّ خير في أكل الكلاب! قالوا: إنه قال:

وَمَا سُمِّيَ الْعَجَلَانِ إِلَّا لِقَوْلِهِمْ خُذِ الْقَعْبَ وَاخْلُبْ أَيُّهَا الْعَبْدُ وَاعْجَلِ
فقال: سيد القوم خادمهم وكلنا عبيدُ الله فما أرى بهذا بأسًا.
قالوا: سَلْ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ. فسأله فقال: ما هَجَاهُمْ ولكن سَلِّحْ عليهم. فَسَجَنَهُ عَمْرُ.
وقيل: بل جَلَدَهُ.

- ومن أولئك بنو نُمَيْرٍ: وقد كانوا إذا سُئِلَ الرجلُ منهم عن نَسَبِهِ قال: مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ -
يُفَخِّمُ الميم وهي لا تُفَخِّمُ في لسان العرب - حتى هَجَاهُمْ جَرِيرٌ، وكان سبب ذلك: أَنَّ
الرَّاعِي النُّمَيْرِيَّ فَضَّلَ الْفَرَزْدَقَ عَلَى جَرِيرٍ، فقال: [الكامل]

يَا صَاحِبَيَّ دَنَا الرِّوَا حُ فَسِيرَا غَلَبَ الْفَرَزْدَقُ فِي الْهَجَاءِ جَرِيرًا
فذهب إليه جريرٌ وكَلَّمَهُ في ذلك، وقال: يا أبا جَنْدَلٍ إن قولك ليستمع، وإنك تفضل
الفرزدق عليّ تفضيلاً قبيحاً، وأنا أمدحُ قومَكَ والفرزدقُ يهجوهم، وهو ابن عمِّي
دونك، يكفيك من ذلك إذا ذُكِرْنَا أن تقول: كِلَاهُمَا شاعرٌ كريمٌ، ولا تتحمَّلْ مِنِّي ولا منه
لائمةً.

فبينما جريرٌ والرَّاعِي كذلك إذ أقبل جَنْدَلٌ -ولد الرَّاعِي- وَضَرَبَ بالسَّوْطِ بَغْلَةً والدّه
وقال: لا أراك واقفاً على هذا، كأنك تخشى منه شراً، أو ترجو منه خيراً فزَحَمَتِ الْبَغْلَةُ
جَرِيرًا حتى سَقَطَتْ قَلَسُوتهُ.

قال جرير: والله لو عَرَجَ عَلَيَّ الرَّاعِي لَقُلْتُ إِنَّهَا هَفُوءٌ مِنْ سَفِيهِ -يعني جندلاً- ولكن الراعي لم يُعَرِّجْ عليه، فأخذ جرير قَلَنْسُوتَهُ فمسحها، وَرَدَّهَا إِلَى محلِّهَا، وانصرف مغضباً إلى منزله، وقال فيهم أبياته التي منها قوله: [الوافر]

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَغَبَّا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابَا
وَلَوْ وُضِعَتْ حُلُومُ بَنِي نُمَيْرٍ عَلَى الْمِيزَانِ مَا عَدَلَتْ ذُبَابَا
فلم يرفعوا بعدها رأساً، ولم تلق قبيلة من العرب بهجو ما لقيت نمير من هجو جرير، حتى صاروا يفرون من الانتساب إلى نمير، وينتسبون إلى عامر الجد الأعلى.

وكان جرير يُسمِّي قصيدته هذه الدَّمَاعَةَ، ومطلعها:

أَقْلِي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا وَقُولِي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا
ومن لطيف الأخبار: ما يُحكى أَنَّ مَوْلَى لِبَاهِلَةٍ كَانَ يَرُدُّ السُّوقَ فَيَسْخَرُ مِنْهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ، فقال له أسياده: إِنْ نَبَزَكَ أَحَدُهُمْ فَقُلْ لَهُ: (فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ) فلمَّا عاد إلى السوق وَلَقِيَهُمْ سَخَرُوا مِنْهُ وَنَبَزُوهُ، فأراد أَنْ يَقُولَ الْبَيْتَ فَنَسِيَهُ فَقَالَ: غَمَضُ وَإِلَّا جَاءَكَ مَا تَكْرَهُ، فَكَفُّوا عَنْهُ وَعَلِمُوا أَنَّهُ قَدْ عَرَفَ قَوْلَ جَرِيرٍ فِيهِمْ.

وَيُحْكَى أَنَّ امْرَأَةً مَرَّتْ بِقَوْمٍ مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ فَأَخَذُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا نَظَرَ رِيَّةٍ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَا قَوْلَ اللَّهِ امْتَثَلْتُمْ {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ} ولا قول جرير:

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ

ويحكى أَنَّ الْحِجَااجَ حَبَسَ رَجُلًا مَرَّةً فَسَمِعَهُ يُنْشِدُ: [الطويل]

أَلَا يَا سَنَا بَرَقَ عَلَى قُلُلِ الْحِمَى لَهْنَكَ مِنْ بَرَقِ عَلَيَّ كَرِيمُ
فَهَلْ مِنْ مُعِيرٍ طَرَفَ عَيْنٍ خَلِيَّةٍ؟ فَإِنْسَانَ عَيْنِ الْعَامِرِيِّ كَلِيمُ
وانتسب إلى عامر والدِ نُمَيْرٍ؛ لَأَنَّهُ نُمَيْرٌ بْنُ عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ، قَالَ الْبَدَوِيُّ فِي عَمُودِ

النَّسَبِ: [الرجز]

نُمِيرُ الَّذِي الْهَجَاءُ وَضَعَهُ نُمِيرُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ صَعَصَعَةَ
فَرَّقَ لَهُ وَأَطْلَقَ سِرَاحَهُ.

ومن جميل الشعر قول الشيخ المختار بن حامد بن حاتم رحمه الله في أبيات ضمّن فيها قول
جرير: (فَغُضُّ الطَّرْفِ...): [الوافر]

كَبُرْتَ فَعَدَّ عَنْ أُمِّ الْحَوَيْرِ وَعَنْ أُمِّ الرَّبَابِ تَبَتْ بِخَيْرِ
وَقُلْ لَا لِلَّذِي يَدْعُو لِي غِيٍّ وَلِلنَّاهِي نَعَمٌ وَأَجَلٌ وَجَيْرِ
فَإِنَّكَ إِذْ تَرُومُ وَأَنْتَ شَيْخٌ بَنَاتِ الْغَيْرِ رُمْتَ بَنَاتِ غَيْرِ
وَإِنْ تُبَدِّ الْكَوَاعِبُ مِنْكَ طَرْفًا فَغُضُّ الطَّرْفِ إِنَّكَ مِنْ نُمِيرِ
وقوله: (رمت بنات غير) معناه رمت الكذب، يقال: جاء بنات غير أي بأكاذيب.

قال الشاعر: [الوافر]

إِذَا مَا جِئْتَ جَاءَ بَنَاتُ غَيْرٍ وَإِنْ وَلَّيْتَ أَسْرَعْنَ الذَّهَابَا
وقد وَضَعَهُمْ جرير حتى صاروا مَضْرِبَ مَثَلٍ، قال الشاعر: [الوافر]

وَسَوْفَ يَزِيدُكُمْ ضَعَةً هِجَائِي كَمَا وَضَعَ الْهَجَاءُ بَنِي نُمِيرِ
وقد قال الجاحظ في البيان والتبيين: وهل فَضَحَ الحَبَطَاتِ -بفتح الباء وبكسرهما- مع شرف
حَسَكَةَ بْنِ عَتَّابٍ وَعَبَادِ بْنِ الْحُصَيْنِ وولده -وهم من أشرف بني تميم- إلا قول

الشاعر: [الوافر]

رَأَيْتُ الْحُمَرَ مِنْ شَرِّ الْمَطَايَا كَمَا الْحَبَطَاتُ شَرُّ بَنِي تَمِيمِ
قال في الشمقمقية: [الرجز]

وَكَمْ وَكَمْ حَطَّ الْهَجَا مِنْ مَّاجِدٍ ذِي رُتْبَةٍ قَعَسَا وَقَدَّرَ سَمِيقِ
مِثْلَ الرَّيِّعِ وَبَنِي الْعَجْلَانِ مَعِ بَنِي نُمِيرِ جَمَرَاتِ الْحَرَقِ
ومن خصائص الأدب ودواعي طلبه والتّماس معرفته:

٨- أنه يَنْزِعُ الغضب.

والأخبار في هذا كثيرة، من ذلك:

- خبر تَمِيمِ بْنِ جَمِيلٍ، وذلك أنه كان قد خرج على الْمُعْتَصِمِ واجتمع عليه كثير من الأعراب فعَظِمَ أمره وشاع ذكره، ويُقال: إِنَّ الْمُعْتَصِمَ حَلَفَ أنه إِنْ ظَفِرَ به لَيَقْتُلَنَّهُ بيده، لا يَكِلُ ذلك إلى سَيَافٍ ولا إلى غيره، ثم إِنَّهُ قُمِعَ بعد ذلك وَجِيءَ به أَسِيرًا بين يدي الْمُعْتَصِمِ، ودَخَلَ حين دَخَلَ على الْمُعْتَصِمِ ثابِتَ الْجَنَانِ كأنه مَدْعُوٌّ إلى وليمة، فلمَّا مَثَلَ بين يديه دعا الْمُعْتَصِمُ بالنُّطْعِ والسَّيْفِ^(١)، ورأى الْمُعْتَصِمُ أن يَسْتَنْطِقَهُ؛ لِيَنْظُرَ أَيْنَ جَنَانُهُ وَلِسَانُهُ من هذا الثبات الذي رآه منه، فقال: يا تَمِيمُ، إِنْ كَانَ لَكَ عُذْرٌ فَأَتِ بِهِ، أو حُجَّةٌ فَأَدِلْ بِهَا. فقال: يا أمير المؤمنين، إِنْ الذُّنُوبُ تُخْرِسُ الألسنة الفصيحة، وتَصْدَعُ القلوب الصحيحة، ولقد عَظُمَتِ الجَرِيرَةُ، وكَبُرَ الذَّنْبُ، وساء الظن، ولم يَبْقَ إِلَّا عَفْوُكَ أو انتقامُكَ، وأرجو أن يكون أقربُهما منك وأسرعُهما إليك أَوْلاهُما بِأَمْتِنَانِكَ وَأَشْبَهَهُمَا بِخَلَائِقِكَ، ثم أنشأ يقول:

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السَّيْفِ وَالنُّطْعِ كَامِنًا يُلَاحِظُنِي مِنْ حَيْثُ مَا أَتَلَفْتُ
وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي وَأَيُّ أَمْرِي مِمَّا قَضَى اللَّهُ يُفْلِتُ
وَأَيُّ أَمْرِي يَأْتِي بِعُذْرٍ وَحُجَّةٍ وَسَيْفُ الْمَنَايَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصْلَتُ
وَمَا جَزَعَنِي أَنِّي أَمُوتُ وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ شَيْءٌ مُوقَّتُ
وَلَكِنْ خَلْفِي صَبِيَةٌ قَدْ تَرَكْتُهُمْ وَأَكْبَادُهُمْ مِّنْ حَسْرَةٍ تَفْتَتُ

(١) والنطع بساط من الأديم وفيه أربع لغات فتح النون وكسرها ومع كل واحد فتح الطاء وسكونها،

قال ابن المرحّل في موطأة الفصيح:

وَالنُّطْعُ الَّذِي يَكُونُ مِنْ أَدَمٍ يُلْقَى عَلَى الرَّحْلِ وَعِنْدَ سَفْكِ دَمٍ

كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أُنْعَى إِلَيْهِمْ وَقَدْ خَمَشُوا تِلْكَ الْوُجُوهَ وَصَوَّتُوا
فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا آمِنِينَ بِغِبْطَةٍ أَذُودُ الرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مِتُّ مَوْتُوا
فتبسم المُعْتَصِم وقال: كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل، قد غفرت لك الصبوة،
وتركتك للصبيّة.

ويقال: إنه ولّاه على المدينة التي خرج عليه فيها. فنال بلسانه ما لم ينله بسنانه.

- ومن شواهد ذلك:

خبر مُصعب بن الزُّبَيْر مع الأسير من أصحاب المُخْتَارِ بنِ أَبِي عُبَيْدِ الثَّقَفِيِّ، وكان
المُخْتَارُ يتظاهر بالفضل والصلاح ويكتم الفسق، وكان يتظاهر بِطَلَبِ دمِ الحُسَيْنِ وَيُسِرُّ
طَلَبَ الدنيا، وقد جاء ذِكْرُهُ في صحيح مسلم في خبر الحجاج لما قال لأسماء بنتِ أَبِي
بكر -رضي الله عنهما- وقد قتل ولدها عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهما-: كيف
رأيتني صنعت بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دُنياه، وأفسد عليك آخرتك.
ثم قالت: أما إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حدثنا أن في ثَقِيفِ كَذَّابًا ومُبِيرًا، فأما
الكذاب فرأيناه، وأما المُبِيرُ فلا إخالكَ إِلَّا إِيَّاه.

وقد ذكر النُّوَوِيُّ في شرح صحيح مسلم أن العلماء اتفقوا على أن المراد بالكذاب
المختار ابنُ أَبِي عُبَيْدٍ، وأن المراد بالمُبِيرِ الحجاجُ بنُ يوسفِ الثَّقَفِيِّ.

والمُخْتَارُ كان يدَّعي أنه يوحى إليه! فَذَكَرَ ذلك لابن عباس -رضي الله عنهما- فقال:
صدق المختار؛ قال عز وجل: {وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَى أُولِيَائِهِمْ لِيُجْدِلُوهُمْ}.

وقد هجاه سُرَاقَةُ بنُ مِرْدَاسٍ فقال:

كَفَرْتُ بِوَحْيِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْرًا عَلَيَّ هِجَاءُكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ
أَرِي عَيْنِي مَا لَمْ تَرَأِيَاهُ كِلَانَا عَالِمٌ بِالتَّرَهَاتِ

وكان من حيله العجيبة في قتاله مصعب بن الزبير: أنه أودع حمامًا بيضًا لأناس، وقال لهم: إن رأيتم الدائرة علينا فأطلقوا هذا الحمام، ثم خطب الناس وقال: إن الله مُمدِّكم بملائكة غَضاب، تأتي في صورة الحمام دُوينَ السحاب. فلما كانت الدائرة عليهم أطلق أولئك الحمام فتصايح الناس: الملائكة الملائكة، فتراجعوا وقويت عزائمهم ووقع القتل بعد ذلك في عدوهم!

وحتى نعرف حقيقة المختار بن أبي عبيد: لمَّا ضيقوا عليه الحصار قال لصاحبه: إنّما أنا رجل من العرب، رأيْتُ ابنَ الزبير انتزى على الحجاز فأخذها، ورأيْتُ نَجْدَةَ انتزى على اليمامة فأخذها، ورأيْتُ مروان انتزى على الشام فأخذها، ولم أكن بدُونهم! فأخذتُ هذه البلاد فكنت كأحدهم إلا أني طلبتُ بثأر أهل البيت، فهذا الذي جَمَعَ الناس عليّ، فقاتِلْ على حَسَبِكَ إن لم تكن لك نية.

وكان والده أبو عبيد الثقفي من جِلَّةِ الصحابة وكان قائدًا لجيشٍ من جيوش عمر في فتح العراق، في الواقعة المشهورة في التاريخ التي تسمى جسر أبي عبيد.

المقصود أن مصعب بن الزبير قتل المختار، وأُتيَ إليه بأسرى فأمر بقتل أسير، فقال الأسير: يا أيها الأمير، ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنه ووجهك المليح الذي يستضاء به فأتعلق به وأقول: يا رب، سلْ مصعبًا فيمَ قتلني؟

فاستحيى مصعب وأمر بإطلاقه، فقال: أيها الأمير، اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفضٍ ودعة من العيش. قال: أمرت لك بثلاثين ألف درهم. فقال: أشهدك أيها الأمير أن شطر هذا المال لعبدالله بن قيس الرُّقَيَّات. قال: ولم ذلك؟ قال: لقوله فيك: [الخفيف]

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِّنَ اللَّـهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ

فضحك مصعب، وقال: اقبض ما أمرنا لك به ولا بن قيس عندنا مثله. فما شعر عبدالله ابن قيس إلا وقد وافاه المال على باب بيته.

ومن طريف الأخبار أن عبد الله بن قيس الرقيات دخل مرة على عبدالملك بن مروان وأنشده أبياتاً يمدحه فيها، وفيها قوله:

[المنسرح]

يَعْتَدِلُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ عَلَى جَبِينٍ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ
فقال عبدالملك: يا ابن قيس، تمدحني بالتاج كأني من العجم، وتقول في مصعب بن الزبير:

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِّنَ اللَّـهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
- ومن الأخبار التي تشهد لكون الأدب وحسن البيان - سواء أكان شعراً أم نثراً - ينزع الغضب: أنه لما ظفر الحجاج بأصحاب ابن الأشعث جلس لضرب أعناقهم عامة النهار^(١). فَأُتِيَ آخَرَهُمْ برجل من بني تميم قال له: والله يا حجاج لئن كنا قد أسأنا في الذنب فما أحسنت في العفو. فقال الحجاج: أُمَّ لِهَذِهِ الْحِيَفِ، أما كان فيها رجل يُحسن مثل هذا؟! وعفا عنه، وأمسك عن القتل، وحقنت عنده هذه الكلمة الدم، وتغمدت الإساءة والجرم.

وفتنة ابن الأشعث كانت من الفتوق العظيمة التي انفتقت على الدولة الأموية، وكان من خبرها باختصار:

أنه كانت بين الحجاج وابن الأشعث^(٢) وحشة شديدة، وفي سنة إحدى وثمانين بعث الحجاج جيشاً في أربعين ألفاً، وعليه ابن الأشعث إلى رُبَيْل ملك التُّرْك، فذهب ابن

(١) والحجاج معلومٌ من سيرته أن كان في سيفه رَهَقٌ، وقد قال الذهبي في ترجمته: نَسَبُهُ وَلَا نُحِبُّهُ، ونبغضه في الله فإن ذلك من أوثق عُرَى الإيمان. وقال: له حسنات مغمورة في بحر ذنوبه.

(٢) وهو عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس والأشعث صحابي رضي الله عنه.

الأشعث وفتح كثيراً من بلادهم، ثم قرر أن يُريح الجيش ويضع يده على ما تحته مما فتحه، وكتب بذلك إلى الحجاج، فكتب إليه الحجاج يَدُّهُ وَيُعَيِّرُهُ بالجبن، ويأمره أن يواصل السير والقتال -والشاهد يرى ما لا يرى الغائب- فعرض ذلك على قوَّاد الجيش، فثار الناس وقالوا: لا نسمع لعدو الله الحجاج ولا نطيع. وقال أحدهم: مثَل الحجاج في رأيه ومثَلُنَا كما قال الأول لأخيه: احمل عبدك على الفرس فإن هلك هلك، وإن نجا فلك، اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا لأُميركم ابن الأشعث فخلعوه.

وأول ما فعل ابن الأشعث أنه ترك الجهاد، وصالح رُتَيْيل الكافر على أنه إن ظفر بالحجاج فلا خراج على رتبيل أبداً ما بقي، وإن هُزم ابن الأشعث ألجأه رتبيل عنده وآواه.

فتصالح معه ورجع بسيوفه التي كانت تجاهد في سبيل الله على المسلمين، وفي الطريق قالوا: إِنَّ خَلْعَنَا الحجاج خلعٌ لعبدالمك بن مروان فخلعوه، وكانوا بايعوا ابن الأشعث على الإمارة فحسب فصار أمير المؤمنين، وحاول ابن الأشعث أن يَسْتَمِيلَ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ -وكان المهلب على خُرَاسَانَ- لكنَّ الْمُهَلَّبَ أَبَى ذلك ونصحه وقال: أَتُبْقِ على أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، الله انظر لنفسك فلا تهلكها، ودماء المسلمين فلا تَسْفِكُها، والجماعة فلا تُفَرِّقُها، والبيعة فلا تَنكُثُها.

وكتب المهلب إلى الحجاج ينصحه ويقول له: إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ قد أقبلوا إليك مثل السيل المنحدر من علٍ فلا تتصد لهم، اتركهم حتى يدخلوا البَصْرَةَ وَيَرَوْا أَهْلِيهِمْ وَيَشْمُوا أولادهم.

وكان الحجاج لا ينقطع عن الكتابة لعبدالمك، وابن الأشعث كلما دخل قرية بايعه أهلها حتى بلغ جيش ابن الأشعث مئة وخمسين ألفاً، وخرج الحجاج وحصل القتال بين

الفريقين وكل واحد منهما يرفع راية لا إله إلا الله. التقى الجيشان فانكسر جيش الحجاج وفرَّ لا يَلُوي على أحد وجعل الحجاج يقول: لله دَرُّ المُهَلَّب! أيُّ صاحبِ حَرْبٍ هو؟ قد أشار علينا بالرأي ولكنَّا لم نقبل.

وقعت الفتنة وتابع كثير من الفقهاء ابن الأشعث، حتى إنهم أكرهوا الحسن البصري على الخروج معهم وكان ينهاهم، وخرج مع ابن الأشعث كثير من الفقهاء منهم: مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ وسعيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وابنُ أَبِي لَيْلى وطلْقُ بْنُ حَبِيبٍ ومالكُ بْنُ دِينَارٍ وأبو الْجَوْزَاءِ وأبو الْمِنْهَالِ وَعَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ وَالشَّعْبِيُّ^(١). وقيل لابن الأشعث: إذا أردت أن يقاتل الناس معك كما قاتلوا حول جَمَلِ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- فأخرج الحسنَ البصري فأكرهه الحسنَ البصري على الخروج. وقام الشعبي وقال: قاتلوهم على جورهم واستذلّهم الضعفاء وإماتتهم الصلاة. وطالت المناهضة بين ابن الأشعث والحجاج فواقعه ثمانين وقعة بالكوفة والبصرة.

وسقطت نفوس كثيرة بالآلاف، وكان عبدالملك قد أمد الحجاج بجند من جنده. وكان آخر ذلك أن هُزِمَ ابن الأشعث وهرب إلى رُبَيْل ملك الترك، فكتب إليه الحجاج: والله الذي لا إله إلا هو لئن لم تبعث إليّ بـابن الأشعث لأبعثنَّ إلى بلادك ألفَ ألفٍ مقاتل ولا أُخَرِّبَنَّها، فعند ذلك غدر رُبَيْل بـابن الأشعث فقبض عليه وعلى ثلاثين من أقربائه، وقيدهم في الأصفاد، وبعث بهم مع رسل الحجاج إليه، فلما كانوا ببعض الطريق بمكان يقال له: الرُّخَج -وكان قد وُكِّلَ رجلٌ بـابن الأشعث ورُبطَ معه حتى لا يهرب- صعد ابن الأشعث قصرًا وألقى بنفسه من سطح القصر فماتا جميعًا، فاخترَّ رأسه وبُعِثَ

(١) لو أن أحدنا فتح كتب الحديث والتفسير وكتب الرجال لوجد في الطليعة هؤلاء، كانت فتنة عظيمة،

نسأل الله أن يعيدنا من الفتن.

به إلى الحجاج في العراق فطاف به في العراق، ثم بعث به إلى أمير المؤمنين عبد الملك
فطيف برأسه في الشام، ثم بعث به إلى أخيه عبدالعزيز بمصر فطيف به هنالك ثم دفنوا
رأسه بمصر، وجثته بالرُّخج، وفي هذا قال الشاعر:

[الكامل]

هَيْهَاتَ مَوْضِعُ جُثَّةٍ مِّنْ رَّأْسِهَا رَأْسٌ بِمِصْرَ وَجُثَّةٌ بِالرُّخَجِ
ما الذي استفاده ابن الأشعث؟ لم يستفد شيئاً وخسر كل شيء؛ كان مجاهداً في سبيل الله
قائداً للجيش الإسلامية في بلاد الترك، فصار لاجئاً عند ملك الترك الذي كان يحاربه
على الإسلام وكان آخر حاله ما ذُكر من خبر انتحاره! وقتل آلاف المسلمين.

وما كان مصير من دخلوا هذه الفتنة من العلماء؟

جعل الحجاج بعد أن خمدت الفتنة يتتبعهم ويلاحقهم - وكان ابتداء الفتنة سنة ٨١هـ
والفتنة مدتها من ثلاث سنوات إلى أربع سنوات - حتى قتل آخرهم وهو سعيد بن جبير
سنة ٩٥هـ ومات بعد ذلك، وقد قتل سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو
محتاج إلى علمه. وكان العلماء والناس يقولون: ليتنا كُنَّا أطعنا الحسن البصري.
قال أيوب السُّخْتِيَّانِي^(١): لا أعرف أحداً منهم قُتِلَ إلا رغب عن مصرعه، ولا نجا إلا
حمد الله الذي سلَّمه.

وقال أبو قلابة: قال لي مُسلم بن يسار: إني أحمد الله إليك أني لم أَرَمِ بسهم، ولم أضرب
فيها بسيف. قال أبو قلابة: فقلت له: فكيف بمن رآك بين الصَّفَّين، فقال: هذا مسلم بن
يسار لا يقاتل إلا على الحق فقاتل حتى قُتِلَ؟ قال: فبكى والله حتى وددت أن الأرض
انشقت فدخلتُ فيها.

^(١) بفتح السين وحكي كسرهما وضمهما.

فازداد الناس بعد ذلك يقيناً أن الخروج على الحاكم المسلم -ولو كان ظالمًا- لا يجلب على المسلمين إلا الشرور، واستقر أمر أهل السنة والجماعة على هذا.

- ومن الأخبار التي تشهد لهذا -أن الأدب ينزع الغضب-: خبر الحجاج حين فرّ منه رجلٌ يطلبه، فقيل له: هذا خاله موجود. فأخذ خاله وأراد أن يقتله، فقال: وما ذنبى؟ قال: ابن أخيك. قال الرجل: أَوَلَوْ جئتكَ بشاهدين ذَوِي عَدْلٍ يشهدان على براءتي؟ قال: هات.

قال: موسى وإبراهيم -عليهما الصلاة والسلام-.

قال: وكيف ذلك؟

فتلا الرجل قوله تعالى: {أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۖ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ۖ أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ} فضحك الحجاج، وقال: أمّا هذا فقد ألهم حُجَّتَه فاتركوه. ومن المعلوم أن الحجاج كان يؤاخذ الرجل على جريمة غيره، وقد أعلن ذلك في خطبته أول ما قدم العراق أميرًا فقال: والله لَأَلْحُونَكُمْ لَحْوَ الْعُودِ، وَلَأَعْصِبَنَّكُمْ عَصَبَ السَّلْمَةِ، وَلَأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ، وَلَأَأْخُذَنَّ الْبَرِيءَ بِالسَّقِيمِ، وَالْمُحْسِنَ بِالْمُسِيءِ، وَالْمُطِيعَ بِالْعَاصِي، حتى تستقيم لي قناتكم.

ومن الأخبار الطريفة في أخذ الإنسان بجريمة غيره، ما حكاه الجاحظ: أن امرأة أتت معلمًا بابن لها -وكان المعلم طويل اللحية- وقالت له: إن هذا الصبي عاق لا يطيع أمه، فأحب أن تُفزعَه، فأخذ المعلم لحيته والتقمها في فمه، وحرك رأسه، وصاح صيحة هائلة ففزعَت الأم، وقالت: إنما قلت لك أفزع الصبي لا تُفزعني أنا! قال: أما علمت أن العذاب إذا نزل أهلك الصالح والطالح!

- ويشهد لهذا: خبر الحجاج مع عمران بن حِطَّان وكان من الخوارج، وكان الحجاج حَنِقًا عليه بسبب خروجه، حتى جيء به أسيرًا في ضمن أسرى الخوارج، فقال: اضربوا عنقه. وسبَّ عمران، فقال عمران: بئس ما أدَّبَكَ به مؤدِّبك يا حجاج؛ كيف أَمِنْتَ أن أجيبك بمثل ما جبهتني به أو أفحش؟ أبعد الموت منزلة أَصَانِعُك عليها؟

فأطرق الحجاج استحياء مما فرط منه وأمر له بفرس وسرج وسيف وخلَّى سبيله، فلما عاد عمران إلى أصحابه الخوارج قالوا له: والله يا أبا سَمَاك ما أطلقك إلَّا الله، فعُد بنا إلى حرب الفاسق. فقال: هيهات هيهات غَلَّ يدًا مُطْلِقُهَا، واسترَقَّ رقبة مُعْتَقُهَا. فأرسلها مثلاً.

وفي هذا يقول في الشمقمقية: [الرجز]

وَلَا تَعُدِّ لِحَرْبٍ مِّنْ مَنْ وَلَوْ مِّنْ فَمَا غَلَّ يَدًا كَمُطْلِقِ

- ويشهد لهذا: خبر الحجاج مع الشَّعبي، فإن الشعبي كان ممن خرج في فتنة ابن الأشعث، وكان الحجاج يكرمه قبل الفتنة، حتى إنه مرَّةً دخل عبدالرحمن ابن الأشعث على الحجاج وكان الشعبي عنده، فقال الحجاج: والله ما رأيته إلَّا وددت لو قتلته. فأخبر الشعبيُّ ابنَ الأشعث بما قال، فقال ابن الأشعث: والله لئن طال بي العمر لأَجْهَدَنَّ في إزالته عن ملكه. ثم حصلت الفتنة التي سبق الكلام عنها آنفًا.

الشاهد أن الشَّعبي لما جيء به إلى الحجاج، قال: ما عذرُك؟ قال الشَّعبي: أيها الأمير، إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق، وإيُّمُ الله لا أقول في هذا المقام إلَّا حقًّا، قد والله خرجنا عليك، واجتهدنا كلَّ الجهد فما أَلَوْنَا، فما كنا بالفجرة الأقوياء، ولا بالبررة الأتقياء، ولقد نصرَّك الله علينا، وأظفرك بنا، فإن سطوت فبذنوبنا، وما جرَّت إلينا أيدينا، وإن عفوت فبحلمك، وبعدُ فالحجة لك علينا.

فقال له الحجاج: أنت والله أحب إليّ ممن يدخل عليّ يقطر سيفه من دماءنا، ثم يقول: ما فعلت وما شهدت. قد أمنت عندنا يا شعبي، فأنصرف، فأنصرف الشعبي.

- ومن شواهد ذلك: خبر قُتَيْلَةَ وهي في قول ابن هشام أخت النضر بن الحارث وتبعه النووي، وقال الزبير بن بكار: هي ابنته وتبعه ابن عبد البر والذهبي وصححه السهيلي في الروض الأنف.

وقد كان النضر بن الحارث شيطاناً من شياطين قريش، وقد روي عن ابن عباس أن كل آية فيها ذكر وصف القرآن بأنه أساطير الأولين فإنها نزلت فيه.

قيل إنه نزل فيه: {قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾}

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ}

{سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ}

{وَيُلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ

يَسْمَعْهَا فَبَشِّرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٨﴾}

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ}

كل هذه الآيات قيل إنها نزلت فيه، وقد كان يؤذي النبي -صلى الله عليه وسلم- وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسبنديار وأضراهمما، فكان إذا جلس النبي -صلى الله عليه وسلم- مجلساً فذكر فيه بالله، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله، خَلَفَهُ في مجلسه إذا قام ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه فهلم إليّ، فأنا أحدثكم بأحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني!

ولم يقتل المسلمون من أسرى بدر إلا رجلين: عُقْبَةُ بن أبي مُعَيْطٍ والنضر بن الحارث هذا، وكلاهما من شياطين قريش.

الشاهد أنه لَمَّا قُتِلَ النضر قالت قُتَيْلَةُ ترثيه:

[الكامل]

يَا رَاكِبًا إِنَّ الْأَثِيلَ مَظْنَنَةٌ	مِّنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقٌ
أَبْلَغُ بِهَا مَيِّتًا بِأَنَّ تَحِيَّةً	مَا إِنْ تَزَالَ بِهَا النَّجَائِبُ تَخْفِقُ
مِنْ بَنِي إِلَيْكَ وَعَبْرَةٌ مَّسْفُوحَةٌ	جَادَتْ بِوَاقِفِهَا وَأُخْرَى تَخْنِقُ
هَلْ يَسْمَعُنِي النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ	أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لَا يَنْطِقُ
ظَلَلْتُ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوِشُهُ	لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تَشَقَّقُ
فَسِرًّا يُقَادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتَعَبًا	رَسَفَ الْمُقَيَّدُ وَهُوَ عَانٍ مُّوثَقٌ
أُمَحَمَّدٌ يَا خَيْرَ ضِرْنٍ كَرِيمَةٍ	فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُّعْرِقٌ
مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبَّمَا	مَنْ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُخْنَقُ
أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ فَلَنَأْتِيَا	بِأَعَزِّ مَا يَغْلُو لَدَيْكَ وَيَنْفَقُ
فَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسْرَتْ قَرَابَةٌ	وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عَتَقٌ يُعْتَقُ

ذكر ابن عبد البر: أَنَّ الأبيات لَمَّا بلغت النبي - صلى الله عليه وسلم - بكى حتى أخضلت الدموع لحيته - وأرحمُ الناس من يبكي على تَرْكَةِ مِثْلِ النضر بن الحارث - وقال: لو بلغني شعرها قبل أن أقتله ما قتلته.

وإلى هذا أشار في الشمقمقية بقوله:

[الرجز]

وَعِنْدَمَا سَمِعَ مِنْ قُتَيْلَةٍ	رَثَا قُتَيْلَهَا الَّذِي لَمْ يُعْتَقِ
رَدَّ لَهَا سَلْبَهُ وَقَدْ بَكَى	شَفَقَةً بِدَمْعِهِ الْمُنْطَلِقِ

وقول الناظم: (رَدَّ لَهَا سَلْبَهُ) قال عنه الشيخ أحمد بن خالد الناصري السلأوي في زهر الأفنان: إنه لم يقف عليه في كتب الحديث والسيرة، والله تعالى أعلم.

المجلس الرابع

في هذا المجلس:

تاسعًا: الأدب يثير الأحقاد:

- خبر سُديف بن ميمون وما قال في بني أمية عند أبي العباس السفاح.
- خبر شبل بن عبدالله وما قال في بني أمية عند أبي العباس السفاح.
- خبر الأحوص الشاعر وما قال في أمير المدينة ابن حزم عند الوليد بن عبد الملك.
- خبر محمد بن عبد الملك الزيات وما قال في إبراهيم بن المهدي.

عاشرًا: الأدب يكسب سرعة البديهة:

- خبر أخطب العرب والعجم والإنس والجن في مجلس معاوية بن أبي سفيان.
- من أخبار أبي العيناء.
- خبر أبي تمام مع ديك الجن.
- خبر الأموي صاحب الأندلس وقوله للعبدي: عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك وشيء من أخبار العبديين.
- خبر ابن الرقاع في مجلس الوليد بن عبد الملك.
- خبر عوف بن محلم مع الأمير طاهر بن الحسين وابنه.
- خبر الشوكاني وإصلاحه عمامته وهو في الصلاة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فكما أن الأدب ينزع الغضب وقد أخذنا شيئاً من شواهد ذلك في المجلس السابق
٩- فهو كذلك يثير الأحقاد وليس هذا إقراراً لإثارته للأحقاد وتهيجه للغضب لكنه دليل
على عظيم تأثير الأدب وما له من سلطان على النفوس ومن شواهد ذلك:

- خبر سُديف بن ميمون: فإنه دخل على أبي العباس السفاح وعنده سليمان بن هشام بن
عبد الملك وابناه وقيل غيرهم - ومعلوم ما كان بين بني العباس وبني أمية من الوحشة
الشديدة والعداوة - فأنشده سُديف:

لَا يُعَرِّنُكَ مَا تَرَى مِنْ أَنْاسٍ إِنَّ بَيْنَ الضُّلُوعِ دَاءٌ دَوِيَّا
فَضَعَ السَّيْفَ وَارْفَعَ السَّوْطَ حَتَّى لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أُمُويَّا
فأثار غضب أبي العباس فقتل سليمان من ساعته.

- ودخل أيضاً شبُل بن عبد الله - وكان في لسانه شراً ورهق كسابقه - على أبي العباس أيضاً
وعنده ثمانون من بني أمية، فأنشده قصيدة له محرّضاً عليهم:

أَقْصِهِمْ أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ وَأَقْطَعْ	عَنْكَ بِالسَّيْفِ شَأْفَةَ الْأَرْجَاسِ
ذُلُّهَا أَظْهَرَ التَّوَدُّدِ مِنْهَا	وَلَهَا مِنْكُمْ كَحَزِّ الْمَوَاسِي
وَلَقَدْ غَاظَنِي وَغَاظَ سَوَائِي	قُرْبُهَا مِنْ نَمَارِقٍ وَكَرَاسِي
أَنْزَلُوهَا بِحَيْثُ أَنْزَلَهَا اللَّهُ	هُ بِدَارِ الْهَوَانِ وَالْإِنْعَاسِ
وَادْكُرُوا مَصْرَعَ الْحُسَيْنِ وَزَيْدِ	وَقَتِيلًا بِجَانِبِ الْمِهْرَاسِ
وَالْقَتِيلَ الَّذِي بِحَرَّانَ أَمْسَى	ثَاوِيًا بَيْنَ غُرْبَةٍ وَتَنَاسِي

فلما سمع ذلك أبو العباس تنكّر، وأمر بهم فقتلوا، وألقى عليهم البساط وجلس للغداء،
وإن أنين بعضهم لئسمع.

- ومن ذلك خبر الأخوص الشاعر، وقد تحامل عليه أمير المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم تحاملاً شديداً، فشخص إلى الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي، فأنشده قصيدةً يمتدحه فيها، قال فيها مُتَظَلِّمًا:

[البسيط]

لَا تَرْتِينَ لِحَزْمِي ظَفَرْتَ بِهِ يَوْمًا وَلَوْ أَلْقَى الْحَزْمِي فِي النَّارِ
النَّاحِسِينَ لَمَرَّوَانِ بِذِي خُشْبٍ وَالْدَاخِلِينَ عَلَى عُثْمَانَ فِي الدَّارِ
فقال له الوليد: صدقت والله، لقد غفلنا عن حزم وآل حزم. وأمر باستئصال أموالهم وإسقاطهم جميعاً من الديوان.

- ومن ذلك: خبر إبراهيم بن المهدي لَمَّا وَثَبَ عَلَى المأمون، وكان قد اقترض من التجار مالاً كثيراً، وكان فيه مالٌ لعبد الملك الزيات، فلمَّا لم يتم له أمر الخروج لوى التجار أموالهم ولم يرجعها^(١) إليهم، فصنع محمد بن عبد الملك الزيات قصيدةً يُخاطب بها الخليفة المأمون، ولم يعرضها على المأمون وإنما عرضها على إبراهيم - يهدده كأنه يقول: إن لم ترجع مال أبي عرضتها على المأمون - قال:

[الطويل]

تَذَكَّرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قِيَامَهُ بِأَيْمَانِهِ فِي الْهَزْلِ مِنْهُ وَفِي الْجِدِّ
وَوَاللَّهِ مَا مِنْ تَوْبَةٍ نَزَعَتْ بِهِ إِلَيْكَ وَلَا مَيْلٍ إِلَيْكَ وَلَا وَدِّ
وَكَيْفَ بِمَنْ قَدْ بَايَعَ النَّاسُ وَالتَّقَتْ بِبَيْعَتِهِ الرُّكْبَانُ غَوْرًا إِلَى نَجْدِ
وَمَنْ صَكَ تَسْلِيمَ الْخِلَافَةِ سَمْعَهُ يُنَادِي بِهَا بَيْنَ السَّمَاطِينَ عَنْ بُعْدِ
وَأَيُّ امْرِئٍ سَمَّى بِهَا قَطُّ نَفْسَهُ فَفَارَقَهَا حَتَّى يُغَيِّبَ فِي اللَّحْدِ

(١) يَرْجِعُهَا (يفتح حرف المضارعة الياء لأن رجوع يتعدى بنفسه في اللغة الفصحى وبها جاء القرآن

"فرجعناك إلى أمك" و"فإن رجعتك الله" ويجوز ضم حرف المضارعة)

وعرضها على إبراهيم فاستحلفه أن يكتُمها، وأدَّى مَالَ أبيه دون سائر التجار.

- ومن الأخبار في هذا: أنه لما دخلت بريطانيا اليمن قام أحد الأسيّخ وخطب وكان

شاعراً، فقال في خطبته:

[الخفيف]

يَا بَرِيْطَانِيَا رُوِيْدًا رُوِيْدًا إِنَّ بَطْشَ الْإِلَهِ كَانَ شَدِيْدًا
إِنَّ بَطْشَ الْإِلَهِ أَهْلَكَ فِرْعَو نَ وَعَادًا مِّنْ قَبْلِكُمْ وَثُمُوْدًا
إِنْ تُبِيْدُوا مِنَ الْبُيُوتِ بَطِيًّا رَاتِكُمْ مَا غَدَا لَدَيْنَا مَشِيْدًا
فَلَنَّا فِي الْجِبَالِ تِلْكَ يُيُوْتُ صَنَعْتَهَا أَجْدَاذُنَا لَمْ تَبِيْدَا
لَا تَظُنُّوْا هَدمَ الْمَدَائِنِ يُوهِي عَزَمْنَا أَوْ يُلِيْنُ بَأْسًا صَلُوْدًا
فَالنِّزَالَ النَّزَالَ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ مِّنْ لَّدَى الْحَرْبِ لَا يَخَافُ الْجُنُوْدَا
لِتَرَوْا مَنْ يَّبِيْتُ مِنَّا وَمِنْكُمْ مُوثَقًا عِنْدَ خَصْمِهِ مَصْفُوْدًا
مَا خَضَعْنَا لِلتُّرْكِ مَعَ قُرْبِهِمْ فِي الدِّ دِيْنِ مِنَّا فَكَيْفَ نَرْضَى الْبَعِيْدَا
وَهُمْ فِي الْأَنَامِ أَشْجَعُ جَيْشٍ فَاسْأَلُوهُمْ: هَلْ صَادَفُونَا فُهوْدَا؟
يَا بَنِي قَوْمِنَا سِرَاعًا إِلَى اللَّ هِ فَقَدْ فَازَ مَنْ يَّمُوْتُ شَهِِيْدَا
سَارِعُوا سَارِعُوا إِلَى جَنَّةٍ قَدْ فَازَ مَنْ جَاءَهَا شَهِِيْدَا سَعِيْدَا
وَالْبُسُوَا حُلَّةً مِّنَ الْكَفَنِ الْغَا لِي وَبِيعُوا الْحَيَاةَ بَيْعًا مَّجِيْدَا

قالوا: فكان من أثرها أن خرج مئة ألف لمقاومة العدو وأخرجوهم.

ومن دواعي العناية بالأدب:

١٠- أنه يَكْسِبُ^(١) حُسْنَ الْبَدِيْهِةِ ونحن بحاجة ماسّة إلى سرعة البديهة بدلاً من العيِّ

والحَصْر، ولعلنا نَطَوِّفُ مع شيء من هذه الأخبار.

(١) يقال: كَسَبْتُ الرَّجُلَ خَيْرًا وَأَكْسَبْتُهُ خَيْرًا والأول أعلى كما في اللسان والتاج وقد روي بهما قوله:

يُعَاتِبُنِي فِي الدِّينِ قَوْمِي وَإِنَّمَا دُيُونِي فِي أَشْيَاءِ تُكْسِبُهُمْ حَمْدًا

- من ذلك: خبر سَحْبَانَ - وكان خطيبَ العرب بأسرها غير مُنَازَع ولا مُدَافِع - يقال: إِنَّ معاوية - رضي الله عنه - وَفَدَ عليه وَفْدٌ من خُراسان فَطَلَبَ سَحْبَانَ، فلم يوجد عامة النهار، ثم اقْتَضَبَ من ناحية كان فيها اقتضاباً وجيء به إلى مجلس الخليفة، والوفد أمامه والناس مجتمعون، وقيل له: تكلم في مقام الخلافة، فقال: انظروا لي عصاً تُقيم من أَوْدِي، فقالوا: ما تصنع بالعصا وأنت بحضرة أمير المؤمنين؟ قال: ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه وعصاه في يده فضحك معاوية وقال: هاتوا عصاه، فاتكأ على العصا وخطب من بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر، ما تنحنح ولا أعاد كلمة ولا تردد ولا ابتدأ في معنى فخرج عنه وقد بقي عليه فيه شيء، فقال له معاوية: إنك أخطب العرب! قال سحبان: والعجم والإنس والجن.

[الطويل]

وهو القائل:

لَقَدْ عَلِمَ الْحَيُّ الْيَمَانُونَ أَنَّنِي إِذَا قُلْتُ: أَمَّا بَعْدُ أَنَّنِي خَطِيبُهَا
- ومن ذلك: أن الرَّشِيدَ قال مرةً لَشُرِيحِ الْقَاضِي: آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَيْسَ لَكَ وَلَا لِقَوْمِكَ حِظٌّ مِنْهَا. قال: وما هي؟ قال: {وَأَنَّهُ لَذِكْرُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} - أي أن القرآن شرفٌ لك ولقَوْمِكَ، وهارون الرشيد عباسي يفتخر بهذا - فقال له شُرِيح: وآيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَيْسَ لِي وَلَا لِقَوْمِي حِظٌّ مِنْهَا، قال: وما هي؟ قال: {وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ}.

- وقال أحدهم لصاحبه: قد كنتَ عند الأمير فما ولَّاك؟ قال: ولَّاني قفاه.

- وأبو العِيْناء محمد بن القاسم بن خلَّاد له أخبار كثيرة في كتب الأدب في حسن الجواب وسرعة البديهة.

قيل له مرة: هل بقي في دهرنا من يُلقى؟ قال: نعم، في البئر.

ولقيه رجل من إخوانه في السَّحَر فجعل يعجب من بكوره فقال أبو العيناء: أراك تشاركني في الفعل وتفردني بالتعجب!

وقال له المتوكل يومًا: ما أشدُّ ما عليك في ذهاب بصرك؟ قال: ما حُرْمَتُهُ يا أمير المؤمنين من رؤيتك مع إجماع الناس على جمالك.

ودخل أبو العيناء عليه مرةً فقال له: يا أبا العيناء، كيف ترى دارنا؟ -يمازحه- فقال: يا أمير المؤمنين، رأيت الناس يبنون دورهم في الدنيا، وأنت تبني الدنيا في دارك.

وسأله المتوكل مرةً عن حاله فقال: في أحوال مختلفة، خيرها رؤيتك، وشرها غيبتك.

وحضر يومًا مجلسَ بعض الوزراء، فتفاوضوا حديث البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من الجود، فقال الوزير لأبي العيناء -وكان قد بالغ في وصفهم وما كانوا عليه من البذل والإفضال-: قد أكثرت من ذكرهم ووصفك إياهم، وإنما هذا تصنيف الوراقين، وكذب المؤلفين. فقال له أبو العيناء: فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير! فسكت الوزير، وعجب الحاضرون من إقدامه عليه.

- ومن عجيب أخبار البديهة ما يروى من خبر أبي تَمَّام مع أحمد بن المُعْتَصِم، وذلك أنه قال في مدح أحمد بن المعتصم وهو ابن الخليفة:

[الكامل]

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمٍ أَخْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَّاسٍ
فقال له الكندي وكان حاضرًا وأراد الطعن عليه: ما زدت على أن شبَّهت الأمير بأجلاف العرب! ومن هؤلاء الذين ذكرت؟! فأطرق أبو تمام يسيرًا ثم ارتجل بيتين زادهما في القصيدة لوقته لم يكونا فيها وهما قوله:

[الكامل]

لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَن دُونَهُ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنُّبْرَاسِ
فعجب أحمد بن المعتصم وجميع من حضره من فطنته وذكائه وأضعف أحمد جائزته.

يقول: لا تنكروا قولي: إن إقدامه كإقدام عمرو وهو أشجع منه، وسماحته كسماحة حاتم وهو أكرم منه، وحلمه كحلم الأحنف وهو أحلم منه، وذكاءه كذكاء إياس وهو أذكى منه؛ لأن الله تعالى قد شبه نوره بما هو أقل منه فقال تعالى: {مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ} ونور الله ﷻ أعظم لكن المراد ضرب المثل.

- ومن الأخبار في ذلك: أن الطِّرِمَاح قال يومًا للفرزدق: يا أبا فراس، أنت القائل: [الكامل]
إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ
أعز من ماذا؟ وأطول من ماذا؟ وأذن المؤذن وهو يسأله، فقال الفرزدق: ألا تسمع ما يقول
المؤذن؟ الله أكبر، أكبر من ماذا؟ يعني أنه أكبر من كل شيء، فكذاك بيت دعائمه أعز من
كل عزيز وأطول من كل طويل، فانقطع الطِّرِمَاح انقطاعًا ظاهرًا.

- ومن ذلك: ما ذكر من أن أبا تمام لقي مرةً ديك الجن، وهو طفل يلعب، ويدعي قول
الشعر، فأراد أبو تمام أن يختبره، فقال: إن كنت شاعرًا كما تقول فأجز -أي أكمل-:
[الخفيف]

فَرَّقُوا بَيْنَ مَنْ أَحَبُّ وَبَيْنِي

فقال ديك الجن: أبعد أم أقرب؟ قال: بعد. قال:

مِثْلَ بُعْدِ السَّمَاءِ وَالْفَرْقَدَيْنِ

قال: قَرَّب. قال:

مِثْلَ مَا بَيْنَ حَاجِبِي وَعَيْنِي

ذكرها في كتاب بدائع البدائيه وفيه: (لا أَتَقَلَّدُ صِحَّتَهَا) وفيها نكارة فإن ديك الجن وُلِدَ سنة إحدى وستين ومئة فهو أَسَنُّ من أبي تمام الذي وُلِدَ سنة ثمان وثمانين ومئة بل إن أبا تمام أخذ عن ديك الجن كما في ترجمة ديك الجن من تاريخ الإسلام للذهبي والوافي بالوفيات للصفدي. وأيًا كان السائل والمجيب فهي من بدائع البدائيه.

- ومن ذلك: أن ابن سيرين كان إذا اقْتَضَى - طُلِبَ منه قضاء الدين - قال: أعطيك في أحد اليومين. فيظن السامع أنه يقصد أعطيك اليوم أو غداً، وهو يريد الدنيا والآخرة.

- وكان المَرُودِيُّ ومُهَنَّأٌ عند الإمام أحمد، فطرق طارقُ الباب وقال: أين المَرُودِيُّ؟ فرؤي كراهة هذا في وجه المروذي، فقال مُهَنَّأٌ - ووضع إصبعه على باطن كفه-: ليس المَرُودِيُّ هاهنا، وما يصنع المَرُودِيُّ هاهنا؟ فذهب الرجل وتبسم الإمام أحمد.

- وأُخْضِرَ الثوريُّ إلى مجلس المهدي فأراد أن يقوم فمُنِعَ، فحلف بالله أنه يعود، فترك نعله وخرج ثم رجع فلبسها ولم يعد، فقال المهدي: ألم يحلف أنه يعود؟ فقالوا: إنه عاد فأخذ نعله.

- وذكر ابن سيرين أن رجلاً كان يصيب بالعين، فرأى بغلة شريح فأراد أن يَعِينَهَا ففطن له شريح. فقال: إنها إذا رَبَضَتْ لم تقم حتى تقام. فقال الرجل: أف أف. وسلمت بغلته. وإنما أراد: أن الله - سبحانه وتعالى - هو الذي يقيمها.

- وأبو حنيفة جاءه رجل فقال له: أدركني قبل الفجر وإلا طلقت امرأتي. قال: ما ذاك؟ قال: إنها تركت كلامي الليلة. فقلت لها: إن لم تحدثيني قبل الفجر فأنت طالق. ففَرِحَتْ، وهي لا تحدثني، فقال أبو حنيفة - وكان صاحب بديهة حاضرة -: اذهب إليها وقل: حدثيني قبل أن يؤذن المؤذن. ثم اذهب إلى المؤذن وقل له يؤذن قبل الفجر ثم اجلس

إليها، ففعل الرجل فلما سَمِعَتِ المؤذن قالت: الحمد لله استرحتُ منك. قال: الحمد لله رجعت إليّ؛ لم يطلع الفجر!

- وقال الرشيد مرةً للفضل بن الربيع - وهو صغير - : دارُنَا أحسن أم داركم؟ فقال: إن كان أمير المؤمنين في دارنا فدارنا أحسن، وإن كان في داره فداره أحسن.

- ومن ذلك ما وقع لأبي عبدالله بن مرزوق، وكان قد ذهب إلى بلدٍ وطلبوا منه أن يقعد على المنبر ويفسر لهم شيئاً من القرآن، واتفقوا معه على آياتٍ يقرؤونها، وكان غريباً عن هذا البلد، فلما جلس على المنبر قرأ القارئ آيات غير التي ذكروا له؛ قرأ قوله تعالى: **{وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنشَلَخَ مِنْهَا}** فشرع ابن مرزوق ينفق مما آتاه الله من العلم حتى بلغ قوله تعالى: **{فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ}** فذكر فضائل الكلب، ثم قال: إلَّا أنَّ فيه خصلةً ذميمةً وهي أنه ينبح الغريب يعرض بهم ثم نزل عن المنبر.

- والأموي صاحب الأندلس كتب إليه نزار العبّدي صاحب مصر كتاباً سبّه فيه وهجاه، فكتب إليه الأموي: أما بعد، فإنك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك. فاشتد هذا على نزار وأفحمه عن الجواب.

وكان العبّديون يدّعون أنهم من آل البيت ويذكرون نسبهم على المنبر، حتى إنَّ العزيز أحد خلفائهم - وكانوا أربعة عشر متخلفاً لا خليفة قاله الذهبي في سير أعلام النبلاء، ولما تكلم في تاريخ الإسلام عن عبيدالله الملقب بالمهدي أول من قام من الخلفاء الخوارج العبّدية الباطنية قال: ويا حبذا لو كان رافضياً وبساً، ولكنه زنديق - صعد المنبر في أول ولايته يوم جمعة فوجد رقعةً مكتوباً فيها:

[السريع]

إِنَّا سَمِعْنَا نَسَبًا مُنْكَرًا يُتْلَى عَلَى الْمُنْبَرِ فِي الْجَامِعِ
إِنْ كُنْتَ فِيمَا تَدْعِي صَادِقًا فَادْكُرْ أَبَا بَعْدَ الْأَبِ الرَّابِعِ

وَإِنْ تُرِدْ تَحْقِيقَ مَا قُلْتُهُ فَانْسُبْ لَنَا نَفْسَكَ كَالطَّائِعِ
أَوْ لَا دَعِ الْأَنْسَابَ مَسْتُورَةً وَادْخُلْ بِنَا فِي النَّسَبِ الْوَاسِعِ
فَإِنَّ أَنْسَابَ بَنِي هَاشِمٍ يَقْضُرُ عَنْهَا طَمَعُ الطَّامِعِ
والطائع هو الخليفة العباسي في ذلك الوقت وهو معروف النسبة.

وكانوا يدعون علم الغيب، صعد العزيز مرة فوجد رقعة مكتوبًا فيها: [البسيط]

بِالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ قَدْ رَضِينَا وَلَيْسَ بِالْكَفْرِ وَالْحَمَاقَةِ
إِنْ كُنْتَ أُعْطِيتَ عِلْمَ غَيْبٍ فَادْكُرْ لَنَا صَاحِبَ الْبَطَاقَةِ
- ومن الأخبار في البديهة: خبر الإمام الشوكاني، فإنه ألّف كتابه: السَّيْلُ الْجَرَّارُ في شرح
حدائق الأزهار. وحدائق الأزهار من متون الزَّيْدِيَّةِ، فَرَدَّ الأقوال غير المَبْنِيَّةِ على دليل،
فغضب لهذا بعضهم وألّف كتابًا سماه: الْعَظْمُ الْمُتَدَفَّقُ على حدائق الأزهار
لِيُطَهَّرَهُ من رجس السيل الجرار، فلما بلغ ذلك الشوكاني قال: هذا ليس بفقيه؛ ألا يعلم أن
السيل لا ينجس!

ومرّة سقطت عمامته وهو يصلي فحملها ووضعها على رأسه فأنكروا عليه بعد الصلاة
فقال: حمل عِمَامَةٍ، أَهْوَنُ من حمل أُمَامَةٍ. يشير إلى ما في الصحيحين من صلاته -صلى
الله عليه وسلم- وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

- ومن الأخبار في هذا: أن الشيخ محمد عالي ولد عبد الودود الشنقيطي -رحمه الله-
جاءه رجل وكان قد أنشد قصيدة نونية، قال فيها (فَنُوا) بضم النون فأنكروا عليه، وقالوا:
إن الصواب فتح النون.

فجاء الشيخ محمد عالي وأخبره فقال الشيخ: {نَسُوا الذِّكْرَ} يريد به شيئين:
أحدهما: أن فنوا مثل نسوا فالذي قاله صحيح.

والآخر: أنهم لم ينتبهوا إلى الآية، ولو انتبهوا لعلموا أن الصواب ضم النون.

- وأتى رجل الشيخ محمد عبد الله ولد الصديق الشنقيطي - رحمه الله - فقال: صلة ميم
الجمع عند ورش لا نعرفها، فهل لها شاهد يشهد لها؟ قال الشيخ: نعم لها شاهد وهو قول
الشاعر:

فَمَنْ أَنْتُمْ إِنَّا نَسِينَا مَنْ أَنْتُمْ وَرِيحُكُمْ مِنْ أَيِّ رِيحِ الْأَعَاصِرِ
قَضَى اللَّهُ خَلْقَ النَّاسِ ثُمَّ خُلِقْتُمْ بَقِيَّةَ خَلْقِ اللَّهِ آخِرَ آخِرِ
فَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَّا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَلَمْ تُدْرِكُوا إِلَّا مِدَقَّ الْحَوَافِرِ
قيل: إنه لم يُقَلَّ في الاحتقار أبلغ من هذه الأبيات!

- ومن الأخبار البديهة: أن ابن الرِّقَاع أنشد قصيدة في مجلس الوليد بن عبد الملك في
وصف الخمر، فقال الوليد: قد والله وصفتها فأجدت وصفها، حتى ارتبت بك. فقال ابن
الرِّقَاع: وأنا والله يا أمير المؤمنين قد ارتبت بك؛ كيف عرفت أني أجدت وصفتها؟ فضحك
الوليد وتركه.

- ومن ذلك ما وقع لعوف بن مُحَلَّم، فإنه رأى الأمير طاهر بن الحسين على حَرَّاقَة -
ضرب من السفن - وكان على الجسر فنادى بهذه الأبيات:

عَجِبْتُ لِحَرَّاقَةِ ابْنِ الْحُسَيْنِ مِنْ كَيْفَ تَعُومُ وَلَا تَغْرُقُ
وَبَحْرَانِ مِنْ تَحْتِهَا وَاحِدٌ وَآخَرُ مِنْ فَوْقِهَا مُطْبِقُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ عِيدَانُهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ

فكانت هذه الأبيات سبب اتصاله به وكان عوفُ صاحبَ نوادرٍ وأخبارٍ ومعرفةٍ بأيام الناس فاختره الأمير طاهر بن الحسين لمناذمته ومسامرته، فكان لا يسافر إلا وهو معه، وبقي كذلك ثلاثين سنة لا يفارقه، وكلما استأذن عوفُ في الانصراف إلى أهله ووطنه لا يأذن له من فرط محبته له، إلى أن مات الأمير طاهر وولي بعده ابنه عبد الله وكان أشدَّ تعلقاً به من أبيه طاهر، فأنزله منزلته من أبيه، وأفضلَ عليه حتى كثر ماله وحسنت حاله، فاتفق أن خرجوا مرةً فسمع عبد الله بن طاهر صوت عندليب يغرد أحسن تغريد فقال: قاتل الله أبا كبير الهذليّ إذ يقول:

[الطويل]

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ إِلْفُكَ حَاضِرٌ وَغُضُنُكَ مِيَّادُ فَنِيمٍ تَنُوحُ
أَفِقْ لَا تَنْحُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ فَإِنِّي بَكَيْتُ زَمَانًا وَالْفُؤَادُ صَحِيحُ
وَلَوْ عَا فَشَطَّتْ غُرْبَةً دَارُ زَيْنَبٍ فَهَذَا أَنَا أَبْكِي وَالْفُؤَادُ قَرِيحُ

فقال عوف بن محمّل: أحسن والله وأجاد أبو كبير، إنه كان في الهذليين مئةً وثلاثون شاعراً، ما فيهم إلا مُفْلِقٌ، وما كان فيهم مثل أبي كبير وأخذ يصفه، فقال له عبد الله: أقسمت عليك إلا أجزت قوله، فقال له: قد كَبِرَتْ سَنِي وفني ذهني وأنكرتُ كلَّ ما كنت أعرفه. فألحَّ عليه عبد الله، فتذكر إذ ذاك عوف بن محمّل عياله الذين لم يرههم منذ ثلاثين سنة، فقال على البديهة والارتجال -وهو من بدائع البدائه-:

أَفِي كُلِّ عَامٍ غُرْبَةً وَنُزُوحُ أَمَّا لِلنَّوَى مِنْ وَنِيَةٍ فَتَرِيحُ
لَقَدْ طَلَحَ الْبَيْنُ الْمُشْتُ رَكَائِبِي فَهَلْ أَرَيْنَ الْبَيْنَ وَهُوَ طَلِيحُ
وَأَرَقْنِي بِالرِّيِّ نَوْحُ حَمَامَةٍ فَنَحْتُ وَذُو الشَّجْوِ الْحَزِينُ يُنُوحُ
عَلَى أَنَّهَا نَاحَتْ وَلَمْ تُذِرْ دَمْعَةً وَنَحْتُ وَأَسْرَابُ الدُّمُوعِ سُفُوحُ
وَنَاحَتْ وَفَرَّخَاهَا بِحَيْثُ تَرَاهُمَا وَمِنْ دُونِ أَفْرَاحِي مَهَامُهُ فِيحُ
أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ إِلْفُكَ حَاضِرٌ وَغُضُنُكَ مِيَّادُ فَنِيمٍ تَنُوحُ
عَسَى جُودُ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يَعْكِسَ النَّوَى فَتُضْجِي عَصَا التَّسْيَارِ وَهِيَ طَرِيحُ

فَإِنَّ الْغِنَى يُدْنِي الْفَتَى مِنْ صَدِيقِهِ وَعُذْمُ الْفَتَى بِالْمُغْرِبِينَ طَرُوحُ
فاستعبر عبدالله ورقاً له وجرت دموعه، وقال: والله إنني لضمنُ بمفارقتك، شحيحٌ على
الفائت من محاضرتك، ولكن والله لا أعملت خفّاً ولا حافراً إلا راجعاً إلى أهلك وأمر له
بثلاثين ألف درهم.

المجلد الخامس

في هذا المجلس:

الحادي عشر: الأدب يثمر السلامة من اللحن:

- خبر سبب طلب سيويه العربية.

- خبر سبب طلب أبي زيد النحوي الأدب.

- تأويل رؤيا من رأى أنه يصنع طعامًا ويضع فيه ملحًا.

- لِمَ باؤك تجرّ وبائي لا تجر!

- خبر المولع بالنصب.

الثاني عشر: الأدب يُدبُّ به عن الأحساب وتحمى به القبائل.

- خبر زياد الأعجم مع الفرزدق

- خبر ابن بشير الأنصاري مع ابن عمه الأحوص.

الثالث عشر: الأدب تُخلد به مفاخر الإسلام.

كان فتح أبي تمام لعمورية بشعره أعظم من فتح المعتصم لها بجيشه.

- ما فتح عمورية أمام معركة شقحب ومعركة الزلاقة!

- خبر فتح قتيبة لكاشغر أدنى مدائن الصين وقول هبيرة بن مُشمرج لملك الصين:

كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون! وأما

تخويفك إيانا بالقتل، فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل، ولسنا نكرهه ولا نخافه،

وقد حلف قتيبة أن لا ينصرف حتى يطاء أرضكم ويختتم ملوككم ويُعطى الجزية.

الرابع عشر: الأدب يمضي الشفاعات.

- شفاعة علقمة بن عبدة الشاعر في أخيه عند الحارث بن أبي شمر الغساني.

- شفاعة أمية بن الأسكر في ابنه كلاب عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- شفاعة أبي تمام للوائح عند أبيه المعتصم في أن يوليّه العهد.
- شفاعة أبي تمام في بني تغلب عند مالك بن طوق.
- شفاعة الفرزدق في حُنيّس عند تميم بن زيد.

الخامس عشر: الأدب يستنجز الصلوات ويستخلص الوعود المنتهية بالحرمان.

- الشاعر الذي وعده معن بن زائدة بصلة فأبطأ عليه.
- دعبل مع بعض أمراء الرّقة.
- أبو العتاهية مع عمرو بن العلاء حين تأخر عنه برّه.
- بشار يأخذ بلجام بغلة خالد البرمكي وهو في طريقه إلى المسجد ويستنجز صلته.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فما زلنا في فوائد الاشتغال بعلم الأدب والثمرات التي يجتنيها مَنْ حَصَلَه.

من ذلك:

١١ - السلامة من اللحن: والمقصود باللحن هنا الخطأ.

- وقد مرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على نَفَرٍ يَتَمَرَّنُونَ بالسَّهَامِ، فوجدهم لا يُحَسِّنُونَ فَأَنَّبَهُمْ، فقالوا: إنا قومٌ متعلمين. فقال: والله لَخطوكم في لسانكم أشدُّ عليَّ من خطئكم في رميكم. كان ينبغي أن يقولوا: متعلمون.

- وقد أخرج الخطيبُ البغدادي في كتابه الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، عن سيبويه أنه جاء الخليل بن أحمد فشكا إليه حماد بن سلمة، قال: سألته عن حديث هشام بن عروة عن أبيه في رجل رَعَفَ، فانتهرني وقال لي: أخطأت؛ إنما هو رَعَفَ -بفتح العين- فقال له الخليل: صدق، أتلقى بهذا الكلام أبا سلمة!

- وقال وكيع: أتيتُ الأعمشَ أسمع منه الحديث، فكنت ربما لَحَنْتُ، فقال لي: يا أبا سفيان، تركتَ ما هو أولى بك من الحديث! فقلت: وأي شيء يا أبا محمد أولى بي من الحديث؟! فقال: النحو. فأملئ عليَّ الأعمش النحو، ثم أملئ عليَّ الحديث.

- وقال أبو زيد النحوي: كان الذي حَدَّثاني على طلب الأدب والنحو: أني دخلت على جعفر بن سليمان، فقال: ادْنُ. فقلت: أنا دَنِيٌّ. فقال: لا تقل -يا بُنَيَّ- أنا دَنِيٌّ، ولكن قل: أنا دَانٍ.

- وكان عبد الملك بن مروان يقول: اللحن في الرجل السريّ -أي الشريف- كالجُدريّ في الوجه.

- وقال الشَّعْبِيّ: النحو في العلم كالملح في الطعام؛ لا يستغنى عنه.

- ومن طريف ما يذكر: أنه دخل رجل على ابن سيرين، فقال: إني رأيت في المنام أني أصنع طعامًا وأضع فيه ملحًا. فقال: أنت طالب علم، وأنت الآن تطلب النحو. وكذلك كان.

- وقد كان السلف يضربون أولادهم على اللحن.

- وقال الأصمعي: أخوف ما أخافه على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في قوله -صلى الله عليه وسلم-: «من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكن يلحن، فمهما رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه. ولذلك قال الحافظ العراقي في ألفية الحديث: [الرجز]

وَلْيَحْذَرْ اللَّحَّانَ وَالْمُصَحِّفَا عَلَى حَدِيثِهِ بِأَنْ يُحَرِّفَا
فَيَدْخُلَا فِي قَوْلِهِ مَنْ كَذَبَا فَحَقُّ النَّحْوِ عَلَى مَنْ طَلَبَا
-وقد دخل أعرابي مرة السوق فسمعهم يلحنون، فقال: سبحان الله! يلحنون ويربحون، ونحن لا نلحن ولا نربح!

- وقيل لبعضهم: ما فعل أبوك بحماره؟ قال: باعه. فقيل: لم قلت: باعه؟ قال: لم قلت أنت: بحماره؟ قال: لأنني جررته بالباء. قال: فلم تجرُّ بأوك وبائي لا تجرُّ!

- وتكلم بعض الخلفاء في مجلس فيه أعرابي فلحن الخليفة، فصرَّ الأعرابيُّ أذنيه، فلحن مرة أخرى -أعظم من الأولى- فقال الأعرابي: أفَّ لهذا، ما هذا! فلحن الثالثة، فقال الأعرابي: أشهد لقد وليت هذا الأمر بقضاءٍ وقدر!

- وقال أبو زيد الأنصاريّ: كنت ببغداد فأردت الانحذار إلى البصرة، فقلت لابن أخي: اكْتَرِ لَنَا. فجعل ينادي: يا معشر الملاحون -بالرفع- فقلت له: ويلك ما تقول! قال: جُعِلْتُ فداك أنا مولعٌ بالنصب!

- ودخل مرةً خالد بن صفوان مكان الاستحمام وفيه رجل مع ابنه، فأراد هذا الرجل أن يُعرِّف خالدًا ما عنده من البيان والفصاحة، فقال: يا بني، ابدأ بيداك ورجلاك، ثم التفت إلى خالد وقال: يا خالد، هذا كلام قد ذهب أهله. فقال خالد: هذا كلامٌ ما خلق الله له أهلاً قط.

- وقد استأذن رجل على إبراهيم النَّخَعِيّ فقال: أبا عمران في الدار؟ فلم يجبه، فقال: أبي عمران في الدار؟ فناده من داخل الدار وقال: قل الثالثة وادخل.

- وقال رجل لصاحبه: عرفتُ النحو، إلا أنني لا أعرف هذا الذي يقولون: أبو فلان وأبا فلان وأبي فلان فقال: هذا أسهل شيءٍ في النحو: أبا لمن عظم قدره، وأبو للمتوسطين، وأبي لمن دون ذلك. فقال: علمتني علمك الله!

ونحن نسأل الله أن يجنبنا هذا العلم الذي لا ينفع.

- وقد دخل مرة رجل مع خصمه على القاضي وقال: يا أيها القاضي، لي عليه درهمان. فقال خصمه: يا أيها القاضي هي ثلاثة دراهم لكنه أراد أن يظهر الإعراب فضيع درهماً منها.

- وقيل لبعضهم: من أين أقبلت؟ قال: من عند أهلونا. وكان صاحبه أشد غفلةً منه، فقال: ما أفصحك! أنا أعرف من أين أخذتها، أخذتها من {شَغَلْتَنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا}.

- ولقي رجلٌ صاحبه - وكان صاحبه من أهل الأدب - وخاف أن يلحن فقال: أخاك أخوك أخيك في الدار؟ قال: لا لولي.

- وكان الحسن البصري إذا عثر لسانه بشيء من اللحن قال: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ. فقليل له في ذلك، فقال: من أخطأ فيها فقد كذب على العرب، ومن كذب فقد عمل سوءاً، والله - عز وجل - يقول: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا}.

ومن دواعي العناية بالأدب:

١٢- أن الأدب تُحمى به الأعراض ويُدبُّ به عن الأنساب، وربما حمى الشاعر قبيلته. - ومِمَّنْ حمى قبيلته: زيادُ الأعجم؛ وذلك أن الفرزدق همَّ بهجاء عبد القيس، فبلغ ذلك زياداً، فبعث إليه أن لا تعجل وأنا مهد لك بهدية، فانتظر الفرزدق الهدية فجاءته وكانت أبياتاً يقول فيها:

فَمَا تَرَكَ الْهَاجُونَ لِي إِنْ هَجَوْتُهُ مَصَحَّحًا أَرَاهُ فِي أَدِيمِ الْفَرَزْدَقِ
وَلَا تَرَكَوْا عَظْمًا يُرَى تَحْتَ لَحْمِهِ لِكَاسِرِهِ أَبْقَوْهُ لِلْمُتَعَرِّقِ
سَأَكْسِرُ مَا أَبْقَوْا لَهُ مِنْ عِظَامِهِ وَأَنْكُتُ مَخَّ السَّاقِ مِنْهُ وَأَنْتَقِي
فَأَنَا وَمَا تُهْدِي لَنَا إِنْ هَجَوْتَنَا لَكَالْبَحْرِ مَهْمَا يُلْقَى فِي الْبَحْرِ يَغْرَقُ
فلما بلغت الأبيات كفَّ الفرزدق عما أراد وقال: لا سبيل إلى هجاء هؤلاء ما عاش هذا العبد فيهم.

- وقريبٌ من هذا أن الأخوص بن محمد الأنصاريَّ الشاعر هجا رجلاً من الأنصار يقال له: ابن بشير وكان كثير المال، فاشترى ابن بشير هدية ووفد بها على الفرزدق مستجيراً به فأجاره، ثم قال: أين أنت من الأخوص؟ فقال: هو الذي أشكو، فأطرق الفرزدق ساعة ثم قال: أليس الذي يقول:

[الطويل]

أَلَا قِفْ بِرِسْمِ الدَّارِ فَاسْتَنْطِقِ الرَّسْمَا فَقَدْ هَاجَ أَحْزَانِي وَذَكَّرَنِي نُعْمَا
 قال: بلى. قال: والله لا أهجو شاعراً هذا شعره. فاشترى ابن بشير أنفُس من الهدية الأولى
 وقدم بها على جرير فاستجاره، فأجاره ثم قال له: ما فعل ابن عمك الأحوص؟ قال: هو
 صاحبي الذي هجاني، قال: أليس القائل: [الطويل]

تَمْشَى بِشْتُمِي فِي أَكَارِيْسِ مَالِكٍ يُشِيدُ بِهِ كَالْكَلْبِ إِذْ يَنْبَحُ النَّجْمَا
 قال: بلى. قال: والله لا أهجو شاعراً هذا شعره.

فاشترى ابن بشير أكثر من الهديتين، وأهداها إلى الأحوص وصالحه!

وهجا رجلٌ من بني حرامِ الفرزدق، فجاء به قومه يقودونه إليه، فقال الفرزدق: [الوافر]

وَمَنْ يَكُ خَائِفًا لِأَذَاةِ شِعْرِي فَقَدْ أَمِنَ الْهَجَاءَ بَنُو حَرَامِ
 هُمْ قَادُوا سَفِيهِهِمْ وَخَافُوا قَلَائِدَ مِثْلَ أَطْوَاقِ الْحَمَامِ

ومن دواعي العناية بالأدب:

١٣- أنه يُخْلَدُ مفاخر الإسلام.

أكثر الناس يعرفون فتح عَمُورِيَّة، والسبب في هذا أبيات أبي تَمَّام التي قال فيها: [البسيط]

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
 بِيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ
 وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَا مِعةً بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
 أَيْنَ الرُّوَايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا صَاغُوهُ مِنْ زُخْرَفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ
 تَخَرُّصًا وَأَحَادِيثًا مُلْفَقَةً لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبِ

ومن جميل ما فيها قوله:

إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ مَوْصُولَةٍ وَذِمَامٍ غَيْرِ مُتَقَضِبٍ
فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّائِي نُصِرْتَ بِهَا وَبَيْنَ أَيَّامِ بَذْرِ أَقْرَبِ النَّسَبِ
حتى قيل: كان فتح أبي تمام لعمورية بشعره أعظم من فتح المعتصم لها بجيشه!

وما فتح عمورية أمام معركة شقحب التي شارك فيها شيخ الإسلام ابن تيمية وهُزم فيها التتار.

ما فتح عمورية أمام الزلاقة التي حفظ الله بها الإسلام في الأندلس أكثر من أربع مئة سنة، حتى قال بعض المؤرخين: إن السبب في تأخر سقوط الأندلس أكثر من أربعة قرون معركة الزلاقة. وأكثر الناس لا يعرفها؛ لأنها لم تُرَزَقْ شاعراً يُخلِّدها، وعمورية خلَّدها أبو تمام.

- وخذ مثلاً على ذلك: في سنة ست وتسعين غزا قتيبة بن مسلم الباهلي كاشغراً، وهي أدنى مدائن الصين، فغنم وسبى، فكتب إليه ملك الصين: أن ابعث إليّ من يخبرني عنكم وعن دينكم. فانتخب قتيبة عشرة لهم جمالٌ وألسنٌ وبأسٌ وعقلٌ وصلاح، وأوفدهم عليه وكان منهم هُبيرة بن مُشمرَج الكلابي، وقال لهم قتيبة: إذا دخلتم عليه فأعلموه أنني قد حلفت أنني لا أنصرف حتى أطا بلادهم، وأختم ملوكهم، وأجبي خراجهم. فساروا وعليهم هُبيرة بن مُشمرَج فالتقوا بالملك فقال لهم: قولوا لصاحبكم: إني قد عرفت قلة أصحابه فلينصرف وإلا بعثت إليكم من يهلككم. فقال هُبيرة: كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون؟ وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل ولسنا نكرهه ولا نخافه، وقد حلف قتيبة أن لا ينصرف حتى يطا أرضكم، ويختم ملوككم، ويُعطى الجزية. فقال ملك الصين: إنا نخرجه من يمينه، ونبعث تراب أرضنا فيطؤه، ونبعث إليه بعض أبنائنا فيختمهم، ونبعث إليه بجزية يرضاها. فبعث إليه بهدية وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ثم أجازهم وقدموا على قتيبة،

فقبل قتيبة الجزية، وختم الغلمان وردهم، ووطئ التراب، فقال سَوَادَة بن عبد الملك
السُّلُولِي يخلد بشعره هذه المفخرة قال:
[الكامل]

لَا عَيْبَ فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ بَعَثْتَهُمْ لِلصَّيْنِ أَنْ سَلَكَوا طَرِيقَ الْمَنْهَجِ
كَسَرُوا الْجُفُونَ عَلَى الْقَذَى خَوْفَ الرَّدَى حَاشَا الْكَرِيمِ هُبَيْرَةَ بْنَ مُشْمَرَجٍ
لَمْ يَرْضَ غَيْرَ الْخَتَمِ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَرَهَائِنِ دُفَعْتُ بِحِمْلِ سَمَرَجٍ
أَدَى رِسَالَتِكَ الَّتِي اسْتَرْعَيْتَهُ وَأَتَاكَ مِنْ حِنْثِ الْيَمِينِ بِمَخْرَجِ
فأوفد قُتَيْبَةُ هُبَيْرَةَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ -مَاتَ فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ قَرْيَةٌ
مِنْ بِلَادِ فَارَسٍ - فَرَّثَاهُ سَوَادَةُ قَالَ:
[الكامل]

لِلَّهِ دُرُّ هُبَيْرَةَ بْنِ مُشْمَرَجٍ مَاذَا تَصَمَّنَ مِنْ نَدَى وَجَمَالِ
وَبَدِيهِةٍ يَغْيَا بِهَا أَبْنَاؤُهَا عِنْدَ احْتِفَالِ مَشَاهِدِ الْأَقْوَالِ
كَانَ الرَّبِيعَ إِذَا السُّيُوفُ تَتَابَعَتْ وَاللَّيْثَ عِنْدَ تَكَعُّعِ الْأَبْطَالِ
فَسَقَى بِقَرْيَةٍ حَيْثُ أَمْسَى قَبْرُهُ غُرٌّ يَرْحُنَ بِمُسْبِلِ هَطَّالِ
بَكَتِ الْجِيَادُ الصَّافِنَاتُ لِفَقْدِهِ وَبَكَاهُ كُلُّ مُثَقَّفٍ عَسَّالِ
وَبَكَتْهُ شُعْتُ لَمْ يَجِدْنَ مُوَاسِيًا فِي الْعَامِ ذِي السَّنَوَاتِ وَالْإِمْحَالِ

١٤ - الأدب يُمضي الشفاعات

من شواهد ذلك أنه لما قَتَلَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي شَمْرٍ الْغَسَانِيَّ الْمُنْذَرَ بْنَ مَاءِ السَّمَاءِ -وهو
المنذر الأكبر، وماء السماء أمّه- أَسَرَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، وَكَانَ فِيهِمْ أَسْرَ شَاسُ بْنُ عَبْدِ
فِي تَسْعِينَ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَبَلَغَ ذَلِكَ أَخَاهُ عُلْقَمَةَ بْنَ عَبْدِ الشَّاعِرِ صَاحِبَ أَمْرِ الْقَيْسِ
-وهو المعروف بعُلْقَمَةَ الْفَحْلِ- فَقَصَدَ الْحَارِثُ مَمْتَدِّحًا بِقَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي أَوْلَاهَا:

[الطويل]

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَانِ طَرُوبُ
فَأَنشده إياها، حتى بلغ قوله:

بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصَرَ حَانَ مَشِيبُ

إِلَى الْحَارِثِ الْوَهَّابِ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي
إِلَيْكَ أَيَّتَ اللَّعْنِ كَانَ وَجِيفُهَا
هَدَانِي إِلَيْكَ الْفَرْقَدَانِ وَلَا حِبُّ
بِهَا جِيفُ الْحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا
فَلَا تَحْرِمْنِي نَائِلًا عَنْ جَنَابَةٍ
وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ

لِكَلْكَلِهَا وَالْقُضْرَيْنِ وَجِيبُ
بِمُشْتَبِهَاتٍ هَوُلُهُنَّ مَهْيَبُ
لَهُ فَوْقَ أَصْوَاءِ الْمِتَانِ عُلُوبُ
فَبِيضُ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ
فَإِنِّي أَمْرُؤُ وَسَطَ الْقَبَابِ غَرِيبُ
فَحَقُّ لِسَاسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنْوُوبُ

فقال الحارث: نعم وأذنبه، وأطلق له شاسًا أخاه، وجماعة أسرى بني تميم، ومن سأل فيه
أو عرفه من غيرهم.

ومن شواهد ذلك أن كلاب بن أمية بن الأسكر خرج هو وأخ له إلى الجهاد في زمن عمر
ابن الخطاب -رضي الله عنه- وأميه يومئذ شيخ كبير قد ضعف بصره، فحزن عليهما،
وقال في ذلك أشعارًا، منها قوله:

يَا أُمَّ هَيْثَمَ مَاذَا قُلْتَ أَبْلَانِي
إِمَّا تَرِي حَجْرِي قَدْ رَكَ جَانِبُهُ
أَوْ مَا تَرِينِي لَا أَمْضِي إِلَى سَفَرٍ
وَلَسْتُ أَهْدِي بِلَادًا كُنْتُ أَسْكُنُهَا
يَا ابْنِي أُمِّيَّةُ إِنِّي عَنْكُمْ أَغَانِي
يَا ابْنِي أُمِّيَّةُ إِنْ لَا تَشْهَدَا كَبْرِي
إِذْ يَحْمِلُ الْفَرَسُ الْأَحْوَى ثَلَاثَتَنَا
أَصْبَحْتُ هُزُؤًا لِرَاعِي الضَّأْنِ أُعْجِبُهُ
انْعَقَ بِضَأْنِكَ فِي نَجْمٍ تُحْفَرُهُ
رَيْبُ الْمَنُونِ وَهَذَانِ الْجَدِيدَانِ
فَقَدْ يَسْرُكُ صُلْبًا غَيْرَ كَذَّانِ
إِلَّا مَعِي وَاحِدٌ مِنْكُمْ أَوْ اثْنَانِ
قَدْ كُنْتُ أَهْدِي بِهَا نَفْسِي وَصُحْبَانِي
وَمَا الْغِنَى غَيْرَ أَنِّي مُرْعَشُ فَانِي
فَلِإِنْ نَأْيُكُمْ وَالْثُكُلُ مِثْلَانِ
وَإِذْ فَرَأَقُكُمْ وَالْمَوْتُ سَيَّانِ
مَاذَا يَرِيكَ مِنِّي رَاعِي الضَّأْنِ
مِنْ الْأَبَاطِحِ وَاحْبِسْهَا بِجُمْدَانِ

إِنْ تَرَعْ ضَانًا فَإِنِّي قَدْ رَعَيْتُهُمْ بِيَضِ الْوُجُوهِ بَنِي عَمِّي وَإِخْوَانِي
وقال أيضًا:

سَأَسْتَعِدِّي عَلَى الْفَارُوقِ رَبًّا لَهُ عَمَدَ الْحَجِيجِ عَلَى اتِّسَاقِ
وَأَدْعُو اللَّهَ مُجْتَهِدًا عَلَيْهِ بِبَطْنِ الْأَخْشَيْنِ إِلَى دُفَاقِ
إِنَّ الْفَارُوقَ لَمْ يَرُدُّدْ كِلَابًا عَلَى شَيْخَيْنِ هَامُهُمَا زَوَاقِي

فبكى عمر بكاءً شديدًا، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص بالكوفة يأمره بإقفال كلاب بن أمية إلى المدينة، فلما دخل عليه قال له: ما بلغ من برك بأبيك؟ قال: كنت أوثره وأكفيه أمره، وكنت أعتمد إذا أردت أن أحلب له لبنًا أغزر ناقة في إبله وأسمنها فأريحها وأتركها حتى تستقر، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد، ثم أحلب له فأسقيه. فبعث عمر إلى أمية فجاء يتهادى وقد ضعف بصره وانحنى فقال له: كيف أنت يا أبا كلاب؟ فقال: كما ترى يا أمير المؤمنين. قال: فهل لك من حاجة؟ قال: نعم أشتهي أن أرى كلابًا فأشمه شمةً وأضمه ضمةً قبل أن أموت، فبكى عمر وقال: ستبلغ في هذا ما تحب إن شاء الله، ثم أمر كلابًا أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل ويبعث إليه بلبنها. ففعل فناوله عمر الإناء وقال: دونك هذا يا أبا كلاب. فلما أخذه وأدناه إلى فمه قال: لَعَمْرُ اللَّهِ يا أمير المؤمنين إني لأشم رائحة يدي كلاب من هذا الإناء. فقال له عمر: هذا كلاب عندك حاضر قد جئناك به. فوثب إلى ابنه فضمه إليه وقبله. وجعل عمر يبكي ومن حضره، وقال لكلات: الزم أبويك، فجاهد فيهما ما بقيا، ثم شأنك بنفسك بعدهما.

ومن شواهد أن أبا تمام الطائي شفع للوائق بالله هارون عند أبيه المعتصم في أن يؤكِّيه العهد، فقال قصيدته التي مطلعها:

الْحَقُّ أَبْلَجُ وَالشُّيُوفُ عَوَارِ فَحَذَارِ مِنْ أَسَدِ الْعَرِينِ حَذَارِ
وفيهما يقول:

فَاشْدُدْ بِهِارُونَ الْخِلَافَةَ إِنَّهُ
بِفَتَى بَنِي الْعَبَّاسِ وَالْقَمَرِ الَّذِي
كَرَّمُ الْعُمُومَةِ وَالْخُؤُولَةِ مَجَّهٌ
هُوَ نَوْءٌ يُمْنٌ فِيهِمْ وَسَعَادَةٌ
فَاقْمَعْ شَيَاطِينَ النِّفَاقِ بِمُهْتَدٍ
لِيَسِيرَ فِي الْآفَاقِ سِيرَةً رَافَةً
فَالصَّيْنُ مَنْظُومٌ بِأَنْدَلُسٍ إِلَى
وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ ذَلِكَ مِعْصَمٌ
فَالْأَرْضُ دَارٌ أَقْفَرْتُ مَا لَمْ يَكُنْ
سُورُ الْقُرْآنِ الْغُرُفِيكُمْ أَنْزَلْتُ

سَكَنٌ لَوْحَشَتْهَا وَدَارٌ قَرَارِ
حَفَّتْهُ أَنْجُمٌ يَعْرُبُ وَنَزَارِ
سَلَفًا فُرَيْشٌ فِيهِ وَالْأَنْصَارِ
وَسِرَاجٌ لَيْلٍ فِيهِمْ وَنَهَارِ
تَرْضَى الْبَرِّيَّةَ هَدْيَهُ وَالْبَارِي
وَيُسَوِّسُهَا بِسَكِينَةٍ وَوَقَارِ
حِيطَانِ رُومِيَّةٍ فَمُلْكٍ ذِمَارِ
مَا كُنْتَ تَتْرُكُهُ بِغَيْرِ سَوَارِ
مِنْ هَاشِمٍ رَبُّ لَيْلِكَ الدَّارِ
وَلَكُمْ تُصَاغُ مُحَاسِنُ الْأَشْعَارِ

واستعطف أبو تمام أيضا مالك بن طوق التغلبي لقومه بني تغلب وكانوا أفسدوا في

الطرق، فخافوه واستشفعوا بأبي تمام فقال في قصيدة مشهورة يخاطب بها مالكا: [الكامل]

وَرَأَيْتَ قَوْمَكَ وَالْإِسَاءَةَ مِنْهُمْ
هُمْ صَيَّرُوا تِلْكَ الْبُرُوقَ صَوَاعِقًا
فَاقْلُ أَسَامَةً جُرْمَهَا وَاصْفَحْ لَهَا
رَفَدُوكَ فِي يَوْمِ الْكُلابِ وَشَقَّقُوا
وَهُمْ بَعَيْنِ أَبَاغٍ رَاشُوا لِلْوَغَى
وَلِيَالِي الْحَشَاكِ وَالْثَرَنَارِ قَدْ
فَمَضَتْ كُهُولُهُمْ وَدَبَّرَ أَمْرَهُمْ
لَا رِقَّةَ الْحَضَرِ اللَّطِيفِ غَدَنَّهُمْ
فَإِذَا كَشَفْتَهُمْ وَجَدْتَ لَدَيْهِمْ
أَسْبَلَ عَلَيْهِمْ سِتْرَ عَفْوِكَ مُفْضِلًا
لَكَ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَعْظَمُ أُسْوَةٍ
أَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ الْقُلُوبِ رِضَاهُمْ

جَرَحَى بِظُفْرِ لَزْمَانٍ وَنَابِ
فِيهِمْ وَذَاكَ الْعَفْوَ سَوَّطَ عَذَابِ
عَنْهُ وَهَبَ مَا كَانَ لِلْوَهَّابِ
فِيهِ الْمَزَادَ بِجَحْفَلٍ غَلَّابِ
سَهْمِيكَ عِنْدَ الْحَارِثِ الْحَرَّابِ
جَلَبُوا الْجِيَادَ لَوَاحِقَ الْأَقْرَابِ
أَخْدَأْتُهُمْ تَذْيِيرَ غَيْرِ صَوَابِ
وَتَبَاعَدُوا عَنْ فِطْنَةِ الْأَعْرَابِ
كَرَّمَ النُّفُوسِ وَقِلَّةَ الْأَدَابِ
وَانْفَحَ لَهُمْ مِنْ نَائِلٍ بِذَنَابِ
وَأَجْلَهَا فِي سُنَّةٍ وَكِتَابِ
كَرَّمَا وَرَدَّ أَخَائِذَ الْأَخْزَابِ

ذكر أصحاب الأخبار أن هذه القصيدة وقعت من مالك أجلّ موقع فأجزل ثوابه عليها، وقبّل شفاعته، وردّ القوم إلى ربتهم ومنزلتهم، من بعد اليأس المستحكم، والعداوة الشديدة.

ومن ذلك أن الحجاج بن يوسف الثقفي لما ولّى تميم بن زيد القينيّ السّند، دخل البصرة فجعل يخرج من أهلها من شاء، فجاءت عجوز إلى الفرزدق تسأله أن يشفع في ابنها قالت: إن تميم بن زيد خرج بابن لي معه ولا قرّة لعيني ولا كاسب لي غيره، فقال لها: وما اسم ابنك؟ فقالت: خنيس، فكتب إلى تميم بن زيد مع بعض من شخّص إليه: [الطويل]

تَمِيمُ بْنُ زَيْدٍ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي	بِظَهْرِ فَلَا يَغِيَا عَلَيَّ جَوَابُهَا
وَهَبْ لِي خُنَيْسًا وَاحْتَسِبْ فِيهِ مِنِّي	لِعَبْرَةٍ أُمِّ مَا يَسُوعُ شَرَابُهَا
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّكَ مَا جِدُّ	وَلَيْتُ إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّ شَهَابُهَا

فلما ورد الكتاب على تميم، تشكّك في الاسم فقال: أحبّيش؟ أم خنيس؟ ثم قال: انظروا من له مثل هذا الاسم في عسكرنا؟ فأصيب ستة ما بين حبّيش وخنيس فوجّه بهم إليه.

١٥- الأدب يستنجز ما تأخر من صلّات الكرام ويستخلص الوعود المنتهية بالحرمان.

من ذلك أن بعض الشعراء قصّد معن بن زائدة فوعده معن واشتغل عنه، فنفدت نفقة الشاعر، وضاق لذلك صدره، وعزم على الانصراف عن بابه، فكتب إليه أبياتاً يقول فيها:

[الوافر]

بِأَيِّ الْخَلَّتَيْنِ عَلَيْكَ أَتْنِي	فَإِنِّي عِنْدَ مَنْصَرَفِي مَسْئُولُ
أَبِالْحُسْنَى وَلَيْسَ لَهَا ضِيَاءُ	عَلَيَّ فَمَنْ يُصَدِّقُ مَا أَقُولُ
أَمِ الْآخَرَى وَلَسْتَ لَهَا بِأَهْلٍ	وَأَنْتَ لِكُلِّ مَكْرُمَةٍ فَعُولُ

فلما قرأ ذلك معن دعا به فاعتذر إليه وأمر له بعشرة آلاف درهم.

ووقع لدعبل مع بعض أمراء الرقة نظير هذا، فمثل بين يديه وقال: أصلح الله الأمير، إني لا أقول كما قال صاحب معن وذكر الأبيات الثلاثة المتقدمة قال: ولكني أقول: [الكامل]

مَاذَا أَقُولُ إِذَا أَتَيْتُ مَعَاشِرِي صَفْرًا يَدَايَ مِنَ الْجَوَادِ الْمُجْزَلِ
إِنْ قُلْتُ أَعْطَانِي كَذَبْتُ وَإِنْ أَقُلُّ ضَنَّ الْأَمِيرُ بِمَالِهِ لَمْ يَجْمُلِ
وَلَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَا مِنْ أَنْ أَقُولَ فَعَلْتَ مَا لَمْ تَفْعَلِ
فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ فَإِنِّي لَا بُدَّ مَخْبِرُهُمْ وَإِنْ لَمْ أَسْأَلِ

فقال له الأمير: قاتلك الله! وأمر له بعشرة آلاف درهم.

ونظير ذلك ما حصل لأبي العتاهية فإنه مدح عمرو بن العلاء فتأخر عنه بره وكان عمرو ينتظر ما لا يجيء إليه من بعض أعماله فأبطأ عليه فكتب إليه أبو العتاهية: [البسيط]

يَا ابْنَ الْعَلَاءِ وَيَا ابْنَ الْقَرَمِ مِرْدَاسٍ إِنِّي مَدَحْتُكَ فِي صَحْبِي وَجُلَاسِي
أُنْثِي عَلَيْكَ وَلِي حَالٌ تُكَذِّبُنِي فِي مَا أَقُولُ فَأَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ
حَتَّى إِذَا قِيلَ مَا أَوْلَاكَ مِنْ صَفْدٍ طَاطَأْتُ مِنْ سُوءِ حَالِي عِنْدَهَا رَاسِي

فقال عمرو لصاحب بيت ماله: كم عندك؟ قال: سبعون ألفاً، قال: ادفعها له، واعذرني عنده، ولا تدخله علي؛ فإني أستحي منه.

ومن ذلك أن بشار بن بُرد وَرَدَ عَلَى خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ وَهُوَ بِفَارِسٍ فَامْتَدَحَهُ فَوَعَدَهُ خَالِدٌ وَمَطَّلَهُ، فَوَقَفَ بِشَارٌ عَلَى طَرِيقِهِ وَهُوَ يَرِيدُ الْمَسْجِدَ فَأَخَذَ بِلِجَامِ بَغْلَتِهِ وَأَنْشَدَهُ: [الطويل]

أَظَلَّتْ عَلَيْنَا مِنْكَ يَوْمًا سَحَابَةٌ أَضَاءَتْ لَنَا بَرْقًا وَأَبْطَأَ رَشَاشُهَا
فَلَا غَيْمُهَا يُجْلَى فَيَأْسَ طَامِعٌ وَلَا غَيْثُهَا يَأْتِي فَيُرْوَى عِطَاشُهَا

فحبس بغلته، وأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: لن تنصرف السحابة حتى تبلك إن شاء الله.

المجلس السادس

في هذا المجلس:

السادس عشر: الأدب فيه ترويح القلوب وإجمام النفوس:

- كان ابن عباس إذا أفاض في القرآن والسنة قال لمن عنده: أَحْمِضُوا بِنَا.

- كان الزُّهْرِي يقول لأصحابه: هاتوا من أشعاركم.

- قال مالك بن دِينَار: الحكايات تُحَفُّ أَهْلَ الْجَنَّةِ.

وَرَوْحُ الْقَلْبِ بِذِكْرِ الطُّرْفِ فَإِنَّ ذَلِكَ صَنِيعُ السَّلَفِ

ملحقان:

١- باب في المزاح:

- من مزاح النبي - صلى الله عليه وسلم -.

- من مزاح الصحابة - رضي الله عنهم -.

كانوا يضحكون والإيمان في قلوبهم كالجبال الرواسي.

- خبر قول عِكْرِمَةَ: اضرب ظِلَّهُ ثَمَانِينَ.

- من مزاح الشَّعْبِيِّ.

- من نَوَادِرِ أَمِيرِ الْفُكَاهَةِ وَرَائِدِ الدُّعَابَةِ أَبِي دُلَامَةَ.

٢- باب في أخبار الحمقى والمُغَفَّلِينَ:

- ما فائدة رِوَايَةِ أَخْبَارِهِمْ؟

- من أخبار أَشْعَبَ.

- خبر أَزْهَرَ وَالبُرْجَ الذي بناه في ارتفاع ألف خُطْوَةٍ وَعَرَضَ خُطْوَةً وَاحِدَةً.

- نصيحة نَحْوِيِّ لِمُحْتَضِرٍ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فكنّا قد أخذنا شيئاً من الثمرات التي يَجْتَنِيهَا طالبُ علم الأدب، ونختم بهذه
الثمرة وهي

١٦- أن في الأدب ترويحاً للقلب وإجماماً للنفس، وقد كان ابن عباس -رضي الله
عنهما- إذا أفاض في القرآن والسُنَن قال لِمَنْ عنده: أَحْمِضُوا بنا -أي خوضوا في الأشعار
والأخبار التي تُروِّح النفس-.

وقال عليّ -رضي الله عنه-: أَجْمُوا هذه القلوب، وابتغوا لها طرائف الحِكْمَةِ؛ فإنها تَمَلُّ
كما تَمَلُّ الأبدان.

وكان الزُّهْرِيُّ يقول: هاتوا من أشعاركم، هاتوا من أحاديثكم؛ فَإِنَّ الأُذُنَ مَجَّاجَةٌ، وإنَّ
النفس حَمِضَةٌ.

وقد حَدَّثَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ مرةً بأحاديث، ثم قال: خُذُوا في أَبْزَارِ الجنة. قالوا: فَحَدَّثَنَا
بالْحِكَايَاتِ. أي خذوا في الحكايات التي تكون للعلم النافع المُوَصِّل إلى الجنة كَالْأَبْزَارِ
في الطعام تُطَيِّبُهُ وتُشَهِّيه وتُشَوِّق النفس إليه.

وقال مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: الحكايات تُحَفُّ أهل الجنة.

وقال الحافظ العِرَاقِيُّ في أَلْفِيَّةِ الحديث: [الرجز]

وَاسْتُحْسِنَ الْإِنْشَادُ فِي الْوَاخِرِ بَعْدَ الْحِكَايَاتِ مَعَ النَّوَادِرِ
وقال الناظم: [الرجز]

وَرَوْحَ الْقَلْبِ بِذِكْرِ الطُّرْفِ فَإِنَّ ذَلِكَ صَنِيعُ السَّلَفِ
وفي هذا المعنى يقول أبو الفتح البُستِي:

أَفِدْ طَبْعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْجِدِّ رَاحَةً يَجِمَّ وَعَلَّلْهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الْمَزْحِ
وَلَكِنْ إِذَا أَعْطَيْتَهُ الْمَزْحَ فَلْيَكُنْ بِمِقْدَارِ مَا تُعْطِي الطَّعَامَ مِنَ الْمِلْحِ
وبهذا تمَّ الكلام عن دواعي العناية بالأدب، ولا بأس أن يُلْحَقَ بهما الكلام عن باين من
الأبواب الأَصِيلَةِ في علم الأدب:

أحدهما: في مزاح الأشراف.

والآخر: في أخبار الحمقى والمُغَفَّلِينَ.

مزاح الأشراف له شواهد كثيرة.

كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يُمازح أصحابه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قالوا: يا
رسول الله! إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا. قَالَ: «نعم، غيرَ أَنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا».

وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لِأَنَسَ: «يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ» قال الرَّأَوِي: يعني يُمازحه.
وقال أَنَسُ رضي الله عنه: إِنَّ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لَيُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِّي
صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟».

وجاءه رجلٌ اسْتَحْمَلَهُ فقال -صلى الله عليه وسلم-: «إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ النَّاqةِ» فقال:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَصْنَعُ بَوْلِدِ النَّاqةِ؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: «وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا
النُّوقَ؟».

وَأَتَى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَوْمًا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ اسْمُهُ زَاهِرٌ وَكَانَ -صلى الله
عليه وسلم- يُحِبُّهُ وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا فَأَتَاهُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ،
فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ لَا يُبْصِرُهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ أَرْسَلَنِي. فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ -صلى

الله عليه وسلم - فجعل لا يألو ما أُلصق ظهره بصدر النبي - صلى الله عليه وسلم - حين عرفه، فجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «مَنْ يشتري العبد؟» فقال: يا رسول الله، إذا تجدني كأسداً. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لَكِنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ» أو قال: «أَنْتَ عِنْدَ اللَّهِ غَالٍ».

وأنت عجوزٌ إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يُدخِلني الجنة فقال - صلى الله عليه وسلم -: «يا أُمَّ فلان، إِنَّ الجنة لا يدخلها عجوز» فَوَلَّتْ تبكي، فقال - صلى الله عليه وسلم -: «أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إِنَّ الله تعالى يقول: {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ۝ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝ غُرْبًا أَثَرَابًا} ٣٧».

وقال الذهبي - في تذكرة الحفاظ - في ترجمة أبي هريرة رضي الله عنه: وَلِيَّ إمْرَةِ الْمَدِينَةِ وَكَانَ يَمُرُّ فِي السُّوقِ يَحْمِلُ الْحُزْمَةَ وَهُوَ يَقُولُ: أَوْسَعُوا الطَّرِيقَ لِلْأَمِيرِ. وَكَانَ فِيهِ دُعَابَةٌ رضي الله عنه.

- ومن أولئك ضَرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه كان صاحب مِرَاحٍ قال في عَمُودِ النِّسْبِ: [الرجز]

... ضَرَارُ بْنُ ذُو الْوَلَدِ مُزَوَّجُ الْحُورِ مِنْ أَهْلِ أَحَدٍ
يشير إلى قصة وهي أَنَّ الْأَوْسَ وَالْخَزَرَاجَ اخْتَلَفُوا فِيمَنْ كَانَ أَشْجَعُ يَوْمَ أَحَدٍ، فَمَرَّ بِهِمْ ضَرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ وَكَانَ يَوْمَ أَحَدٍ فِي صَفِّ الْمَشْرِكِينَ ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ رضي الله عنه وَحَسَنَ إِسْلَامِهِ، فَقَالُوا: هَذَا شَهِدَهَا وَهُوَ عَالِمٌ بِهَا. فَبَعَثُوا إِلَيْهِ فَتَى مِنْهُمْ فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: لَا أَدْرِي مَا أَوْسُكُمْ مِنْ خَزَرَاجِكُمْ، وَلَكِنِّي زَوَّجْتُ يَوْمَ أَحَدٍ مِنْكُمْ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ.

وقال يوماً لأبي بكر - رضي الله عنهما -: نَحْنُ كُنَّا لِقَرِيشٍ خَيْرًا مِنْكُمْ، أَدْخَلْنَاهُمُ الْجَنَّةَ، وَأَوْرَدْتُمُوهُمْ النَّارَ.

- وعن بكر بن عبد الله أنه قال: كان أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- يتبادحون بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال. وهو في صحيح الأدب المفرد.
- وعن بلال بن سعد أنه قال: أدركتهم يشتدون بين الأغراض، ويضحك بعضهم إلى بعض، فإذا كان الليل كانوا رُهَبَانًا.
- وسئل إبراهيم النخعي: هل كان أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- يضحكون؟ قال: نعم، والإيمان في قلوبهم كالجبال الرواسي.
- وقال رجل لعكرمة: فلان قذفني في النوم. قال: اضرب ظله ثمانين.
- ولقي رجل مغفل الشَّعْبِيَّ ومعه امرأته تمشي، فقال: أيكما الشَّعْبِيَّ؟ قال: هذه.
- وسأله آخر: هل يجوز للمُحْرِم أن يَحُكَّ بَدَنَهُ؟ قال: نعم. قال: إلى كم؟ قال: إلى أن يبدو العظم.
- وأتاه رجل فقال: ما اسم امرأة إبليس؟ قال: ذاك عُرْس ما شهدته.
- والأعمش كان له ولد مُغَفَّل، فقال له: اشتر لي حبلاً طوله كذا، فذهب ثم رجع فقال: في عَرْضِ كم؟ قال: في عَرْضِ مُصَيَّبَتِي فيك.
- وابن أبي عتيق -وهو عبد الله بن أبي عتيق محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق- كان صاحب مزاح ودُعَابَةٍ، مرَّ به رجلٌ مرةً ومعه كلب، فقال للرجل: ما اسمك؟ قال: وثَّاب. قال: فما اسم كلبك؟ قال: عَمْرُو. قال: وإخلافاه!
- والأخفش كتب إلى صديق له يَسْتَعِير منه دابةً، وكلمة دابة لا تقع في الشعر لأنها تجمع بين ساكنين وأراد أن يدخلها في شعره، فقال:
- [المتقارب]
- أَرَدْتُ الرُّكُوبَ إِلَى حَاجَةٍ فَجُدَلِي بِفَاعِلَةٍ مِّنْ دَبَبْتُ

فأجابه صاحبه وكان ظريفاً:

[المتقارب]

بُرَيْذِينَنَا يَا أَخِي غَامِزُ فَكُنْ أَنْتَ لِي فَاعِلاً مَنْ عَذَرْتُ
- ولا بأس أن يُذَكَّرَ هنا اسْتِطْرَادًا شَيْءٍ مِنْ نَوَادِرِ أَبِي دُلَامَةَ أَمِيرِ الْفُكَاهَةِ وَرَائِدِ الدُّعَابَةِ،
الذي امتلأت كُتُبُ الْأَدَبِ مِنْ نَوَادِرِهِ وَأَخْبَارِهِ وَطَرَائِفِهِ، وَتَعَلَّقَ بِهِ الْخُلَفَاءُ وَالْوُلَاةُ لَجُودَةِ
شِعْرِهِ وَحُسْنِ أَدَبِهِ وَكَثْرَةِ مُلَحِّهِ.

من أخباره: أَنَّ الْمَهْدِيَّ كَانَ فِي مَجْلِسِهِ، فَدَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ وَكَانَ فِي الْمَجْلِسِ جَمَاعَةٌ مِنْ
بَنِي هَاشِمٍ مِنَ الْوُجَهَاءِ وَالْكُبَرَاءِ وَالْأَعْيَانِ، فَلَمَّا دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ قَالَ الْمَهْدِيُّ: أَقْسَمُ بِاللَّهِ
لَئِنْ لَمْ تَهْجُ وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي الْمَجْلِسِ لَأَفْعَلَنَّ وَلَا فَعَلَنَّ، فَكَلَّمَا نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ
مِنْهُمْ غَمَزَهُ بِعَيْنِهِ - أَيَّ لَا تَهْجُنِي وَأَعْطِيكَ مَا يُرْضِيكَ - وَكَلَّمَهُ مِنَ الْوُجَهَاءِ وَالْكُبَرَاءِ.
قال: فنظرتُ إلى أمير المؤمنين فعلمتُ أنها عَزَمَتْ مِنْ عَزَمَاتِهِ. فَهَدَّتْهُ حِيلَتُهُ إِلَى أَنْ يَهْجُوَ
نَفْسَهُ؛ لِأَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَجْلِسِ، فَقَالَ:

[الوافر]

أَلَا أَبْلِغُ لَدَيْكَ أَبَا دُلَامَةَ فَلَسْتُ مِنَ الْكِرَامِ وَلَا كَرَامَةِ
جَمَعْتُ دِمَامَةً وَجَمَعْتُ لُؤْمًا كَذَلِكَ اللَّؤْمُ تَتَّبِعُهُ الدَّمَامَةُ
فضحك القوم وعجبوا من حُسْنِ تَخْلُصِهِ، وَمَا بَقِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَصَلَهُ وَأَهْدَى إِلَيْهِ.

ومن لطائفه: أَنَّ الْمَهْدِيَّ خَرَجَ يَوْمًا مَعَ عَلِيِّ بْنِ سُلَيْمَانَ إِلَى الصَّيْدِ، فَرَمَى الْمَهْدِيُّ سَهْمَهُ
فَأَصَابَ ظَبْيًا، وَرَمَى عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ سَهْمًا فَأَصَابَ كَلْبًا، فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ وَقَالَ: يَا أَبَا
دُلَامَةَ احْكَمْ وَحُكِّمُكَ نَافِذٌ، فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْبِدِيهَةِ:

[مجزوء الرمل]

قَدْ رَمَى الْمَهْدِيُّ ظَبْيًا شَكَكَ بِالسَّهْمِ فُؤَادَهُ
وَعَلَى بَنِي سُلَيْمَانَ نَ رَمَى كَلْبًا فَصَادَهُ
فَهَنِيئًا لَهُمَا كُلُّ لُ أُمْرِي يَأْكُلُ زَادَهُ

يعني أن الخليفة يأكل من الطيبي وعلي يأكل من الكلب، فضحك المهدي حتى كاد يسقط من سرجه وقال: صدق أبو دلامة. وأمر له بجائزة سنّية، فافتدى علي بن سليمان نفسه من ذلك الحكم بمالٍ كثير.

ومما يُستطرف ويُستغرب ويُتَعَجَّب منه من أخباره: أن المهدي غَضِبَ عليه يوماً فحلف بالله لِيُخْرِجَنَّ فِي بَعْثِ حَرْبٍ، فخرج مع رَوْحِ بْنِ حَاتِمِ الْمُهَلَّبِيِّ لِقِتَالِ الشَّرَاقَةِ وَهُمْ الْخَوَارِجُ، وَلَمَّا التَقَى الْجَمْعَانِ بَرَزَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يُرِيدُ الْمُبَارَزَةَ، فَأَمَرَهُ رَوْحٌ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ: نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ لَا تَفْعَلْ. قَالَ رَوْحٌ: وَاللَّهِ لَتَفْعَلَنَّ. قَالَ أَبُو دُلَامَةَ: هَذَا وَاللَّهِ إِذَا أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ، وَآخِرَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا وَأَنَا جَائِعٌ، فَأُمِّرْ لِي بِشَيْءٍ آكَلِهِ، فَأَمَرَ لَهُ بِدَجَاجَةٍ وَرَغِيفَيْنِ، فَلَمَّا رَأَاهُ الْخَارِجِيُّ بَارِزاً مِنَ الصَّفِّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِالسِّيفِ فَقَالَ لَهُ أَبُو دُلَامَةَ: مَهْلَكَ، قِفْ. قَالَ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: أَتَسْتَجِيزُ أَنْ تَقْتُلَ رَجُلًا عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَلَمْ تَرِيدَ قِتْلِي وَأَنَا عَلَى دِينِكَ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: اذْهَبْ. فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ حَتَّى تَسْمَعَنِي. قَالَ: قُلْ. قَالَ: هَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَرَّةٌ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَهَلْ بَيْنِي أَهْلِي وَبَيْنَ أَهْلِكَ عَدَاوَةٌ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَوَاللَّهِ لَا أَنْصَرِفُ حَتَّى تَأْكُلَ مَعِيَ مِنْ طَعَامِي، فَيَعْلَمُ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا هَوَانَهُمْ عَلَيْنَا وَأَنَا عَلَى وَفَاقٍ - وَهَذَا الْكَلَامُ كُلُّهُ وَهُمَا بَيْنَ الْجَيْشَيْنِ وَالسِّیُوفِ مَشْهُورَةٌ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمَا - فَاقْتَرَبَا حَتَّى تَدَاخَلْتَ أَعْنَاقَ فَرَسَيْهِمَا، وَجَعَلَا يَأْكُلَانِ مَعًا.

ورَوْحٌ وَأَصْحَابُهُ يَكَادُونَ يَسْقُطُونَ مِنَ الضَّحْكِ لَمَّا يَرُونَ مِنْ صَنِيعِ أَبِي دُلَامَةَ.

فلما فرغا رجع الخارجي إلى جيشه ورجع أبو دُلَامَةَ إِلَى رَوْحٍ وَهُوَ يَقُولُ: قَدْ كَفَيْتَكَ قَرْنِي، فَقُلْ لغيري يَكْفِيكَ قَرْنَهُ.

ومن عجيب احتياله في طلب المال: أنه كان يدّعي أنه رأى الرؤيا ويطلب بها المال، مرَّ

يومًا على تَمَّارٍ فِي الْكُوفَةِ فَقَالَ لَهُ: [المتقارب]

رَأَيْتُكَ أَطْعَمْتَنِي فِي الْمَنَامِ قَوَاصِرَ مِنْ تَمْرِكَ الْبَارِحَةِ
فَأُمُّ الْعِيَالِ وَصَبِيَانُهَا إِلَى الْبَابِ أَعْيُنُهُمْ طَامِحَةٌ
فَأَعْطَاهُ شَيْئًا مِنَ التَّمْرِ.

وأطرف من هذا أنه دخل على الخليفة أبي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وقال له: [مجزوء الكامل]

إِنِّي رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ مِ وَأَنْتَ تُعْطِينِي خِيَارَهُ
مَمْلُوءَةً بِدَرَاهِمٍ وَعَلَيْكَ تَأْوِيلُ الْعِبَارَةِ
فضحك المنصور وقال: هات خِيارَةَ لِأَمْلَأُهَا لَكَ دَرَاهِمَ. فمضى إِلَى السُّوقِ وَأَتَى بِدُبَّاءَةٍ
عَظِيمَةٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: مَا رَأَيْتَ فِي الْمَنَامِ إِلَّا دُبَّاءَةً وَلَكِنِّي نَسِيتُ فَلَمَّا
رَأَيْتُ الدُّبَّاءَةَ فِي السُّوقِ تَذَكَّرْتُ.

- وَالْمُلْحَقُ الْآخَرُ هُوَ فِي أَخْبَارِ الْحَمَقِيِّ وَالْمَغْفَلِينَ وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي كِتَابِهِ (أَخْبَارُ
الْحَمَقِيِّ وَالْمَغْفَلِينَ) ثَلَاثَ فَوَائِدَ لِرِوَايَةِ أَخْبَارِهِمْ وَطَرَائِفِهِمْ.
الْأُولَى: أَنَّ الْعَاقِلَ إِذَا سَمِعَ أَخْبَارَهُمْ عَرَفَ قَدْرَ نِعْمَةِ الْعَقْلِ الَّتِي وَهَبَ اللَّهُ إِيَّاهَا، فَحَمْدُ
اللَّهِ وَشُكْرُهُ.

وَالثَّانِيَةُ: أَنَّ ذِكْرَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ يُنَبِّهُ الْإِنْسَانَ إِلَى مَا قَدْ يَغْفُلُ عَنْهُ.

وَالثَّالِثَةُ: أَنَّ فِي رِوَايَةِ أَخْبَارِهِمْ تَرْوِيحًا عَنِ النَّفْسِ لِمَا فِيهَا مِنَ الظَّرْفِ وَاللُّطْفِ، وَقَدْ
قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: «يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ».

- مِنْ أَوْلَئِكَ: أَشْعَبُ، وَكَانَ مَوْلَى لَأَلِ عَثْمَانَ بْنِ عِفَانَ، حَدَّثَ عَنْ نَفْسِهِ قَالَ: نَشَأْتُ أَنَا
وَأَبُو الزِّنَادِ فِي حَجَرٍ عَائِشَةُ بِنْتُ عَثْمَانَ، فَلَمْ يَزَلْ يَعْلُو وَأَسْفَلُ حَتَّى بَلَغَ كُلُّ مَنَا الْمَنْزِلَةَ الَّتِي
تَرَى.

وكان صاحب سند، يروي حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لو دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ».

وهو مَضْرِبٌ مِثْلٌ فِي الطَّمَعِ، لَمَّا قَدِمَ بَغْدَادَ فِي أَيَّامِ الْمَهْدِيِّ تَلَقَّاهُ النَّاسُ لِأَنَّهُ كَانَ ذَا إِسْنَادٍ، قَالُوا حَدِّثْنَا، قَالَ: حَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -وَكَانَ يَبْغِضُنِي فِي اللَّهِ- قَالَ: خَصَلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ. وَسَكَتَ، قَالُوا: مَا هُمَا؟ قَالَ: نَسِيَ سَالِمٌ إِحْدَاهُمَا وَنَسِيتُ أَنَا الْآخَرَى.

ومرَّ أشعب مرة في طريق فعث به الصبيان، فقال: ويحكم! سالم يقسم تمرًا. فمرُّوا يَعْدُونَ
فعدا أشعب معهم وقال: ما يدريني لعله حق.

وقيل لأشعب: ما بلغ من طَمَعِكَ، قال: ما رأيت اثنين يَتَسَارَّانِ إِلَّا ظَنَّتَهُمَا يَأْمُرَانِ لِي
بشيءٍ.

وقد وقف مرةً على امرأة تصنع طَوَقًا من خُوص، فقال: زِيدِيهِ طَوَقًا أَوْ طَوَقَيْنِ، فقالت: أتريد أن تشتريه؟ قال: لا، ولكن عسى أن يشتريه إنسان فيُهدي إليَّ فيه شيئًا، فيكون كبيرًا خيرٌ من أن يكون صغيرًا.

وقال رجلٌ يومًا لأشعب: إن سالم بن عبد الله بن عمر قد مضى إلى بُسْتَانٍ كذا ومعه طعامٌ كثير، فبادرَ حتى لَحِقَهُ، فأغلق الباب في وجهه، فَتَسَوَّرَ عليه، فقال سالم: ويحك! بناتي. فناداه أشعب: لقد علمتَ ما لنا في بناتك مِن حَقٍّ، وإنك لتعلم ما نريد. فأمر سالم له بالطعام.

وذكر عنه أن توضأ مرةً فترك رجله اليمنى وغسل اليسرى، فقيل له: لم تركت غسل اليمنى؟ قال: لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «أمتي غُرٌّ مُحَجَّلُونَ من أثر

الوضوء» وأنا أَحِبُّ أن أكون أَعَزَّ مُحَجَّلاً ثلاثاً، مُطْلَقَ اليمنى -وهو وصف محمود في الخيل-.

- ومن أولئك أَزْهَر، وكان يُجالس الأمير عمرو بن الليث فقدم يوماً رسولاً من السلطان، فقال الأمير لأزهر: جَمَّلْنَا بسكوتك اليوم -وكان كثير الكلام- فسكت طويلاً ثم لم يصبر فقال: بَنَيْتُ في القرية بُرْجاً ارتفاعه أَلْفُ خطوة. فَأَوْماً إِلَيْهِ حاجب الأمير أن اسكت. فقال له الرسول: في عرض كم؟ قال: في عرض خطوة واحدة. فقال له الرسول: ما كان ارتفاعه أَلْفَ خطوة لا يكفي عَرْضَهُ خطوة! قال: أردت أن أزيد فمنعني هذا الواقف.

ودخل نَحْوِيَّ على رجلٍ يَجُود بنفسه، فقال: يا فلان، قل: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وإن شئت فقل: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، والأولى أَحَبُّ إلى سَيِّوِيهِ.

ودخل آخر يعزي قوماً فقال: أَجْرَكُم اللهُ، وإن شئتم: أَجْرَكُم اللهُ، كلاهما سَمَاعِيٌّ من الفراء.

وقيل لَجُحَا -وقد مات أبوه-: ألا تذهب فتشتري الكَفْنَ؟ قال: أخاف أن أشتغل بشراء الكفن فتفتوتني الصلاة عليه.

وقيل له يوماً: ما أحسن القمر. قال: إي والله خاصة في الليل.

- ومن الطرائف: طرائفُ المُسْتَمْلِينَ -وهم المُبَلَّغُونَ عن الشيوخ- سئل يزيد بن هارون عن حديث: حَدَّثَنَا بِهِ عِدَّة. فقال المُسْتَمْلِي: عِدَّةُ ابْنِ مَنْ؟ قال: عِدَّةُ ابْنِ فَقَدْتُكَ!

وقد قيل في كاتب: [الطويل]

أَقُولُ لَهُ بَكَرًا فَيَسْمَعُ خَالِدًا وَيَكْتُبُهُ زَيْدًا وَيَقْرُوهُ عَمْرًا
وقيل: [الطويل]

يَعِي غَيْرَ مَا قُلْنَا وَيَكْتُبُ غَيْرَ مَا وَعَاهُ وَيَقْرَأُ غَيْرَ مَا هُوَ كَاتِبُ!

وقد ذَكَرَ شيئاً من طرائفهم السَّخَاوِيَّ في فتح المُغِيث، ثم أورد هذين البيتين.

وأراد رجل أن يكسر لَوْزَةً فزلقت عن الحجر، فقال سبحانه الله! كل شيء يفر من الموت حتى البهائم!

وفي مثل هؤلاء يقول الشاعر:

[الكامل]

لَوْ قِيلَ كَمْ خَمْسٌ وَخَمْسٌ لَا غَتَدَى يَوْمًا وَلَيْلَتَهُ يُعَدُّ وَيَحْسُبُ^(١)
وَيَقُولُ: مُغْضِلَةٌ عَجِيبٌ أَمْرُهَا وَلَئِنْ فَهِمْتُ لَهَا لَأَمْرِي أَعْجَبُ
خَمْسٌ وَخَمْسٌ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ قَوْلَانِ قَالَهُمَا الْخَلِيلُ وَتَعَلَبُ

فهذه طائفة متنوعة من الأخبار والحكايات فيها لغة سليمة، ونادرة لطيفة، وحكاية بديعة، فيها الغناء عما قد يتحدث به بعض الناس مما يكون فيه السوء والأخلاق الرديئة.

(١) التي بمعنى: يُعَدُّ، بضم السين. والتي بمعنى: يَظُنُّ، فيها وجهان الفتح والكسر.

مجالس في أدب العرب

القسم الثاني

أدب العلماء والفقهاء

وفيه أربعة مجالس

المجلس السابع

في هذا المجلس:

• شعر العلماء

* هل شعر العلماء ضعيف؟

* الفجوة بين الفقه والأدب.

* المدونة لسحنون - وقد طبعت في اثني عشر جزءاً - ليس فيها من الشعر إلا بيت

واحد!

* الشعر أربعة أضرب.

• من شعر العلماء:

* سعيد بن المسيب.

* عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود.

* من أخبار من طلق زوجته فندم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فسبق أن المقصود من هذه المجالس أمران:

الأول: التعرف على منزلة الأدب وأهميته.

والثاني: أن تُعرَض نواذره وجواهره وروائعه؛ لأنها إذا عُرِضَتْ في المَعْرِض الحسن أَوْشَكَت أن تنجذب إليها القلوب وأن تهويَ إليها الأفئدة.

وكنا قد أخذنا أن الطريق إلى تحقيق هذا المقصود ثلاثة أشياء:

الأول: ما الدواعي إلى العناية بالأدب؟ وما الثمرات التي يَجْتَنِيهَا مُتَعَلِّمُ الأدب؟

وقد فرغنا منه في المجالس السابقة.

والثاني: هو التعرف على أدب العلماء والفقهاء، وعَرَضُ شيء من شعرهم وما تجيش به نفوسهم سواء كان العالم من المكثرين من الشعر أم المقلين منه، وهذا أوان الشروع فيه.

والثالث: عصور الأدب، وسيأتي إن شاء الله.

ذكر ابن خلدون أنه أخبره أبو القاسم بن رضوان -وكان كاتبًا في الدولة المِريّنة- أنه أنشد صاحبه أبا العباس أحمد بن شعيب الجزنائي -وكان كاتب السلطان ومُقدّمًا في البصر باللسان- أنشده قصيدة لابن النّحويّ ولم يُسمّه له، مطلعها:

[الكامل]

لَمْ أَذْرِ حِينَ وَقَفْتُ بِالْأَطْلَالِ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ جَدِيدِهَا وَالبَالِي
قال: فقال لي على البديهة: هذا شعر فقيه. فقلت له: ومن أين لك ذلك؟
قال: من قوله "ما الفرق" إذ هي من عبارات الفقهاء وليست من أساليب كلام العرب.
فقلت له: لله أبوك! إنه ابن النّحويّ.

وقد أخذ من هذا بعضهم أن شعر الفقهاء رديء ضعيف، وشاع هذا حتى إنك ترى في بعض التراجم: وكان شعره شعر فقيه. وهذي العبارة تساوي عندهم عبارة: كان شعره شعراً رديئاً.

والمقصود هنا بيان عدم صحة هذا التعميم، وأنه يمكن للفقهاء أن يكون شاعراً كبيراً تسير شعره الرُّكبان ويتحدّث بشعره الخافقان، وسنرى -إن شاء الله- كثيراً من الصلة الحميمية بين الفقهاء والشعر والأدب.

نعم كانت هنالك فجوة بين بعض الفقهاء والأدب حتى إن مُدَوّنة سَحْنُون -التي طُبعت في اثني عشر جزءاً وطُبعت في أقل من ذلك- ليس فيها من الشعر إلا بيت واحد وهو قول حسان -رضي الله عنه-:

[الوافر]

وَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بِالبُؤْيُورَةِ مُسْتَطِيرٌ
ولله در ابن النحويّ صاحب المنفرجة إذ يقول:

[البسيط]

أَصْبَحْتُ فِيمَنْ لَهُمْ دِينَ بِلَا أَدَبٍ وَمَنْ لَهُمْ أَدَبٌ عَارٍ عَنِ الدِّينِ
أَصْبَحْتُ فِيهِمْ غَرِيبَ الشَّكْلِ مُنْفَرِداً كَبَيْتِ حَسَّانَ فِي دِيْوَانِ سَحْنُونِ

وقال الشيخ محمد سالم بن عبد الودود في نظم عمدة الفقه: [الرجز]

مُعْتَذِرًا مِّمَّا يَجُسُّ النُّبَهَا مِنْ الْبُرُودَةِ لِنَظْمِ الْفُقَهَا
وهذا تواضع من الشيخ وإلا فقد كان عالي الكعب في الشعر.

ومن شواهد هذا: قوله في رثاء سَمِيَّةِ العلامة محمد سالم ولد أَلَمَّا: [الخفيف]

أَكْسَبَ الرُّزْءُ ذَا الْبَلَاغَةِ عِيَا	أَفْحَمَ اللَّوْدَعِيَّ وَالْأَلْمَعِيَا
أَنَا مِنْ نَعْيِي شَيْخَنَا ابْنِ أَلَمَّا	لَمْ أَزَلْ أَحْسِبُ الْغِنَاءَ نَعِيَا
لَمْ أَعُدْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْرِضَ الشُّعْدَ	رَوَقْدُ كُنْتُ بِالْقَرِيضِ مَلِيَا
مَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِي شَيْخٍ صَدَقَ	أُوتِيَ الْحُكْمَ وَالْكِتَابَ صَبِيَا
عَاشَ فِي طَاعَةِ ثَمَانِينَ حَوْلًا	يَعْبُدُ اللَّهُ بُكْرَةً وَعَشِيَا
يَنْظُرُ الْعَافِلُونَ مَا هُوَ فِيهِ	فِيخِرُونَ سُجَّدًا وَبُكْيَا
يَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّكَ كَانَ شَيْخًا	عَالِمًا عَامِلًا تَقِيًا نَقِيًا
زَاهِدًا عَابِدًا صَوُومًا قَوُومًا	عَارِفًا كَامِلًا وَلِيًا زَكِيًا
نَحْنُ أَذْرَى بِهِ فَكَانَ عَلَى ذَا	لِكَ صُلْبِ الْقَنَاقَةِ جَلْدًا قَوِيًا
سَيِّدًا أَيْدًا مُطَاعًا مَهِيَا	هَيْنًا لَيْسَ كَرِيمًا حَيَا
طَاهِرَ الْقَلْبِ ظَاهِرَ الْبَشْرِ سَهْلَ الدِّ	خُلِقَ حُلُوَ الْجَوَارِ عَذْبًا شَهِيَا
طَائِرَ الصَّيْتِ عَالِي الْقَدْرِ جَزَلَ الرُّ	رَأَيْ ثُبَّتَ الْجَنَانِ شَهْمًا ذَكِيَا
مَا خَلَا مِنْ وَصْفٍ بِهِ يُحْمَدُ النَّا	سُ بَلَى لَمْ يَكُنْ رَسُولًا نَبِيَا

وقبل بيان ذلك بعرض شيء من شعر العلماء، ينبغي أن يُعْلَمَ أَنَّ الشَّاعِرِيَّةَ صفة،
وَالْفِقْهِيَّةَ صفة، والصفات لا تتزاحم، بمعنى أَنَّ الجوهر يقبل أن يتصف بأكثر من عَرَضٍ،
فالشَّاعِرِيَّةُ وَالْفِقْهِيَّةُ ليس بينهما تناقض ولا تضاد، كما أن ما في الإناء يمكن أن يكون أحمر
ويمكن أن يكون حلوًا ويمكن أن يكون حارًّا وقد تجتمع هذه الثلاثة، فالشاي مثلاً يكون

أحمرَ وحلواً وحارّاً، فلا مانع لا في العقل ولا في النقل من اجتماعهما، فقد يكون شاعراً فقيهاً، وقد يكون شاعراً غير فقيه، وقد يكون فقيهاً غير شاعر، وقد يعدم الوصفان، فليس بين الشاعرية والفقهية علاقة تلازم بمعنى أن وجود أحدهما يستلزم وجود الآخر، ولا تضاد بمعنى أن وجود أحدهما ينفي وجود الآخر، فهذا ينسف ثلاثة أرباع هذا التعميم، لذا إذا قال فقيهٌ شاعراً وكان شعره رديئاً فليس لأنه فقيه، بل لأنه تعرض لما لا يحسن.

ومن الطريف: أن رجلاً ذهب إلى بعض الأدباء، فقال له: إني قلت شعراً وأريد أن أنشدك إياه فتَقَوَّمني. فقال: هات. فأنشده الشعر، فقال: قد أحسنت والله إذ أخرجت هذا البلاء من صدرك، لأنه لو بقي في صدرك لقتلك.

ثم إنَّ الفقهاء من أولى الناس بالبراعة في الشعر؛ لأنهم أول ما يشتغلون يشتغلون بالكتاب والسنة، بالوحي الذي هو أفصحُ الكلام.

وإلى جانب إبطال دعوى أن اشتغال الفقهاء بالفقه يحول بينهم وبين أن يكونوا شعراء مبدعين نريد أن نعيش مع أشعارهم وما تجيش به نفوسهم ثم إن معرفة أن العلماء أخذوا منه بالنصيب الوافر داعية من دواعي العناية بالأدب.

ويحسن قبل أن نتعرف على شيء من شعر الفقهاء أن نعرف أن الشعر أربعة أضرب، كما ذكر ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء، ذكر أنه تدبَّر الشعر فوجده أربعة أضرب: **الضُّرب الأول:** ضَرْبٌ حَسَنٌ لفظُهُ وجاد معناه، كقول الشاعر: -يُنْسَبُ إِلَى الْفَرَزْدَقِ فِي

زين العابدين ويُنسب إلى غيره-: [البسيط]

فِي كَفِّهِ خَيْرُ رَانَ رِيحُهُ عَبِقُ مِّنْ كَفِّ أَرْوَغَ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَّهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

قال: إنه لم يقل في الهيبة شيء أحسن منه، وكقول النَّابِغَةِ: [الطويل]

كَلِينِي لِهَمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاعِبِ
قال: إنه لم يبتدئ أحدٌ من المتقدمين بأحسن منه ولا أغرب.

وكقول أَوْس بن حَجَرٍ: [المنسرح]

أَيَّتْهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعَا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا
قال: إنه لم يبتدئ أحدٌ مَرثِيَةً بأحسن من هذا.

والضرب الثاني: ضربٌ حَسَنٌ لفظه وحلا فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى،

كقول القائل -وينسب إلى كُثَيِّرٍ -: [الطويل]

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِّنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
وَشُدَّتْ عَلَى حُدْبِ الْمَهَارَى رِحَالُنَا وَلَا يَنْظُرُ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحُ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبْطَاحُ
فهذه الألفاظ أحسنُ شيءٍ مخارجَ ومطالعَ ومقاطعَ، لكن إذا نظرت إلى ما تحتها من
المعنى وجدته: ولما قطعنا أيام منى، واستلمنا الأركان، وعالينا إبلنا الأنضاء التي أهزلتها
الأسفار، ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح، ابتدأنا في الحديث، وسارت المَطِيُّ في
الأبطح.

والضرب الثالث: ما جاد معناه وقصّرت ألفاظه، كقول لَبِيدٍ: [الكامل]

مَا عَاتَبَ الْمَرْءَ الْكَرِيمَ كَنَفْسِهِ وَالْمَرْءُ يُصْلِحُهُ الْجَلِيسُ الصَّالِحُ
فهذا وإن كان جيد المعنى والسبب فإنه قليل الماء والروث في اللفظ.

والضرب الرابع: ما تأخر معناه وتأخر لفظه، كقول الأعشى في امرأة: [الهزج]

وَفُوهَا كَأَقْـحَاجِيٍّ غَذَاهُ دَائِمُ الْهَظْلِ
كَمَا شَيْبَ بِرَاحِ بَا رَدِمِنْ عَسَلِ النَّخْلِ

وكقول الخليل بن أحمد العروضي:

[المجث]

فَطِرْ بِدَائِكَ أَوْ قَعْ	إِنَّ الْخَلِيطَ تَصَدَّعَ
حُورُ الْمَدَامِيعِ أَرْبَعُ	لَوْ لَا جَوَارِحَ سَانُ
ءِ وَالرَّبَّابُ وَبُورُغُ	أُمُّ الْبَنِينَ وَأَسْمَا
إِذَا بَدَا لَكَ أَوْ دَعُ	لَقُلْتُ لِلرَّاحِلِ ارْحَلْ

- من أولئك الفقهاء الأدباء: سعيد بن المسيب؛ سمع مرةً منشداً ينشد: [الطويل]

تَصَوَّعَ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ إِذْ مَشَتْ	بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ خَفَرَاتِ
يُخَبِّئْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التُّقَى	وَيَخْرُجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ

فقال سعيد: هذا والله مما يَلِدُ سماعه. ثم قال:

وَلَيْسَتْ كَأُخْرَى وَسَعَتْ جَيْبَ دِرْعِهَا	وَأَبْدَتْ بَنَانَ الْكَفِّ فِي الْجَمَرَاتِ
وَقَامَتْ تَرَاوِي بَيْنَ جَمْعٍ فَأَفْتَنْتُ	بُرُؤَيْتَهُمَا مَنْ رَاحَ مِنْ عَرَفَاتِ

فكانوا يَرَوْنَ أن هذا الشعر له، قاله ارتجالاً.

وفي طبقات فحول الشعراء أنه لما ورد عليهم هَجَاءُ جَرِيرٍ وَالتَّيْمِيِّ قال سعيد بن المسيب لعبد الرحمن بن حرملة: أنشدني شيئاً مما قالاه. قال: فأنشدته للتيمي وهو يقول: هيه هيه - يعني زد- قال: ثم أنشدته لجرير. فقال: أَكَلَهُ أَكَلَهُ.

ولما قيل له: إن قومًا بالعراق يَعِيُونُ إنشاد الشعر قال: نَسَكُوا نُسْكَاً أَعْجَمِيًّا.

- ومن أولئك: عُبَيْدُ اللَّهِ بن عبد الله بن عتبة بن مسعود -عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه

عُمُّ أَبِيهِ-، وهو أحد فقهاء المدينة السبعة الذين انتهى إليهم علم المدينة.

يقول الزُّهري: سمعتُ من العلم شيئاً كثيراً فظننتُ أني اكتفيت، حتى لقيتُ عبداً لله فإذا
كأنِّي ليس في يدي منه شيء.

ومن شعره قوله وقد طلق امرأته ثم ندم: [الطويل]

كَتَمْتُ الْهَوَى حَتَّى أَضَرَّ بِكَ الْكَثْمُ وَلَا مَكَ أَقْوَامٌ وَلَوْ مُهُمْ ظُلْمٌ
وَنَمَّ عَلَيْكَ الْكَاشِحُونَ وَقَبْلَهُمْ عَلَيْكَ الْهَوَى قَدْ نَمَّ لَوْ نَفَعَ النَّمُّ
وَزَادَكَ إِغْرَاءً بِهَا طُولُ هَجْرِهَا قَدِيمًا وَأَبْلَى لَحْمٍ أَعْظَمَكَ الْهَمُّ
أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ لَا تَمُوتُ فَيَنْقُضِي عَنَاهَا وَلَا تَحْيَا حَيَاةً لَهَا طَعْمٌ
تَجَنَّبْتَ إِيَّانَ الْحَبِيبِ تَأْتُمًا أَلَا إِنَّ هَجْرَانَ الْحَبِيبِ هُوَ الْإِثْمُ
فَذُقْ هَجْرَهَا قَدْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّهُ رَشَادٌ أَلَا يَا رَبِّمَا كَذَبَ الزَّعْمُ

كان يقول طلقها وتستريح، فما وجد بعد طلاقها إلا الهم والندم، وله: [الطويل]

فَلَوْ أَكَلْتُ مِنْ نَبْتِ دَمْعِي بِهِيمَةً لَهَيَّجَ مِنْهَا رَحْمَةً حِينَ تَأْكُلُهُ
وَلَوْ كُنْتُ فِي غُلٍّ فَبُحْتُ بِلَوْعَتِي إِلَيْهِ لَلَّانْتَ لِي وَرَقَّتْ سَلْسِلُهُ
وَلَمَّا عَصَانِي الْقَلْبُ أَظْهَرْتُ عَوْلَهُ وَقُلْتُ أَلَا قَلْبٌ بِقَلْبِي أَبَادِلُهُ؟
وله أيضًا: [الوافر]

تَغْلَغَلَ حُبُّ عَثْمَةٍ فِي فُؤَادِي فَبَادِيهِ مَعَ الْخَافِي يَسِيرُ
تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابُ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ
أَكَادُ إِذَا ذَكَرْتُ الْعَهْدَ مِنْهَا أَطِيرُ لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا يَطِيرُ
شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ هَوَاكَ فَلَيْمَ وَالتَّامَ الْفُطُورُ
ومما يُنسب إليه: [الطويل]

أَحِبُّكَ حُبًّا لَا يُحِبُّكَ مِثْلُهُ قَرِيبٌ وَلَا فِي الْعَالَمِينَ بَعِيدُ
أَحِبُّكَ حُبًّا لَوْ عَلِمْتَ بِبَعْضِهِ لَجَدْتَ وَلَمْ يَضْعُبْ عَلَيْكَ شَدِيدُ
وَحُبُّكَ يَا أُمَّ الْعَلَاءِ مُدْلَاهِي شَهِيدِي أَبُوبَكْرٍ فَذَلِكَ شَهِيدُ

وَيَعْلَمُ وَجْدِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَعُرْوَةُ مَا أَلْقَى بِكُمْ وَسَعِيدُ
وَيَعْلَمُ مَا أَخْفَى سُلَيْمَانُ كُلُّهُ وَخَارِجَةُ يُؤَدِّي لَنَا وَيُعِيدُ
وهؤلاء الستة من فقهاء المدينة وهو سابعهم

مَتَى تَسْأَلِي عَمَّا أَقُولُ فَتُخْبِرِي فَلِلْحُبِّ عِنْدِي طَارِفٌ وَتَلِيدُ

يُحْكِي أَنَّهُ لَقِيَهُ بَعْدَ هَذَا سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ لَهُ: لَوْ سَأَلْتَنَا مَا شَهِدْنَا لَكَ بِزُورٍ.

والشيء بالشيء يُذَكَّرُ: ممن طلق امرأته فَتَبِعَتْهَا نَفْسُهُ قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ، وكان أبوه قد أمره
بطلاقها فطلقها وكاد أن يذهب عقله بعد طلاقها، وندم على ذلك أشد الندم، وقال في
ذلك: [الوافر]

فَوَا كَبِيدِي عَلَى تَسْرِيحِ لُبْنَى فَكَانَ فِرَاقُ لُبْنَى كَالْخِدَاعِ
تَكَنَّفَنِي الْوُشَاةُ فَأَزَعَجُونِي فَيَا لِلنَّاسِ لِلْوَاشِي الْمُطَاعِ
فَأَصْبَحْتُ الْغَدَاةَ الْيَوْمُ نَفْسِي عَلَى أَمْرٍ وَلَيْسَ بِمُسْتَطَاعِ
كَمَغْبُونٍ يَعْضُّ عَلَى يَدَيْهِ تَبَيَّنَ غَبْنُهُ بَعْدَ الْيَبَاعِ

- وممن طلق زوجته فندم الفرزدق، وكان من حديثه أن ابنة عمه النَّوَّارَ خطبها رجل
فرضيت به، ولم يكن أحدٌ أقرب إليها من أوليائها من الفرزدق، فسألته أن يزوجه إياها،
فقال: حتى تشهدني الناس أنك قد جعلت أمرك إلي. فلما أشهدت الناس على ذلك قام في
الناس وقال: أشهدكم أني زوجتها نفسي، فنفرت من ذلك وناكرته، وكان عبدالله بن الزبير
-رضي الله عنهما- يومئذ يدعى له بالخلافة وكان في مكة فحملها حيي من العرب إليه،

فقال في ذلك الفرزدق: [الطويل]

وَإِنَّ أَمْرًا يَسْعَى يُخَبِّبُ زَوْجَتِي كَسَاعٍ إِلَى أَسَدِ الشَّرَى يَسْتَبِيلُهَا
وَمِنْ دُونِ أَبْوَالِ الْأُسُودِ بَسَالَةً وَأَيْدٍ طَوَالٍ يَمْنَعُ الضَّيْمَ طَوْلَهَا

ولم يُدرك الفرزدقُ النَّوَّارَ حتى قَدِمَتْ مكة، فنزلت على زوجة عبدالله بن الزبير واسمها
 تَمَاضِرُ بنتُ مَنظُورِ بنِ زَبَّانٍ، ونزل هو على حمزة بن عبدالله بن الزبير، ومدحه بشعر، لكن
 كان يرى أنَّ كلَّ ما أصلح حمزة من أمر عبدالله بن الزبير في النهار أفسدته تماضر في الليل،
 فقال في ذلك:

[البسيط]

أَمَّا الْبُنُونَ فَلَمْ تُقْبَلْ شَفَاعَتُهُمْ وَشَفَعْتُ بِنْتُ مَنظُورِ بْنِ زَبَّانَا
 لَيْسَ الشَّفِيعُ الَّذِي يَأْتِيكَ مُؤْتَرِّرًا مَثَلُ الشَّفِيعِ الَّذِي يَأْتِيكَ عُزِيَانَا
 فبلغ ذلك عبدالله بن الزبير فأحفظه ودعا النَّوَّارَ، وقال: إن شئتَ فَرَقْتُ بينكما وبعثتُ به
 إلى ثَغَرٍ من ثغور المسلمين وأرحت المسلمين من شرِّ لسانه، وإلا فهو ابن عمك وهو
 فيك راغب فأزوجه إياك قالت: نعم. ثم إن الفرزدق تزوج عليها وهجاها وآذاها، فلم تزل
 تسأله طلاقها حتى أجابها إلى ذلك، وطلبت منه أن يشهد الحسن البصري. فذهب وأشهد
 الحسن البصري، وقال: أشهدك أن النَّوَّارَ طالقٌ ثلاثاً. فقال الحسن: قد شهدنا.

فلما انصرف ندم على ما فعل، فقال له صاحبه: والله إني أرى أن ندمك سيترقِّق؛ أتدري
 من أشهدت؟ أشهدت الحسن البصري! والله لئن رجعت لترجمنَّ بأحجارك. فقال
 الفرزدق في هذا:

[الوافر]

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسْعِيِّ لَمَّا غَدَتُ مِنِّي مُطْلَقَةً نَوَّارُ
 وَكَانَتْ جَنَّتِي فَخَرَجْتُ مِنْهَا كَادَمَ حِينَ أَخْرَجَهُ الضَّرَارُ
 فَكُنْتُ كَفَاقِي عَيْنَيْهِ عَمْدًا فَأَصْبَحَ لَا يُضِيءُ لَهُ نَهَارُ
 والكُسْعِيُّ رجلٌ من كُسَعٍ، اسمه محاربُ بن قيس، وكان من حديثه أنه كان يرعى إبلاً له
 بوادٍ كثير العُشب فبَصُرَ بِنَبْعَةٍ -وَالنَّبْعَةُ ضرب من الشجر تتخذ منه القِسيّ وتتخذ من
 أغصانه السهام- فأعجبته وعمل قَوْسًا وقال: [مشطور الرجز]

يَا رَبِّ وَفَّقْنِي لِنَحْتِ قَوْسِي

فَإِنَّهَا مِنْ لَدَّتِي لِنَفْسِي
وَأَنْفَعُ بِقَوْسِي وَلَدِي وَعَرْسِي

ثم رأى حُمُرًا فَكَمَنَ لها ورمى بسهمه - وكان بالليل - فرمى عَيْرًا منها فنفذ فيه السهم وجازه وأصاب جبلاً خلف العير فَأُورَى نارًا فظنَّ أنه أخطأ، ثم أخذ سهمًا ثانيًا وفعل مثل ذلك وأنفذ السهم العير وضرب الجبل خلفه، وظن أنه أخطأ وفعل الثالثة كذلك ورابعة وخامسة، فلما ظن أنه لم يُصِبْ عَمَدَ إلى قوسه فضرب بها حجرًا ثم بات، فلما أصبح نظر فإذا الحُمُرُ حوله مُصَرَّعَةً، وَأَسْهُمُهُ بالدم مُضَرَّجَةٌ، فندم على كسر القوس وعَضَّ على إبهامه فقطعها أسفًا وحسرة، ثم أنشأ يقول:

[الوافر]

نَدِمْتُ نَدَامَةً لَوْ أَنَّ نَفْسِي تُطَاوَعُنِي إِذَا لَقِطَعْتُ خَمْسِي
تَبَيَّنَ لِي سَفَاهُ الرَّأْيِ مِنِّي لَعَمْرُ أَيْيَكَ حِينَ كَسَرْتُ قَوْسِي

وإلى هذه الندامة أشار الفرزدق بقوله: "ندمت ندامة الكسعي".

وإلى هاتين القصتين أشار في الشمقمقية بقوله:

[الرجز]

وإن تَمَادَيْتَ عَلَى إِتْعَابِهَا وَلَمْ تَكُنْ مُنْتَهِيًا عَنْ رَهَقِ
فَسَوْفَ تَعْرُوكَ عَلَى إِتْلَافِهَا نَدَامَةُ الْكُسْعِيِّ وَالْفَرَزْدَقِ

المجلس الثامن

في هذا المجلس:

• من شعر العلماء

* عُرْوَة بن أُذَيْنَة وخبره مع هشام بن عبد الملك

- شيء من أخبار أبي السائب المَخْزُومِي وولَّعه بالشعر.

* زَيْن العابدين

* ابن المُبارك

* الشافعي

* أحمد بن المُعَذَّل

* عبد الوهاب البغدادي

- عَيْنَة ابن زُرَيْق التي مَنْ لم يحفظها لم يَتَمَّ ظَرْفُه.

* ابن عبد البر

* ابن حَزَم

- ذكر بعض العلماء الذين طلبوا العلم كبارًا.

* البَاجِي ومحتته ومحنة وَكِيع.

* الزَّمَخْشَرِي وشيء من أخباره وأشعاره وردود العلماء عليه شعرًا.

* ابن جُزَيِّ الكَلْبِي.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فمن الفقهاء الأدباء عُرْوَة بن أُذَيْنَة، وهو من علماء المدينة ومن شيوخ الإمام مالك، من شعره قوله:

[البسيط]

إِذَا وَجَدْتُ أَوَارَ الْحُبِّ فِي كَيْدِي غَدَوْتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْمَاءِ أَبْتَرِدُ
هَبْنِي بَرَدْتُ بِبَرْدِ الْمَاءِ ظَاهِرُهُ فَمَنْ لَّنَارٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ تَتَقَدُّ

يقال: إنه وقفت عليه امرأة فقالت: أنت الذي يقال فيك الرجل الصالح وأنت القائل:

إِذَا وَجَدْتُ أَوَارَ الْحُبِّ فِي كَيْدِي غَدَوْتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْمَاءِ أَبْتَرِدُ
هَبْنِي بَرَدْتُ بِبَرْدِ الْمَاءِ ظَاهِرُهُ فَمَنْ لَّنَارٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ تَتَقَدُّ

والله ما قال هذا رجل صالح! وفي رواية أنها قالت: والله ما خرج هذا من قلب سليم.

ذكر هذا الخبر ابن عبد ربه في العقد الفريد ثم قال: كذبت عدوة الله ... بل لم يكن مرائيًا ولكنه كان مصدورًا فنفت.

[البسيط]

وهو القائل:

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِشْرَافُ مِنْ خُلُقِي أَنَّ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
أَسْعَى لَهُ فَيُعْنِينِي تَطْلُبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعْنِينِي

وكان قد خرج مرة مع أهل العلم والفضل من المدينة إلى الشام في وفد إلى هشام بن عبد الملك أمير المؤمنين آنذاك، وكان هشام يقضي حاجاتهم، فلما رأى عروة قال: أنت القائل:

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِشْرَافُ مِنْ خُلُقِي أَنَّ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
أَسْعَى لَهُ فَيُعْنِينِي تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعْنِينِي

والله ما أراك إلا كذبت نفسك! فقال عروة: صدقت يا أمير المؤمنين، لقد أذكرتني ما كنت ناسياً، وخرج من فورِهِ وركب راحلته ورجع إلى المدينة، وفي اليوم الثاني سأل هشام بن عبد الملك عنه وقال: أين عروة؟ فقالوا: إنه رجع إلى المدينة. فَلَوَّم نفسه وقال: رجل من قريش وَفَدَ إِلَيَّ فجبهته ورددته عن حاجته وهو مع ذا شاعر لا آمن أن يقول فيّ ما يبقى ذكره، فوجه إليه رسولا بألف دينار، وقال: أدركه قبل أن يصل إلى المدينة، فما أدركه إلا وقد دخل داره في المدينة، فطرق عليه الباب وخرج فقال له: هذه ألف دينار من الخليفة. فقال: أبلغ أمير المؤمنين مني السلام، وقل له: كيف رأيت قولي:

أَسْعَى لَهُ فَيُعْنِينِي تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعْنِينِي
ومن جميل شعره قوله:

[الكامل]

إِنَّ الَّتِي زَعَمْتُ فُؤَادَكَ مَلَّهَا خُلِقْتُ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا
فَبِكَ الَّذِي زَعَمْتُ بِهَا وَكَلَاكُمَا يُبْدِي لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كُلَّهَا
وَيَبِيتُ بَيْنَ جَوَانِحِي حُبُّ لَهَا لَوْ كَانَ تَحْتَ فِرَاشِهَا لَا قَلَّهَا
وَلَعَمْرُهَا لَوْ كَانَ حُبُّكَ فَوْقَهَا يَوْمًا وَقَدْ ضَحِيتُ إِذَا لَا ظَلَّهَا
بِضَاءٍ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا بِلَبَاقَةٍ فَأَذَقَهَا وَأَجَلَّهَا

وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ شَفَعَ الْفُؤَادُ إِلَى الضَّمِيرِ فَسَلَّهَا
لَمَّا عَرَضْتُ مُسَلِّمًا لِي حَاجَةً أَرْجُو مَعُونَتَهَا وَأَخْشَى ذُلَّهَا
مَنْعَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا
فَدَنَا وَقَالَ: لَعَلَّهَا مَعْدُورَةٌ مِّنْ أَجْلِ رِقَبَتِهَا فَقُلْتُ: لَعَلَّهَا

من الطريف أن أبا السائب المخزومي - وكان كثير الطرب، غزير
الأدب، وله فكاهات مذكورة، وأخبار مشهورة، وجدَّه كان شريك النبي
- صلى الله عليه وسلم - وقال فيه: "مرحبًا بأخي وشريكي كان لا يُداري
ولا يُماري" - استنشد أبو السائب عروة بن عبيد الله بن عروة بن الزبير
هذه الأبيات، وكان عروة بن عبيد الله سمعها من عروة بن أذينة؛ جاء أبو
السائب إلى عروة بن عبيد الله، فقال عروة: ألك حاجة؟ قال أبو السائب:
نعم، أبيات لعروة بن أذينة بلغني أنك سمعتها منه - يريد هذه الأبيات -
قال عروة: وأي أبيات؟ قال: وهل يخفى القمر! فلما أنشده إياها قال أبو
السائب: هذا والله الصادق الود، الدائم العهد، لا الهذلي الذي يقول:

[الكامل]

إِنْ كَانَ أَهْلُكَ يَمْنَعُونَكَ رَغْبَةً عَنِّي فَأَهْلِي بِي أَضَنُّ وَأَرْغَبُ

وأبو السائب المخزومي كان - على شرفه وجلالته وفضله في العلم
والدين - مولعًا بالشعر حتى إنه قال: أما والله لو كان الشعر مُحَرَّمًا لَوَرَدْنَا
الرَّحْبَةَ كل يومٍ مرارًا - والرَّحْبَةُ: المكان الذي تقام فيه الحدود - وكان قد
سهر مرة مع صاحب له وتناشدا شيئًا من الشعر فكان مما أنشده صاحبه

[الكامل]

قول العرجي:

بَاتَا بِأَنْعَمِ لَيْلَةٍ حَتَّى بَدَا صُبْحُ تَلَوَّحٍ كَالْأَغْرِ الْأَشْقَرِ

فَتَلَا زَمَا عِنْدَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً أَخَذَ الْغَرِيمَ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمُعْسِرِ
فَأَعْجَبَ أَبُو السَّائِبِ هَذَا الْبَيْتَ حَتَّى حَلَفَ أَلَّا يَتَكَلَّمَ بِغَيْرِ هَذَا الْبَيْتِ حَتَّى
يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، فَخَرَجَ مَعَ صَاحِبِهِ فَتَلَقَّاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ
أَبِي طَالِبٍ فَسَلَّمَ وَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا أَبُو السَّائِبِ؟ قَالَ:

فَتَلَا زَمَا عِنْدَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً أَخَذَ الْغَرِيمَ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمُعْسِرِ
يَقُولُ صَاحِبُ أَبِي السَّائِبِ: فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ: مَتَى أَنْكَرْتَ عَقْلَ
صَاحِبِكَ؟ قُلْتُ: مِنْذُ اللَّيْلَةِ. قَالَ: لِلَّهِ أَيُّ كَهْلٍ أُصِيبَتْ بِهِ قَرِيشٌ. قَالَ: ثُمَّ
مَضَيْنَا، فَلَقِينَا قَاضِي الْمَدِينَةِ فَسَلَّمَ وَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا أَبُو السَّائِبِ؟ قَالَ:

فَتَلَا زَمَا عِنْدَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً أَخَذَ الْغَرِيمَ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمُعْسِرِ
فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ: مَتَى أَنْكَرْتَ عَقْلَ صَاحِبِكَ؟! قُلْتُ: أَنْفًا. فَتَرَكَنِي
وَانصَرَفَ، قُلْتُ: أَفْتَدَعُهُ هَكَذَا؟ وَاللَّهِ مَا آمَنَ أَنْ يَتَرَدَّى فِي بَعْضِ آبَارِ
الْعَقِيقِ!

قَالَ الْقَاضِي: صَدَقْتَ. فَوَضَعَ الْقَيْدَ فِي رِجْلِهِ وَنَزَلَ الْقَاضِي عَنْ بَغْلَتِهِ -
وَكَانَ سَمِينًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَرَّكَ - وَأَمَرَ غَلَامَهُ أَنْ يَحْمِلَهُ عَلَيْهِ وَيَلْحَقَهُ
بَأَهْلِهِ، وَأَبُو السَّائِبِ يَنْشُدُ الْبَيْتَ وَيَحْرُكُ يَدَيْهِ، فَحُمِلَ أَبُو السَّائِبِ عَلَى
الْبَغْلَةِ إِلَى أَهْلِهِ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ.

- وَمِنَ الْفُقَهَاءِ الْعُلَمَاءِ الشُّعْرَاءِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، يَقُولُ
الْأَصْمَعِيُّ: بَيْنَمَا أَنَا أَطُوفُ بِالْبَيْتِ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ رَأَيْتُ شَابًّا مُتَعَلِّقًا بِأَسْتَارِ
الْكَعْبَةِ وَهُوَ يَقُولُ:
[البسيط]

يَا مَنْ يُجِيبُ دُعَا الْمُضْطَرِّ فِي الظُّلَمِ يَا كَاشِفَ الضُّرِّ وَالْبَلَوَى مَعَ السَّقَمِ

قَدْ نَامَ وَفَدُكَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَانْتَبَهُوا
أَدْعُوكَ رَبِّي حَزِينًا هَائِمًا قَلِقًا
إِنْ كَانَ جُودُكَ لَا يَرْجُوهُ ذُو سَفَهٍ
ثُمَّ بَكَى بِكَاءٍ شَدِيدًا، وَأَنْشَدَ يَقُولُ:

وَأَنْتَ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ لَمْ تَنَمْ
فَارَحِمْ بُكَائِي إِلَهَ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ
فَمَنْ يَجُودُ عَلَى الْعَاصِيْنَ بِالْكَرَمِ
[الطويل]

أَلَا أَيُّهَا الْمَقْصُودُ فِي كُلِّ حَاجَةٍ
أَلَا يَا رَجَائِي أَنْتَ كَاشَفُ كُرْبَتِي
أَتَيْتُ بِأَعْمَالٍ قَبَاحٍ رَدِيَّةٍ
أَتَحْرِقُنِي بِالنَّارِ يَا غَايَةَ الْمُنَى

وَمِنْ الْفُقَهَاءِ الشُّعْرَاءِ: ابْنُ الْمُبَارَكِ، وَخَبَرَ الْأَبْيَاتَ الَّتِي كَتَبَهَا إِلَى الْفَضِيلِ
بْنِ عِيَاضٍ مَشْهُورٍ، فَإِنَّهُ كَتَبَ لَهُ وَهُوَ فِي الثَّغْرِ:

[الكامل]

يَا عَابِدَ الْحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا
مَنْ كَانَ يَخْضِبُ جِيدَهُ بِدُمُوعِهِ
أَوْ كَانَ يَتَعَبُ خَيْلَهُ فِي بَاطِلٍ
رِيحُ الْعَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيرُنَا
وَلَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَقَالٍ نَبِيًّا
لَا يَسْتَوِي وَغَبَارُ خَيْلِ اللَّهِ فِي
هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا

لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي الْعِبَادَةِ تَلْعَبُ
فَنُحُورُنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ
فَخُيُولُنَا يَوْمَ الصَّيْحَةِ تَتَعَبُ
رَهْجُ السَّنَابِكِ وَالْغُبَارُ الْأَطْيَبُ
قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لَا يَكْذِبُ
أَنْفِ امْرِئٍ وَدُخَانُ نَارٍ تَلْهَبُ
لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لَا يَكْذِبُ

فَلَمَّا قَرَأَ الْفَضِيلُ بَنَ عِيَاضَ الْكِتَابِ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ: صَدَقَ أَبُو
عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَنَصَحَنِي.

وَكَانَ ابْنُ الْمُبَارَكِ كَثِيرًا مَا يَتِمَثَّلُ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ:

وَإِذَا صَاحَبْتَ فَاصْحَبْ مَا جَدَا
قَوْلُهُ لِلشَّيْءِ لَا إِنْ قُلْتَ لَا

ذَا حَيَاءٍ وَعَفَافٍ وَكَرَمٍ
وَإِذَا قُلْتَ نَعَمْ قَالَ نَعَمْ

وهو القائل:

[البسيط]

اللَّهُ يَذْفَعُ بِالسُّلْطَانِ مُعْضِلَةً فِي دِينِنَا رَحْمَةً مِنْهُ وَدُنْيَانَا
لَوْلَا الْأَيْمَةُ لَمْ تَأْمَنْ لَنَا سُبُلٌ وَكَانَ أَضْعَفُنَا نَهْبًا لَأَقْوَانَا
قيل: إن الخليفة هارون الرشيد أعجبه هذا، فلما بلغه أن ابن المبارك مات
قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ائذن للناس يعزونا في ابن المبارك؛ أليس هو

القائل:

اللَّهُ يَذْفَعُ بِالسُّلْطَانِ مُعْضِلَةً فِي دِينِنَا رَحْمَةً مِنْهُ وَدُنْيَانَا
فَمَنْ الَّذِي يَسْمَعُ هَذَا مِنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ وَلَا يَعْرِفُ حَقَّنَا!

وكان هارون الرشيد من الخلفاء الصالحين وقد قال فيه الشاعر: [الوافر]

فَمَنْ يَطْلُبُ لِقَاءَكَ أَوْ يُرِدُّهُ فَبِالْحَرَمَيْنِ أَوْ أَقْصَى الثُّغُورِ
فَفِي أَرْضِ الْعَدُوِّ عَلَى طِمَرٍ وَفِي أَرْضِ التَّرَفِّهِ فَوْقَ كُورِ
- ومن أولئك - وهو غني عن الذكر - الإمام الشافعي - رحمه الله - ومن

شعره قوله:

[الطويل]

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَلِيمًا مِنَ الْأَذَى وَدِينُكَ مَوْفُورٌ وَعِرْضُكَ صَيِّنٌ
لِسَانَكَ لَا تَذْكُرْ بِهِ عَوْرَةَ امْرِئٍ فَكُلُّكَ عَوْرَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنُ
وَعَيْنُكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَعَايِبًا فَصُنْهَا وَقُلْ يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنُ
وَعَاشِرٌ بِمَعْرُوفٍ وَسَامِحٌ مَنِ اعْتَدَى وَفَارِقٌ وَلَكِنْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

ومن الأخبار الطريفة ما حكاه أبو القاسم بن الأزرق قال: دخلت على

الشافعي - رحمه الله - فقلت: يا أبا عبد الله، ما تنصفنا، لك هذا الفقه تفوز

بفوائده، ولنا هذا الشعر، وقد جئت تداخلنا فيه، فإمّا أفردتنا بالشعر، أو أشركتنا

في الفقه، وقد جئتُ بأبياتٍ إن أجزتها بمثلها تبتُّ من الشعر، وإن عجزت عنها

تبت، فقال لي: إيه يا هذا، فأنشدته:

[الكامل]

مَا هَمَّتِي إِلَّا مُقَارَعَةُ الْعِدَى	خُلِقَ الزَّمَانُ وَهَمَّتِي لَمْ تَخْلُقِ
وَالنَّاسُ أَعْيُنُهُمْ إِلَى سَلْبِ الْفَتَى	لَا يَسْأَلُونَ عَنِ الْحِجَابِ وَالْأَوْلَقِ
لَكِنَّ مَنْ رَزَقَ الْحِجَابَ حُرِمَ الْغِنَى	ضِدَّانِ مُفْتَرِقَانِ أَيَّ تَفَرُّقِ
لَوْ كَانَ بِالْحِيلِ الْغِنَى، لَوَجَدْتَنِي	بُنُجُومِ أَقْطَارِ السَّمَاءِ تَعْلُقِي

فقال الشافعي: ألا قلت كما أقول ارتجالاً:

[الكامل]

إِنَّ الَّذِي رَزَقَ الْيَسَارَ وَلَمْ يَنْلُ	حَمْدًا وَلَا أَجْرًا الْغَيْرُ مُوَفَّقِ
فَالْجَدُّ يُدْنِي كُلَّ أَمْرٍ شَاسِعِ	وَالْجَدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقِ
فَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَجْدُودًا حَوَى	عُودًا فَأَثْمَرَ فِي يَدَيْهِ فَحَقَّقِ
وَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَحْرُومًا أَتَى	مَاءً لِيَشْرَبَهُ فَغَصَّ فَصَدَّقِ
وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى الْقَضَاءِ وَكَوْنِهِ	بُؤْسُ اللَّيْبِ وَطِيبُ عَيْشِ الْأَحْمَقِ

قال ابن الأزرقي: فقلت: تالله لا قلت شعراً بعدها.

- ومن أولئك أحمد بن المُعَدَّل، من فقهاء المالكية في العراق كان يسمى

الراهب، ويُعَدَّل بأحمد ابن حنبل، قال بعضهم: رأيتُه في الموقف وقد

ضَحِيَّ للشمس! فقلت: يا أبا الفضل، هذا أمر قد اختلف فيه فلو أخذت

بالتوسعة. فأنشأ يقول:

[الطويل]

ضَحِيْتُ لَهُ كَيْ أَسْتَظِلَّ بِظِلِّهِ	إِذَا الظُّلُّ أَضْحَى فِي الْقِيَامَةِ قَالِصَا
فَوَا أَسْفَى إِنْ كَانَ سَعْيُكَ بَاطِلًا	وَيَا حَسْرَتَا إِنْ كَانَ حُجُّكَ نَاقِصَا

وقد ذكر القاضي عياض في ترتيب المدارك كثيراً من شعره.

- ومن أولئك القاضي عبد الوهاب البغدادي، كان فقيهاً أديباً شاعراً، قال ابن بسام في الذخيرة: وقد وجدت له شعراً معانيه أجلى من الصبح، وألفاظه أحلى من الظفر بالنجح.

وكان قد خرج من بغداد بسبب الفاقة، وشيَّعه يومَ فَصَلَ عنها من أكابرها وأصحابِ محابرِها جملةٌ موفورةٌ، وطوائفُ كثيرةٌ، فقال: لو وجدت بين ظهرانيكم رغيّفين كل غداة وعشي ما عدلت ببلدكم بلوغ أمنية! واجتاز في طريقه بمعرة النعمان قاصداً مصر، وبالمعرة يومئذ أبو العلاء المعري فأضافه واحتفى به، وفي ذلك يقول المعري من جملة أبيات: [البسيط]

وَالْمَالِكِيُّ ابْنُ نَصْرِ زَارٍ فِي سَفَرٍ بِلَادِنَا فَحَمِدْنَا النَّأْيَ وَالسَّفَرَ
إِذَا تَفَقَّهَ أَحْيَا مَالِكًا جَدَلًا وَيَنْشُرُ الْمَلِكَ الضَّلِيلَ إِنَّ شَعْرًا
ثم في مصر فُتِحَتْ عليه الدنيا فمات من أكلة اشتهاها فأكلها، وقال كلمته المشهورة: لا إله إلا الله لمَّا عشنا متنا! وقد بقي قلبه متعلقاً ببغداد وفيها يقول:

[الطويل]

سَلَامٌ عَلَى بَغْدَادٍ مِنْ كُلِّ مَوْطِنٍ وَحَقٌّ لَهَا مِنِّْي سَلَامٌ مُضَاعَفُ
فَوَاللَّهِ مَا فَارَقْتُهَا قَالِيًّا لَهَا وَإِنِّي بِشَطْطِي جَانِبُهَا لَعَارِفُ
وَلَكِنَّهَا ضَاقَتْ عَلَيَّ بِأَسْرِهَا وَلَمْ تَكُنِ الْأَرْزَاقُ فِيهَا تُسَاعِفُ
وَكَانَتْ كَخِلِّ كُنْتُ أَهْوَى دُنُوهُ وَأَخْلَافُهُ تَنْأَى بِهِ وَتُخَالِفُ
ومن شعره الرائق الفائق قوله:

[الوافر]

مَتَى تَصِلُ الْعِطَاشُ إِلَى ارْتِوَاءٍ إِذَا اسْتَقَتِ الْبَحَارُ مِنَ الرِّكَايَا
وَمَنْ يَثْنِي الْأَصَاغِرَ عَنْ مُرَادٍ وَقَدْ جَلَسَ الْأَكَابِرُ فِي الزَّوَايَا
وإنَّ تَرْفُعَ الْوُضْعَاءِ يَوْمًا عَلَى الرُّفَعَاءِ مِنْ إِحْدَى الْبَلَايَا

إِذَا اسْتَوَتْ الْأَسَافِلُ وَالْأَعَالِي فَقَدْ طَابَتْ مُنَادِمَةُ الْمَنَايَا

- وقريب من خبره في الشوق إلى بغداد: خبر ابن زريق، له قصيدة غراء بديعة يسمع المُحِبُّ فيها رَجْعَ أَنَاتِهِ، وَيُحِسُّ الغَرِيبُ منها لَذْعَ الغُرْبَةِ يكوي فؤاده، وقد شَرَّقَتْ وغَرَّبَتْ وَعُدَّ حفظها من أسباب الظَّرْفِ، يقال لها: عَيْنِيَّةُ ابن زريق، وفراقية ابن زريق، ویتيمة ابن زريق، قال ابن حزم: يقال: من تَخَتَّمَ بالعقيق، وقرأ لأبي عمرو، وتفقه للشافعي، وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل الظَّرْفَ.

كان أبو الحسن علي بن زريق البغدادي - كما في مصارع العشاق لأبي محمد السَّراج - قد خرج من بغداد إلى الأندلس ليمدح أبا عبد الرحمن الأندلسي؛ لأنه بلغه أنه يعطي الشعراء، فلما ذهب إليه وألقى قصيدته بين يديه لم يعطه إلا دريهمات يسيرة - قيل: إنه أراد أن يبلّوه ويختبره -، فقال ابن زريق: إنا لله وإنا إليه راجعون! سَلَكْتُ الْبَرَارِي وَالْبَحَارَ، وَالْمَهَامَةَ وَالْقِفَارَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَأَعْطَانِي هَذَا الْعَطَاءَ النَّزْرَ! فَاكْسَرْتَ إِلَيْهِ نَفْسَهُ وَاعْتَلَّ فَمَاتَ!

وَشُغِلَ عَنْهُ الْأَنْدَلُسِيُّ أَيَّامًا ثُمَّ سَأَلَ عَنْهُ، فَخَرَجُوا يَطْلُبُونَهُ فَوَجَدُوهُ قَدْ مَاتَ

[البسيط]

وعند رأسه رقعة مكتوبة فيها هذه الأبيات:

لَا تَعْذُلِيهِ فَإِنَّ الْعَذْلَ يُؤْلِعُهُ	قَدْ قَلَّتْ حَقًّا وَلَكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ
جَاوَزْتَ فِي لَوْمِهِ حَدًّا أَضَرَّ بِهِ	مِنْ حَيْثُ قَدَّرْتَ أَنَّ اللَّوْمَ يَنْفَعُهُ
فَاسْتَعْمِلِي الرَّفْقَ فِي تَأْنِيهِ بَدَلًا	مَنْ عُنْفِهِ فَهُوَ مُضْنَى الْقَلْبِ مُوجَعُهُ

إلى أن قال:

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَرًا بِالكَرْخِ مِنْ فَلكِ الْأَزْرَارِ مَطْلِعُهُ
وَدَعْتُهُ وَبِوُدِّي لَوْ يُودِّعُنِي صَفْوُ الْحَيَاةِ وَأَنِّي لَا أُودِّعُهُ
كَمْ قَدْ تَشَفَّعَ بِي إِلَّا أَفَارِقَهُ وَلِلضَّرُورَاتِ حَالٌ لَا تَشْفَعُهُ
وَكَمْ تَشَبَّهَ بِي يَوْمَ الرَّحِيلِ ضَحَى وَأَدْمَعِي مُسْتَهْلَاتٌ وَأَدْمَعُهُ
لَا أَكْذِبُ اللَّهَ ثَوْبُ الصَّبْرِ مُنْخَرِقٌ عَنِّي بِفُرْقَتِهِ لَكِنْ أَرْقَعُهُ
أَعْطَيْتُ مُلْكًا فَلَمْ أَحْسِنْ سِيَاسَتَهُ وَكُلُّ مَنْ لَا يَسُوسُ الْمُلْكَ يُخْلَعُهُ
وَمَنْ غَدَا لَا بِسَا ثَوْبِ النَّعِيمِ بَلَا شُكْرٍ عَلَيْهِ فَعَنَّهُ اللَّهُ يَنْزِعُهُ

- ومن أولئك الفقهاء الأدباء: الإمام الحافظ ابن عبد البر، وله كتاب من أحسن كتب الأدب هو بهجة المجالس وأنس المجالس، وله أشعار كثيرة منها ما قاله في كتاب التمهيد الذي شرح فيه موطأ الإمام مالك - وقد مكث في تأليفه ثلاثين سنة - قال فيه:

[الطويل]

سَمِيرُ فُؤَادِي مُذْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً وَصَيْقُلُ ذَهْنِي وَالْمُفَرِّجُ عَنْ هَمِّي
بَسَطْتُ لَكُمْ فِيهِ كَلَامَ نَبِيِّكُمْ بِمَا فِي مَعَانِيهِ مِنَ الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ
وَفِيهِ مِنَ الْأَدَابِ مَا يُهْتَدَى بِهِ إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَيُنْهَى عَنِ الظُّلْمِ

- ومن أولئك: ابن حزم، وفي ترجمته أن سبب تعلمه الفقه أنه شهد جنازة فدخل المسجد فجلس ولم يركع، فقال له رجل: قم فصل تحية المسجد. وكان قد بلغ ستاً وعشرين سنة. قال: فقمتم وركعت، فلما رجعنا من الصلاة على الجنازة دخلت المسجد فبادرت بالركوع، فقبل لي: اجلس ليس ذا وقت صلاة. وكان بعد العصر فانصرفت وقد حزنت. هذا المشهور أنه كان ابتداء طلبه العلم وهو ابن ست وعشرين سنة على

خلاف في صحته، وله نظائر فالكسائي الإمام الحجة في القراءات والنحو
ابتدأ طلب العلم وهو ابن أربعين سنة، وأبو بكر القفال كان ماهراً في
صناعة الأقفال، ابتدأ طلب العلم وهو ابن ثلاثين سنة حتى صار عالماً
فقيهاً، والأزهري صاحب التصريح في شرح التوضيح والأزهرية وإعراب
الألفية كان وقاداً بالجامع الأزهر ابتدأ طلب العلم وهو ابن ست وثلاثين
سنة، والعلامة عبد الله القرعاوي ابتدأ طلب العلم وهو ابن ثلاثين سنة،
وغيرهم كثير. ويكفي في هذا الصحابة؛ قال البخاري في صحيحه: وقد
تعلم أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - في كبر سنهم.

وكان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين قاله أبو العباس بن
العريف، وقال أبو مروان ابن حيان - فيما نقله الذهبي في السير -: وأكثر
معايبه زعموا - عند المنصف - جهله بسياسة العلم، التي هي أعوص من
إتقانه.

[الطويل]

ولما أحرقوا كتبه قال:

فَإِنْ تُحْرِقُوا الْقِرْطَاسَ لَا تُحْرِقُوا تَصْمَنَهُ الْقِرْطَاسُ بَلْ هُوَ فِي صَدْرِي
يَسِيرُ مَعِي حَيْثُ اسْتَقَلَّتْ رَكَائِبِي وَيَنْزِلُ إِنْ أَنْزَلَ وَيُذْفَنُ فِي قَبْرِي
دَعُونِي مِنْ إِحْرَاقِ رَقٍّ وَكَاغِدٍ وَقُولُوا بِعِلْمٍ كَيْ يَرَى النَّاسُ مَنْ يَدْرِي
وَالْأَفْعُودُوا لِلْمَكَاتِبِ بَدَاةً فَكَمْ دُونَ مَا تَرْجُونَ لِلَّهِ مِنْ سِتْرِ

[البسيط]

وقريب منه قول الشافعي:

عِلْمِي مَعِي حَيْثُمَا يَمَّمْتُ يَتْبَعُنِي قَلْبِي وَعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِ
إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي

[المتقارب]

وعلى الصّدّ قول محمد بن يسير:

أَمَالُو أَعْيَ كُلَّ مَا أَسْمَعُ وَأَخْفَظُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَجْمَعُ
وَلَمْ أَسْتَفِدْ غَيْرَ مَا قَدْ جَمَعْتُ لَقِيلَ هُوَ الْعَالِمُ الْمُصْقَعُ
وَلَكِنَّ نَفْسِي إِلَى كُلِّ شَيْءٍ مِّنَ الْعِلْمِ تَسْمَعُهُ تَنْزِعُ
وَأَحْضُرُ بِالْعِيِّ فِي مَجْلِسٍ وَعِلْمِي فِي الْكُتُبِ مُسْتَوْدَعُ
فَلَا أَنَا أَخْفَظُ مَا قَدْ جَمَعْتُ وَلَا أَنَا مِنْ جَمْعِهِ أَشْبَعُ
وَمَنْ يَكُ فِي عِلْمِهِ هَكَذَا يَكُنْ دَهْرُهُ الْقَهْقَرَى يَرْجِعُ
إِذَا لَمْ تَكُنْ حَافِظًا وَاعِيَا فَجَمْعُكَ لِلْكِتَابِ لَا يَنْفَعُ

ومن جميل شعر ابن حزم -وله شعر كثير رائع - قوله: [الوافر]

لَئِنْ أَضْبَحْتُ مُرْتَحِلًا بِجِسْمِي فَرُوحِي عِنْدَكُمْ أَبَدًا مُّقِيمٌ
وَلَكِنَّ لِلْعِيَانِ لَطِيفٌ مَعْنَى لَهُ سَأَلَ الْمُعَايَنَةَ الْكَلِيمُ

- ومن أولئك الفقهاء الأدباء: الإمام أبو الوليد الباجي، وهو الذي

تصدى لابن حزم وناظره ونقض كثيراً من حججه، وهو صاحب المتقى

في شرح الموطأ، روى عنه حافظا المشرق والمغرب الخطيب البغدادي

وابن عبد البر، من شعر الباجي قوله: [المتقارب]

إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا بِأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَةٌ
فَلِمَ لَا أَكُونُ ضَنِينًا بِهَا وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَةٍ

وله محنة عجيبة تمالأ الناس عليه بسببها، وذلك أنه ادّعى أن النبي -

صلى الله عليه وسلم - زال عنه وصف الأمية، استدلالاً بحديث البخاري

في صلح الحديبية أنه - صلى الله عليه وسلم - كتب محمد بن عبد الله، فثار

عليه الناس، وأكثر القالة فيه مَنْ لم يفهم غرضه، حتى أنشد بعض

خطبائهم على المنبر يوم الجمعة على رؤوس الناس قول الشاعر فيه:
[البسيط]

بَرِئْتُ مِمَّنْ شَرَى دُنْيَا بِأَخِرَةٍ وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كَتَبَا
وخبره بكماله في ترتيب المدارك.

ومحنة وكيع قريبة من محنته، وهي غريبة؛ تورط فيها ولم يرد إلا خيرًا،
ولكن فاتته سكتة لمَّا روى في مكة بين ظهرائي قريش حديث أن النبي -
صلى الله عليه وسلم- بعد موته تُرِكَ حتى ربا بطنه وَاثْنَى خِنْصِرَاهُ،
اجتمعت قريش، وأرادوا صلب وكيع، ونصبوا خشبة لصلبه، فجاء سفيان
بن عُيَيْنَةَ فقال لهم: الله الله هذا فقيه أهل العراق، وابن فقيهه، وهذا حديث
معروف. قال سفيان: ولم أكن سمعته إلا أني أردت تخليص وكيع.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة وكيع: ما لو كيع ولرواية هذا
الخبر المنكر المنقطع الإسناد كادت نفسه أن تذهب غلطًا.

- ومن أولئك: الزَّمَخْشَرِيُّ جار الله محمود، وكان مُعْتَزِلِيًّا متظاهرًا
بالاعتزال، حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحبًا له واستأذن عليه في
الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن: قل: أبو القاسم المعتزلي بالباب.

ويقال: إنه أول ما صنف كتاب الكشّاف -ذكر هذا ابن خَلِّكَانَ في وَفَيَاتِ
الأعيان- كتب استفتاح الخطبة: الحمد لله الذي خلق القرآن. على
اعتقادهم الضال، يقال: إنه قيل له: متى تركته على هذه الهيئة هجره
الناس ولا رغب أحد فيه. فغيره بقوله: الحمد لله الذي جعل القرآن.

قال ابن خَلَّكَانَ: رأيت في كثير من النسخ الحمد لله الذي أنزل القرآن
وهذا إصلاح الناس لا إصلاح المصنف.

وقد قال الزمخشري في مدح تفسيره الكشاف: [البسيط]

إِنَّ التَّفَاسِيرَ فِي الدُّنْيَا بِلاَ عَدَدٍ وَلَيْسَ فِيهَا لَعَمْرِي مِثْلُ كَشَافِي
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْهُدَى فَالْزَمْ قِرَاءَتَهُ فَالْجَهْلُ كَالدَّاءِ وَالْكَشَافُ كَالشَّافِي

ومما يُنسب إليه: [الطويل]

وَإِنْ يَسْأَلُوا عَنْ مَذْهَبِي لَمْ أَبْحِ بِهِ وَأَكْتُمُهُ كِتْمَانُهُ لِي أَسْلَمَ
فَإِنْ حَنْفِيًّا قُلْتُ قَالُوا بِأَنَّنِي أُبِيحُ الطَّلَا وَهُوَ الشَّرَابُ الْمُحَرَّمُ
وَإِنْ مَالِكِيًّا قُلْتُ قَالُوا بِأَنَّنِي أُبِيحُ لَهُمْ أَكْلَ الْكِلَابِ وَهُمْ هُمْ
وَإِنْ شافِعِيًّا قُلْتُ قَالُوا بِأَنَّنِي أُبِيحُ نِكَاحَ الْبِنْتِ وَالْبِنْتُ تَحْرُمُ
وَإِنْ حَنبَلِيًّا قُلْتُ قَالُوا بِأَنَّنِي ثَقِيلُ حُلُولِي بَغِيضُ مُجَسِّمِ
وَإِنْ قُلْتُ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَحِزْبِهِ يَقُولُونَ تَيْسٌ لَيْسَ يَذْرِي وَيَفْهَمُ
تَعَجَّبْتُ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ فَمَا أَحَدٌ مِّنَ أَلْسِنِ النَّاسِ يَسْلَمُ
وَأَخْرَنِي دَهْرِي وَقَدَّمَ مَعْشَرًا عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَأَعْلَمُ
وَمُذْ أَفْلَحَ الْجُهَّالُ أَيْقَنْتُ أَنَّني أَنَا الْمِيمُ وَالْأَيَّامُ أَفْلَحُ أَعْلَمُ

الأفلاح: مشقوق الشَّفَّة السفلى. والأعلم: مشقوق الشَّفَّة العليا. والأفلاح

الأعلم لا يستطيع أن ينطق حرف الميم. وأشار إلى هذا الشيخ حمَّاد بن

أَلَمِين في نصيحته فقال: [الرجز]

قَوْلُ الزَّمْخَشَرِيِّ وَمُذْ أَفْلَحَ لَا تَعْدِلُ بِهِ فَهُوَ يُضَاهِي الْمَثَلَا
ومما يُنسب إلى الزمخشري: [الكامل]

سَهْرِي لِتَنْقِيحِ الْعُلُومِ أَلْذُّ لِي مِنْ وَصْلِ غَانِيَةٍ وَطِيبِ عِنَاقِ

وَتَمَائِلِي طَرَبًا لِحَلِّ عَوِيصَةٍ أَشْهَى وَأَحْلَى مِنْ مُدَامَةِ سَاقِ
وَصَرِيرِ أَقْلَامِي عَلَى أَوْرَاقِهَا أَحْلَى مِنَ الدُّوْكَاءِ وَالْعُشَّاقِ
وَأَلَذُّ مِنْ نَقْرِ الْفَتَاةِ لِدَفِّهَا نَقْرِي لِأُلْقِي الرَّمْلَ عَنْ أَوْرَاقِي
يَا مَنْ يُحَاوِلُ بِالْأَمَانِي رُتْبَتِي كَمْ بَيْنَ مُسْتَفِيلٍ وَآخِرَ رَاقِي
أَيِّتُ سَهْرَانَ الدُّجَى وَتَيْتُهُ نَوْمًا وَتَبْغِي بَعْدَ ذَلِكَ لِحَاقِي

وقريب منه في المعنى قول محمد بن هارون الدمشقي الفقيه: [الوافر]

لَمَحْبَرَةٌ تُجَالِسُنِي نَهَارِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْسِ الصَّدِيقِ
وَرُزْمَةٌ كَاغِدٌ فِي الْبَيْتِ عِنْدِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِدْلِ الدَّقِيقِ

والزمخشري في تفسير قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ

رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرُ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي} قَرَّرَ نفي رؤية الله - عز

وجل - على مذهبه الضال، وذم أهل السنة وإثباتهم لها، ثم قال: والقول

ما قال بعض العدلية فيهم - وقد يكون هو صاحب هذين البيتين -:

[الكامل]

لَجَمَاعَةٍ سَمَّوْا هَوَاهُمْ سُنَّةً وَجَمَاعَةً حُمِرُ لَعْمَرِي مُوَكَّفَهُ
قَدْ شَبَّهَوْهُ بِخَلْقِهِ وَتَخَوَّفُوا شُنْعَ الْوَرَى فَتَسْتَرُوا بِالْبَلْكَفَةِ

يقصد قولهم بلا كيف، وقد رد عليه جماعة من العلماء منهم ابن الوزير

في العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم - صلى الله عليه

[الكامل]

وسلم -، وممن رد عليه القائل:

يَا عَابِئًا مِنْ جَهْلِهِ لِبَلْكَفَتِهِ هِيَ قَوْلُكُمْ فِي الذَّاتِ دَعُ عَنْكَ الصِّفَتِ
وَاللَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَذَا هُوَ مَا اعْتَرَفْتَ بِهِ فَدَعُ عَنْكَ السَّفَتِ
مَنْ لَمْ يَقُلْ بِمَقَالِنَا فِيهَا شَرَى بِنُصُوصِ وَحْيِ اللَّهِ رَأْيِ الْفَلَسَفَتِ

[الكامل]

وقال آخر في الرد عليه:

وَمُبْلِكِفٌ لِلذَّاتِ طَالَ تَعَجُّبِي مِنْ شِدَّةِ اسْتِنكَارِهِ لِلْبَلْكَفَةِ الصِّفَةِ
 إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُهَا فَكَيْفَ ذَاتُهُ أَيُّضًا وَقُلْ هِيَ كَالذَّوَاتِ مُكَيَّفَةُ
 بَلْ أَنْتَ تُثَبِّتُهَا وَلَا تَدْرِي كَمَا لَمْ تَدْرِ قَطُّ مِنَ الْحَمِيرِ الْمُوَكَّفَةِ
 وَلَقَدْ هَجَوْتَ وَمَا دَلَّلْتَ وَإِنَّمَا أَبَدًا تَدُلُّ عَلَى الْجِمَارِ الْعَجْرَفَةِ
 وقال آخر:

[الكامل]

وَالشَّيْخُ مَحْمُودٌ هُوَ الْفِيلُ الَّذِي كَادُوا بِهِ الْمَعْنَى الَّذِي فِي الْبَلْكَفَةِ
 الفيل الوارد في سورة الفيل جاء في بعض كتب التاريخ والتفسير أن اسمه
 محمود.

- ومن أولئك: ابن جُزَي - رحمه الله - صاحب القوانين الفقهية في
 الفقه، وتقريب الوصول في الأصول، والتسهيل لعلوم التنزيل في التفسير
 من شعره قوله:

[الطويل]

لِكُلِّ بَنِي الدُّنْيَا مُرَادٌ وَمَقْصِدٌ وَإِنَّ مُرَادِي صِحَّةٌ وَفَرَاغٌ
 لَا بُلْغَ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ مَبْلَغًا يَكُونُ بِهِ لِي لِلْجَنَانِ بَلَاغٌ
 وَفِي مِثْلِ هَذَا فَلْيَنَافِسْ أَوَّلُو النَّهْيِ وَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا الْغُرُورِ بَلَاغٌ
 فَمَا الْفَوْزُ إِلَّا فِي نَعِيمٍ مُؤَبَّدٍ بِهِ الْعَيْشُ رَغْدٌ وَالشَّرَابُ يُسَاغُ

المجلس التاسع

في هذا المجلس:

• من شعر العلماء

* الشَّاطِئِيّ.

* الإلْبِيرِيّ: تَفْتُ فُوَادَكَ الْإِيَّامُ فَتًّا.

* أبو الفتح البُسْتِيّ: زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانٌ.

* ابن الورْدِيّ: اعْتَزَلْ ذِكْرَ الْأَغَانِي وَالْغَزَلِ.

* أَبُو حَيَّان

- خبر توما الحكيم، وما قال حماره!

- أبيات أبي حيان في مدح شيخ الإسلام التي يقال: إنه لم يقل خيرًا

منه ولا أفحل، وما الذي غيَّره على شيخ الإسلام!

* شيخ الإسلام ابن تيمية وأبياته التي كتبها في آخر عمره وبعثها إلى

ابن القيم.

* ابن القيم

- أبياته التي ذكر فيها هدايته إلى مذهب أهل السنة على يد شيخ

الإسلام ابن تيمية.

- أبياته في الرد على معتقد النصارى التي لا يستطيع أن يجيب نصراني

عن حججها إلى يوم يبعثون!



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فمن أولئك العلماء الأدباء: الإمام الشاطبي صاحب حِرْزِ الأمانِي، يقول فيها:

[الطويل]

وَأَغْنَى غَنَاءٍ وَاهِبًا مُتَفَضِّلًا	وَإِنْ كَتَبَ اللَّهُ أَوْثَقُ شَافِعٍ
وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاً	وَخَيْرُ جَلِيسٍ لَا يُمَلُّ حَدِيثُهُ
مِنْ الْقَبْرِ يَلْقَاهُ سَنًا مُتَهَلِّلًا	وَحَيْثُ الْفَتَى يَرْتَاعُ فِي ظُلُمَاتِهِ
وَمِنْ أَجَلِهِ فِي ذِرْوَةِ الْعِزِّ يُجْتَلَى	هُنَالِكَ يَهْنِيهِ مَقِيلًا وَرَوْضَةً
وَأَجْدَرُ بِهِ سُؤلاً إِلَيْهِ مُوَصَّلًا	يُنَاشِدُ فِي إِرْضَائِهِ لِحَبِيبِهِ
مُجَلِّلاً لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجَّلًا	فِيَا أَيُّهَا الْقَارِي بِهِ مُتَمَسِّكًا
مَلَابِسُ أَنْوَارٍ مِّنَ التَّاجِ وَالْحُلَى	هَئِنَّمَا مَرِيئًا وَالِدَاكَ عَلَيْهِمَا
أُولَئِكَ أَهْلُ اللَّهِ وَالصَّفْوَةُ الْمَلَا	فَمَا ظَنُّكُمْ بِالنَّجْلِ عِنْدَ جَزَائِهِ

وفيها يقول:

سَحَابُهَا بِالْدَّمْعِ دِيمًا وَهَطَّلَا	وَلَوْ أَنَّ عَيْنًا سَاعَدَتْ لَتَوَكَّفَتْ
فِيَا ضَيْعَةَ الْأَعْمَارِ تَمْشِي سَبْهَلًا	وَلَكِنَّهَا عَنِ قَسْوَةِ الْقَلْبِ قَحْطُهَا

وفيها أغراض الشعر! ففيها النَّسِيبُ، وذلك في قوله:

سَمِيَّ جَمَالٍ وَاصِلًا مِّنْ تَوَصَّلَا	نَعَمْ إِذْ تَمْشَتْ زَيْنَبُ صَالَ دَلُّهَا
---	--

يريد أن الحروف التي تُدغم أو تُظهر عندها ذال (إذ) ستة، وهي المجموعة في أوائل هذه الكلمات الست، فهذا النسيب.

وفيها الرثاء فإنه لما ذكر أن الدال تدغم في عشرة أحرف جمعها في أوائل هذه الكلمات العشر:

وَلِلدَّالِ كَلِمٌ تُرْبُ سَهْلٍ ذَكَ شَدًّا صَفَا ثَمَّ زُهْدٌ صِدْقُهُ ظَاهِرٌ جَلًّا
يقول: هذا التُّرْب الذي دُفِن فيه سَهْل عَبَقَتْ رَائِحَتُهُ ففيه الزهد الصادق.

- ومن أولئك العلماء الأدباء: الإلييري، الذي عرف بقصيدته: [الوافر]

تَفْتُ فُوَادَكَ الْيَّامُ قَتًّا وَتَنَحْتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتًا
وَتَدْعُوكَ الْمُنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ أَلَا يَا صَاحِ أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا
يقول فيها:

أَبَا بَكْرٍ دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ لَوْ عَقَلْتَا
إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا مُطَاعًا إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا
إلى أن قال:

وَإِنْ أُعْطِيتَ فِيهِ طَوِيلَ بَاعٍ فَلَا تَأْمَنْ سُؤَالَ اللَّهِ عَنْهُ
فَرَأْسُ الْعِلْمِ تَقْوَى اللَّهِ حَقًّا إِذَا مَا لَمْ يُفِدْكَ الْعِلْمُ خَيْرًا
وَإِنْ أَلْقَاكَ فَهْمُكَ فِي مَهَاوٍ فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهِمْتَا
يقول فيها:

وَنَادٍ إِذَا سَجَدْتَ لَهُ اعْتِرَافًا بِمَا نَادَاهُ ذُو النُّونِ ابْنُ مَتَّى
وَلَا زِمَ بَابَهُ قَرَعًا عَسَاهُ سَيَفْتَحُ بَابَهُ لَكَ إِنْ قَرَعْتَا

يقول فيها:

وَقُلْ يَا نَاصِحِي بَلْ أَنْتَ أَوْلَى بِنُصْحِكَ لَوْ لِفِعْلِكَ قَدْ نَظَرْتَا
تَقَطُّعُنِي عَلَى التَّفْرِيطِ لَوْمًا وَبِالتَّفْرِيطِ دَهْرَكَ قَدْ قَطَعْتَا
وهذا فيه: أن العالم حقًا لا يرى نفسه أفضل من غيره، وقريب من هذا ما

قاله الشيخ ابن سعدي رحمه الله في منظومته منهج الحق في العقيدة

والأخلاق: [الطويل]

وَلَكِنَّا مِنْ جَهْلِنَا قَلَّ ذِكْرُنَا كَمَا قَلَّ مِنَّا لِلإِلَهِ التَّعَبُّدُ
ما قال: ولكنكم من جهلكم قل ذكركم، بل قال ولكننا.

ويقول الإلبيري في قصيدته هذه:

وَلَوْ بَكَتِ الدِّمَا عَيْنَاكَ خَوْفًا لَذَنْبِكَ لَمْ أَقُلْ لَكَ قَدْ أَمِنَّا
وَلَوْ قَدْ جِئْتَ يَوْمَ الْحَشْرِ فَرْدًا وَأَبْصَرْتَ الْمَنَازِلَ فِيهِ شَتَّى
لَأَعْظَمْتَ النَّدَامَةَ فِيهِ لَهْفًا عَلَى مَا فِي حَيَاتِكَ قَدْ أَضَعْتَا
ومن شعره: قصيدته التي قالها لما اتخذ وزيرًا كافرًا آذى المسلمين يقول

فيها: [المتقارب]

أَلَا قُلْ لِّصَنَهَاجَةٍ أَجْمَعِينَ بُدُورِ النَّدِيِّ وَأُسْدِ الْعَرِينِ
لَقَدْ زَلَّ سَيِّدُكُمْ زَلَّةً تَقَرُّبُهَا أَعْيُنُ الشَّامِتِينَ
تَخَيَّرَ كَاتِبَهُ كَافِرًا وَلَوْ شَاءَ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
فَعَزَّ إِلَهُهُدًى بِهِ وَانْتَخَوَا وَتَاهُوا وَكَانُوا مِنَ الْأَرْذَلِينَ
وَرَحَّخَمَ قِرْدُهُمْ دَارَهُ وَأَجْرَى إِلَيْهَا نَمِيرَ الْعُيُونِ
فَصَارَتْ حَوَائِجُنَا عِنْدَهُ وَنَحْنُ عَلَى بَابِهِ قَائِمُونَ
وَيُضْحِكُ مِنَّا وَمِنْ دِينِنَا فَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاجِعُونَ

فكان من أثرها أن عُزل ذلك الوزير.

قال صاحب المُغرب في حلى المَغرب: وله ديوان ملآن من أشعار
زهديّة ولأهل الأندلس غرام بحفظها.

- ومن أولئك: أبو الفتح البُستيّ له نثرٌ رائع بديع، منه قوله:

- عادات السادات، سادات العادات.

- أحصن الجُنّة لزوم السُنّة.

- الإنصاف أحسن الأوصاف.

- المنيّة تضحك من الأُمنيّة.

ومن شعره قوله -وهو من شواهد الجِناس عند البلاغيين -: [البسيط]

وَإِنْ أَقَرَّ عَلَى رَقٍّ أَنَامِلُهُ أَقَرَّ بِالرَّقِّ كُتَّابُ الْأَنَامِ لَهُ
يقول: (وَإِنْ أَقَرَّ) أي أثبت، (عَلَى رَقٍّ) أي على ورقٍ، (أَنَامِلُهُ) أي أطراف
أصابعه، (أَقَرَّ بِالرَّقِّ) أي اعترف بالملوكية، (كُتَّابُ الْأَنَامِ لَهُ) أي كُتَّابُ
الناس.

ومن شعره قوله -وهو من شواهد أهل البديع أيضًا -:

إِلَى حَتْفِي سَعَى قَدَمِي أَرَى قَدَمِي أَرَا قَدَمِي
(أرى قدمي) من الرؤية، و(أراق دمي) سَفَكَ دمي.

[المتقارب]

ومن شعره قوله:

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِعُرْفِ كَمَا أُمِرْتَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ
وَلِنْ فِي الْكَلَامِ لِكُلِّ الْأَنَامِ فُمُسْتَحْسَنٌ مِنْ ذَوِي الْجَاهِ لِينَ

الأولى: (أعرض عن الجاهلين) جمع جاهل، والثانية: (من ذوي الجاه)
أي المكانة (لين).

وله قصيدته عَنْوَانِ الْحِكْمِ الَّتِي عُرِفَ بِهَا، وَهِيَ مِنْ غُرَرِ الْقَصَائِدِ وَأَعْذِبِهَا
لَفْظًا وَأَحْسَنَهَا سَبْكًَا، تَفِيضُ بِالنَّصْحِ وَالتَّذْكِيرِ وَهِيَ فِي ثَلَاثَةِ وَسْتَيْنَ بَيْتًا،
يقول فيها:

[البسيط]

زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانُ	وَرُبْحُهُ غَيْرَ مَحْضِ الْخَيْرِ خُسْرَانُ
وَكُلُّ وَجْدَانٍ حَظٌّ لَا ثَبَاتَ لَهُ	فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ فَقْدَانُ
يَا عَامِرًا لِّلْخَرَابِ الدَّارِ مُجْتَهِدًا	بِاللَّهِ هَلْ لِّلْخَرَابِ الْعُمْرِ عُمْرَانُ
وَيَا حَرِيصًا عَلَى الْأَمْوَالِ تَجْمَعُهَا	أُنْسِيَتْ أَنَّ سُرُورَ الْمَالِ أَحْزَانُ
زَعِ الْفُؤَادَ عَنِ الدُّنْيَا وَزَيْتَتِهَا	فَصَفُوهَا كَدْرٌ وَالْوَصْلُ هِجْرَانُ
وَأَرَعَ سَمْعَكَ أَمْثَالًا أَفْصَلُهَا	كَمَا يُفَصِّلُ يَاقُوتٌ وَمَرْجَانُ

ويقول فيها:

يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَشْقَى بِخِدْمَتِهِ	أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ فِيمَا فِيهِ خُسْرَانُ
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا	فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ

وفيهما قوله:

وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ الدِّينَ يَجْبِرُهُ	وَمَا لِكَسْرِ قَنَاةِ الدِّينِ جُبْرَانُ
--	---

- ومن أولئك: ابن الوردي، له البهجة الوردية نظم فيها الحاوي في فقه
الشافعية في أكثر من خمسة آلاف بيت، وشعره رقيق يدل على ذوق رفيع،
قال الحافظ ابن حجر: وأقسم بالله لم ينظم أحد بعده الفقه إلا قصر دونه،

ووصف ابن السبكي شعره بأنه أحلى من السكر المكرر، وأعلى قيمة من
الجوهر.

وله اللامية المسماة نصيحة الإخوان ومُرشدة الخلان يقول فيها: [الرمل]

اعْتَزِلْ ذِكْرَ الْأَغَايِي وَالْغَزَلْ وَقُلِ الْفَضْلَ وَجَانِبَ مَنْ هَزَلْ
وَدَعْ الذِّكْرَى لِأَيَّامِ الصَّبَا فَلِأَيَّامِ الصَّبَا نَجْمٌ أَفْلْ
وفيها قوله:

اطْلُبِ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا أَبْعَدَ الْخَيْرَ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ
وَاحْتَفِلْ لِلْفَقْهِ فِي الدِّينِ وَلَا تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوَلْ
وَاهْجُرِ النَّوْمَ وَحَصِّلْهُ فَمَنْ يَعْرِفِ الْمَطْلُوبَ يَحْقِرْ مَا بَدَلْ
وفيها قوله:

جَمِّلِ الْمَنْطِقَ بِالنَّحْوِ فَمَنْ يُحْرِمِ الْإِعْرَابَ فِي النُّطْقِ اخْتَبَلْ
انْظِمِ الشُّعْرَ وَلَا زِمَ مَذْهَبِي فِي اطِّرَاحِ الرَّفْدِ فَالدُّنْيَا أَقْلْ
فَهُوَ عُنْوَانٌ عَلَى الْفَضْلِ وَمَا أَحْسَنَ الشُّعْرَ إِذَا لَمْ يُبْتَدَلْ
وكان قد تولى القضاء ثم تركه وعزل نفسه واشتغل بالتعليم والتأليف،
وله -رحمه الله- أبيات في ذم القضاء والحكم بين الناس في لاميته وفي
غيرها، من ذلك قوله فيها في اللامية:

إِنَّ نِصْفَ النَّاسِ أَعْدَاءُ لِمَنْ وَلِيِ الْأَحْكَامِ هَذَا إِنْ عَدَلْ
وقوله وقد ألطف فيه ما شاء:

إِنَّ لِلنَّقْصِ وَالِاسْتِثْقَالِ فِي لَفْظَةِ الْقَاضِي لَوْعْظًا وَمَثَلْ
يريد أن القاضي عند النحاة من الأسماء المنقوصة ولا تظهر عليه الضمة
والكسرة للثقل.

وله حائية مليحة في مدح شهاب الدين بن فضل الله مطلعها: [الوافر]

أَقْتُلْ بَيْنَ جِدِّكَ وَالْمِزَاحِ بِنَبْلِ جُفُونِكَ الْمَرْضَى الصَّحَاحِ
وفيها قوله:

وَمَا أَنَا شَاعِرٌ حَاشَا عُلُومِي وَلَسْتُ أَرَى التَّكْسِبَ بِامْتِدَاحِي
فَلِي مِنْ نِعْمَةِ الرَّحْمَنِ مَالٌ يَصُونُ عَنْ احتِيَاكِ وَاجْتِيَاكِ
وَلَمْ أَقْصِدْ بِمَدْحِكَ غَيْرَ وَدٍّ أَرَوْضَ بِهِ الزَّمَانَ عَنِ الْجَمَاحِ
لَأَعْلَمَ أَنَّ فِي الدُّنْيَا وَفِيَّا فَاسْأَلُوا عَنْ نُوَاحِي فِي النُّوَاحِي
وَلَوْ لَا الشُّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرِي لَا تَعْبَتُ الْقَرَائِحُ بِإِفْتِرَاحِي
أَرَى فِي الْعِلْمِ عَنْهُ أَلْفَ لَاحٍ يُنَادِينِي بِحَيٍّ عَلَى الْفَلَاحِ
وَكُنْتُ أَطَا عَلَى الشُّعْرَى بِشُعْرِي وَأُطْفِي الشُّهْبَ مِنْ شَرَرِ اقْتِدَاحِي
وَهَا أَنَا ذَا اطَّرَحْتُ غُبُونَ دَهْرِي فَدَهْرِي لِلْأَفَاضِلِ ذُو اطِّرَاحِ
حَثَوْتُ بِأَوْجِهِ الْأَدَابَ تَبْرًا وَلَمْ أَشْرَعْ لِشَارِعِهَا جَنَاحِي
وَخَفْتُ عَلَى بَنَاتِ الْفِكْرِ يَتِمًّا فَإِنَّ الشَّيْبَ يُنْذِرُ بِالرَّوَاكِ
وَعَفْتُ شَرَابَ أَمْدَاحِي فَلَمَّا وَجَدْتُكَ أَهْلَهَا حَسَنَ امْتِدَاحِي
فَسَاغَ لِي الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَدَمًا أَكَادُ أَغْصُ بِالْمَاءِ الْقُرَاحِ

- ومن أولئك: أبو حيان النحوي الكبير المفسر صاحب البحر المحيط،

[الوافر]

له أبيات يقول فيها:

يَظُنُّ الْعُمَرُ أَنَّ الْكُتُبَ تَهْدِي أَخَافُهُمْ لِإِدْرَاكِ الْعُلُومِ
وَمَا يَذَرِي الْجَهْلُولَ بَأَنَّ فِيهَا غَوَامِضَ حَيَّرَتْ عَقْلَ الْفَهِيمِ
إِذَا رُمَتْ الْعُلُومُ بِغَيْرِ شَيْخٍ ضَلَلَتْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
وَتَلْتَبِسُ الْأُمُورُ عَلَيْكَ حَتَّى تَصِيرَ أَضَلَّ مِنْ تَوَمَا الْحَكِيمِ

وتوما الحكيم رجل كان يداوي الناس ولا علم له بالطب فقراً حديث
"الحبة السوداء شفاء من كل داء"، قرأه الحية السوداء فذهب وأتى
بحيات سود وطحنها وجعلها في الأدوية وقتل من خلق الله من قتل، حتى
قال بعضهم فيه: [مخلع البسيط]

قَالَ حَمَارُ الْحَكِيمِ تُوْمَا لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَرْكَبُ
لَاَنْنِي جَاهِلٌ بِسَيْطُ وَصَاحِبِي جَاهِلٌ مُرَكَّبُ
وفي هذا المعنى قول الإمام الحافظ ابن عساكر: [الوافر]

وَإِنَّكَ لَنْ تَرَى لِلْعِلْمِ شَيْئًا يُحَقِّقُهُ كَأَفْوَاهِ الرِّجَالِ
فَكُنْ يَا صَاحِذَا حِرْصٍ عَلَيْهِ وَخُذْهُ عَنِ الرِّجَالِ بِلَا مَلَالٍ
وَلَا تَأْخُذْهُ مِنْ صُحُفٍ فُتْرَمَى مِنْ التَّصْحِيفِ بِالْدَاءِ الْعُضَالِ
وفي هذا المعنى قول الآخر: [البسيط]

مَنْ يَأْخُذُ الْعِلْمَ مِنْ شَيْخٍ مُشَافَهَةً يَكُنْ مِنَ الزَّيْغِ وَالتَّصْحِيفِ فِي حَرَمٍ
وَمَنْ يَكُنْ آخِذَاً لِلْعِلْمِ مِنْ كُتُبٍ فَعِلْمُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ كَالْعَدَمِ
ومن الشائع في كلام العلماء: من دخل في العلم وحده خرج منه وحده.

ولأبي حيان أبيات في مدح شيخ الإسلام ابن تيمية قالها لما اجتمع به،

قال ابن رجب: ويقال: إنه لم يقل أبياتاً خيراً منها ولا أفحل: [البسيط]

لَمَّا أَتَانَا تَقِيُّ الدِّينِ لَاحَ لَنَا دَاعٍ إِلَى اللَّهِ فَرُدُّ مَالَهُ وَزَرُّ
عَلَى مُحْيَاهُ مِنْ سَيِّمَاتِ الْأُولَى صَحِبُوا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ نُورٌ دُونَهُ الْقَمَرُ
حَبْرٌ تَسْرِبَلُ مِنْهُ دَهْرُهُ حَبْرًا بَحْرٌ تَقَازَفُ مِنْ أَمْوَاجِهِ الدُّرُّ
قَامَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي نَصْرِ شَرْعَتِنَا مَقَامَ سَيِّدِ تَيْمٍ إِذْ عَصَتْ مُضَرُّ
فَظْهَرَ الْحَقُّ إِذْ آثَرَهُ دَرَسَتْ وَأَخْمَدَ الشَّرُّ إِذْ طَارَتْ لَهُ شَرُّ

كُنَّا نَحَدِّثُ عَنْ حَبْرِ يَجِيءُ فَهَآ أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي قَدْ كَانَ يُتَنَظَّرُ

ثم إنه ذكر لشيخ الإسلام كلامًا لسيبويه، فقال شيخ الإسلام: ما كان

سيبويه نبي النحو ولا كان معصومًا، بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعًا

ما تفهمها أنت ولا سيبويه، فتغير عليه وعاد دأماً له بعد ذلك.

- وشيخ الإسلام له شعر رائق، من أجمله ما بعث به قبل موته إلى ابن

القيم، قال ابن القيم في مدارج السالكين: وبعث إليّ في آخر عمره قاعدة

في التفسير بخطه وعلى ظهرها أبيات بخطه من نظمه، يقول فيها:

[البسيط]

أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّ الْبَرِّيَّاتِ	أَنَا الْمُسِيكِينُ فِي مَجْمُوعِ حَالَاتِي
أَنَا الظَّلُومُ لِنَفْسِي وَهِيَ ظَالِمَتِي	وَالْخَيْرُ إِنْ يَأْتِنَا مِنْ عِنْدِهِ يَأْتِي
لَا أَسْتَطِيعُ لِنَفْسِي جَلَبَ مَنَفَعَةٍ	وَلَا عَنِ النَّفْسِ لِي دَفْعُ الْمَضَرَّاتِ
وَلَيْسَ لِي دُونَهُ مَوْلَى يُدَبِّرُنِي	وَلَا شَفِيعٌ إِذَا حَاطَتْ خَطِيئَاتِي
إِلَّا بِإِذْنِ مِنَ الرَّحْمَنِ خَالِقِنَا	إِلَى الشَّفِيعِ كَمَا قَدْ جَا فِي الْآيَاتِ
وَلَسْتُ أَمْلِكُ شَيْئًا دُونَهُ أَبَدًا	وَلَا شَرِيكَ أَنَا فِي بَعْضِ ذَرَائِي
وَلَا ظَهِيرٌ لَهُ كَيْ يَسْتَعِينَ بِهِ	كَمَا يَكُونُ لِأَرْبَابِ الْوَلَايَاتِ
وَالْفَقْرُ لِي وَصَفٌ ذَاتٍ لَا زِمَّ أَبَدًا	كَمَا الْغِنَى أَبَدًا وَصَفٌ لَهُ ذَاتِي
وَهَذِهِ الْحَالُ حَالُ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ	وَكُلُّهُمْ عِنْدَهُ عَبْدٌ لَهُ آتِي
فَمَنْ بَغَى مَطْلَبًا مِّنْ غَيْرِ خَالِقِهِ	فَهُوَ الْجَهُولُ الظَّلُومُ الْمُشْرِكُ الْعَاتِي
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلءُ الْكَوْنِ أَجْمَعِهِ	مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا مِنْ بَعْدُ قَدْ يَأْتِي

ومن شعره اللامية المشهورة المنسوبة إليه، وظاهر كلام كثير من أهل

العلم تصحيح نسبتها إليه؛ كابن الألويسي في جلاء العينين، والشيخ

سليمان بن سَحْمَانَ، والشيخ عبدالعزيز بن ناصر الرشيد في شرح

الواسطية، وكذلك شارحها أحمد بن عبدالله المَرْدَاوي، والاحتياط أن

يقال: اللامية المنسوبة إلى شيخ الإسلام ابن تيمية. ومطلعها: [الكامل]

يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي رُزِقَ الْهُدَى مَنْ لِلْهُدَايَةِ يَسْأَلُ
اسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ لَا يَنْثَنِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ
ومن شعره قصيدته التائية، التي أجاب فيها عن سؤال الذمّي في القدر،

يقول الذمي:

أَيَا عُلَمَاءَ الدِّينِ ذِمِّي دِينَكُمْ تَحَيَّرَ ذُلُّهُ بِأَوْضَحِ حُجَّةٍ
في ثمانية أبيات، فأجابه شيخ الإسلام ابن تيمية بخمسة وعشرين ومئة

بيت - على اختلاف بين النسخ في عدد الأبيات - يقول فيها: [الطويل]

سُؤَالَكَ يَا هَذَا سُؤَالَ مُعَانِدٍ مُخَاصِمِ رَبِّ الْعَرْشِ بَارِي الْبَرِيَّةِ
وفيها قوله:

وَأَصْلُ ضَلَالِ الْخَلْقِ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ هُوَ الْخَوْضُ فِي فِعْلِ الْإِلَهِ بِعِلَّةٍ
فَإِنَّهُمْ لَمْ يُدْرِكُوا حِكْمَةَ لَهُ فَصَارُوا عَلَى نَوْعٍ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ
فَإِنَّ جَمِيعَ الْكَوْنِ أَوْجَبَ فِعْلُهُ مَشِيئَةُ رَبِّ الْخَلْقِ بَارِي الْبَرِيَّةِ

- ومن أولئك: تلميذه الإمام ابن القيم، له النونية التي كادت أن تصل إلى

سته آلاف بيت في العقيدة، يقول فيها: [الكامل]

وَاللَّهِ لَمْ تَخْرُجْ إِلَى الدُّنْيَا لِلذِّ دَعَا عَيْشَهَا أَوْ لِلْحُطَامِ الْفَانِي
لَكِنْ خَرَجْتَ لِكَيْ تُعَدَّ الزَّادَ لِلدِّ أُخْرَى فَجِئْتَ بِأَقْبَحِ الْخُسْرَانِ
أَهْمَلْتَ جَمْعَ الزَّادِ حَتَّى فَاتَ بَلٌ فَاتَ الَّذِي أَلْهَاكَ عَنْ ذَا الشَّانِ
وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ سَلِيمَةٌ لَتَقَطَّعْتَ أَسْفَاً مِنَ الْحِرْمَانِ
لَكِنَّهَا سَكَّرَى بِحُبِّ حَيَاتِهَا الدِّ دُنْيَا وَسَوْفَ تَفِيقُ بَعْدَ زَمَانِ

ويقول:

وَأَعَفُّهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ الْـ
فَاجْمَعُ قُؤَاكُ لِمَا هُنَاكَ وَغَمِّضِ الْـ
مَا هَهُنَا وَاللَّهُ مَا يَسُووِي قُلُوبَنَا
لَا تُؤْثِرِ الْأَذْنَى عَلَى الْأَعْلَى فَإِنْ

ويقول:

وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ حِينَ يَنْكَشِفُ الْغِطَاءُ مَاذَا صَنَعْتَ وَكُنْتَ ذَا إِمْكَانٍ

وذكر في النونية أنه لم يكن على منهج أهل السنة، حتى هداه الله بشيخ

الإسلام ابن تيمية، وهذا ما لم يصرح به في غير النونية من كتبه، يقول:

يَا قَوْمِ وَاللَّهُ الْعَظِيمُ نَصِيحَةٌ
جَرَّبْتُ هَذَا كُلَّهُ وَوَقَعْتُ فِي
حَتَّى أَتَاكَ لِي الْإِلَهُ بِفَضْلِهِ
حَبْرٌ أَتَى مِنْ أَرْضِ حَرَّانٍ فَيَا
فَاللَّهُ يَجْزِيهِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ
أَخَذَتْ يَدَاهُ يَدَيَّ وَسَارَ فَلَمْ نَرَمْ

وله فيها كلام قرر فيه التفصيل في الحقيقة والمجاز، وأن الأصل الحقيقة

ما لم تكن ضرورة إلى صرفها إلى المجاز خلافاً لما في الصواعق

المرسلة، فإنه أطال النفس هناك في رد المجاز وإبطاله.

قال في النونية في تحميل أهل الإثبات للمُعْطَلِينَ شهادة تُؤَدِّي عند رب

العالمين قال:

وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ حَمَلُوا النَّصُوبَ صَ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا الْمَجَازِ الثَّانِي

إِلَّا إِذَا مَا اضْطَرَّهُمْ لِمَجَازِهَا الْـ مُضْطَرُّ مِنْ حِسٍّ وَمِنْ بُرْهَانٍ
فَهَنَّاكَ عِصْمَتُهَا إِبَاحَتُهُ بِغِيَا رَرِ تَجَانُفٍ لِلْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ

أي عصمة النصوص في إباحة المجاز في الحالة المذكورة، من غير بغى
ولا عدوان كما في أكل الميتة للمضطر.

وأثبت المجاز أيضًا في تهذيب سنن أبي داود وفصل فيه.

ومن شعره ما أورده في إغاثة اللفهان ولم ينسبه إلى نفسه وهو بهذه
الألفاظ له، يقول: [المتقارب]

بَرِئْنَا إِلَى اللَّهِ مِنْ مَعْشَرٍ بِهِمْ مَرَضٌ مِّنْ سَمَاعِ الْغِنَا
وَكَمْ قُلْتُ يَا قَوْمِ أَنْتُمْ عَلَى شَفَا جُرْفٍ مَّابِيهِ مِنْ بِنَا
شَفَا جُرْفٍ تَحْتَهُ هُوَّةٌ إِلَى دَرَكٍ كَمْ بِهِ مِنْ عَنَا
وَتَكَرَّرَ ذَا النُّصْحِ مِنَّا لَهُمْ لِنُعْذَرَ فِيهِمْ إِلَى رَبِّنَا
فَلَمَّا اسْتَهَانُوا بِتَنْبِيهِنَا رَجَعْنَا إِلَى اللَّهِ فِي أَمْرِنَا
فَعِشْنَا عَلَى سُنَّةِ الْمُضْطَفَى وَمَاتُوا عَلَى تِنْتِنَا تِنْتِنَا

ومنه ما في إغاثة اللفهان أيضًا، في رده على معتقد النصارى وفيها من
الحجج ما لا يستطيع أحد من النصارى أن يرد عليها إلى يوم القيامة،
ومنها قوله: [الوافر]

أَعْبَادَ الْمَسِيحِ لَنَا سُؤَالٌ نُرِيدُ جَوَابَهُ مِمَّنْ وَعَاهُ
إِذَا مَاتَ إِلَهُهُ بِضُنْعِ قَوْمٍ أَمَاتُوهُ فَمَا هَذَا إِلَهُهُ
وَيَا عَجَبًا لِقَبْرِ ضَمِّ رَبِّا وَأَعْجَبُ مِنْهُ بَطْنٌ قَدْ حَوَاهُ
أَقَامَ هُنَاكَ تِسْعًا مِنْ شُهُورٍ لَدَى الظُّلُمَاتِ مِنْ حَيْضِ غِذَاهُ
وَشَقَّ الْفَرْجَ مَوْلُودًا صَغِيرًا ضَعِيفًا فَاتِحًا لِلثَّذِي فَاهُ
وَيَأْكُلُ ثُمَّ يَشْرَبُ ثُمَّ يَأْتِي بِالْإِثْمِ ذَلِكَ هَلْ هَذَا إِلَهُهُ

تَعَالَى اللَّهُ عَنْ إِفْكِ النَّصَارَى
أَعْبَادَ الصَّلِيبِ لَا يَّيِّ مَعْنَى
وَهَلْ تَقْضِي الْعُقُولُ بِغَيْرِ كَسْرِ
إِذَا رَكِبَ إِلَهُ عَلَيْهِ كُرْهَا
فَذَاكَ الْمَرْكَبُ الْمَلْعُونُ حَقًّا
يُهَانُ عَلَيْهِ رَبُّ الْخَلْقِ طُرًّا
فَيَا عَبْدَ الْمَسِيحِ أَفَقْ فَهَذَا

سَيُسْأَلُ كُلُّهُمْ عَمَّا افْتَرَاهُ
يُعْظَمُ أَوْ يُقَبِّحُ مَنْ رَمَاهُ
وَإِحْرَاقٍ لَهُ وَلِمَنْ بَغَاهُ
وَقَدْ شُدَّتْ لِتَسْمِيرِ يَدَاهُ
فَدُسُّهُ وَلَا تَبْسُهُ إِذْ تَرَاهُ
وَتَعْبُدُهُ فَإِنَّكَ مِنْ عِدَاهُ
بِدَايَتِهِ وَهَذَا مُنْتَهَاهُ

المجلس العاشر

في هذا المجلس:

• من شعر العلماء

* الجُرْجَانِي.

* أبو القاسم السُّهَيْلِي.

* ابن حَجَر وخبره مع العيني.

* أحمد بن فَرْح الإِشْبِيلِي.

* ابن القَصَّار.

* الصَّنْعَانِي.

* المَقْرِي.

* علاَّال الفاسي

– أبعد بلوغي خمس عشرة أَلْعَبُ!

* شاعر الحمراء

* ابن دقيق العيد.

* توظيف المسائل العلمية في الشعر بأسلوب لطيف.

أبعد هذا يقال: إن شعر الفقهاء رديء أو إن اشتغالهم بالفقه يحول بينهم

وبين أن يكونوا شعراء مبدعين!



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فمن أولئك الفقهاء العلماء الأدباء: القاضي أبو الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني، وهو فقيه كبير من فقهاء الشافعية، له قصيدة هي من غرر الشعر، سارت في الآفاق وتناشدها العلماء وحفظوها، وكان بعضهم يُلقِّنها طلابه، وفيها قوله:

[الطويل]

يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا	رَأَوْا رَجُلًا عَنِ مَوْقِفِ الذُّلِّ أَحْجَمًا
أَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمْ هَانَ عِنْدَهُمْ	وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أَكْرَمًا
وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لَّاحٍ لِي يَسْتَفْزِنِي	وَلَا كُلُّ مَنْ لَاقَيْتُ أَرْضَاهُ مُنْعِمًا
وَإِنِّي إِذَا مَا فَاتَنِي الْأَمْرُ لَمْ أَبْتَ	أَقْلَبُ كَفِّي إِثْرَهُ مُتَنَدِّمًا
وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كُنْتُ كُلَّمَا	بَدَا طَمَعٌ صَيَّرْتُهُ لِي سَلَمًا
إِذَا قِيلَ هَذَا مِنْهَلٌ قُلْتُ قَدْ أَرَى	وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا
وَلَمْ أَبْتَدِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي	لِأَخْدَمَ مَنْ لَاقَيْتُ لَكِنْ لِأُخْدَمَا
أَشْقَى بِهِ غَرْسًا وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً	إِذْ فَاتَّبَاعُ الْجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمًا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ	وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لِعُظِّمَا
وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانَ وَدَنَسُوا	مُحْيَاهُ بِالْأُطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا

يقول ابن السبكي: وهكذا فليكن وإلا فلا؛ أدب كل فقيه.

- ومن أولئك: أبو القاسم السهيلي، صاحب الرّوض الأثف، ونتائج الفكر

في النحو، من شعره تلك المناجاة التي يقول فيها:

[الكامل]

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ	أَنْتَ الْمُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرَجَّى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا	يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَفْرَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ مُلْكِهِ فِي قَوْلِ كُنْ	أَمْنٌ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ	فَبِالافتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَذْفَعُ
مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ	فَلَمَّا رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ
وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتَفُ بِاسْمِهِ	إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ
حَاشَا لِمَجْدِكَ أَنْ تُقْنِطَ عَاصِيَا	الْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ

- ومن أولئك: الحافظ ابن حجر وقد أبدع في النظم وأجاد، وقال الشعر

الكثير المليح، وله قصة مع العيني، فإنه حصل أن مالت مئذنة جامع

المؤيد في مصر، وكادت أن تسقط واشتد خوف الناس وتحولوا من

حواليها، فأمر السلطان بنقضها فنقضت برفق، وأمن الناس شرها، فقال

الحافظ ابن حجر في ذلك:

[الطويل]

لِجَامِعِ مَوْلَانَا الْمُؤَيَّدِ رَوْنَقُ	مَنَارَتُهُ بِالْحُسْنِ تَزْهُو وَبِالزَّيْنِ
تَقُولُ وَقَدْ مَالَتْ عَنِ الْقَصْدِ أَمْهَلُوا	فَلَيْسَ عَلَى جِسْمِي أَضَرُّ مِنَ الْعَيْنِ

فظنَّ العينيُّ أنه أَرَادَهُ فاستعان بمن نظم له بيتين وهما:

[البيسيط]

مَنَارَةٌ كَعُرُوسِ الْحُسْنِ إِذْ جَلِيَتْ	وَهَدْمُهَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَالْقَدَرِ
قَالُوا أَصِيبَتْ بِعَيْنٍ قُلْتُ ذَا غَلَطُ	مَا أَوْجَبَ الْهَدْمَ إِلَّا خِسَّةُ الْحَجَرِ

- ومن أولئك: أحمد بن فرح الإشبيلي، له قصيدته المشهورة بـ(غرامي صحيح) سبّكها سبّكاً عجيباً لو أُلقيت على عربيّ فصيح خالي الذهن من الألقاب الحديثية ما فهم منها إلا النسيب! يقول فيها:

[البسيط]

وَحُزْنِي وَدَمْعِي مُرْسَلٌ وَمُسْلَسَلٌ	غَرَامِي صَحِيحٌ وَالرَّجَا فِيكَ مُعْضَلٌ
ضَعِيفٌ وَمَتْرُوكٌ وَذُلِّي أَجْمَلٌ	وَصَبْرِي عَنْكُمْ يَشْهَدُ الْعَقْلُ أَنَّهُ
مُشَافَهَةٌ يُمَلَى عَلَيَّ فَأَنْقُلُ	وَلَا حَسَنٌ إِلَّا سَمَاعُ حَدِيثِكُمْ
عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ الْمُعَوَّلُ	وَأَمْرِي مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ وَلَيْسَ لِي
عَلَى رَغَمٍ عُدَّالِي تَرْقُ وَتَعْدِلُ	وَلَوْ كَانَ مَرْفُوعًا إِلَيْكَ لَكُنْتَ لِي
وَزُورٌ وَتَذْلِيلٌ يُرَدُّ وَيُهْمَلُ	وَعَذْلٌ عَذُولِي مُنْكَرٌ لَا أُسِغُهُ

إلى آخر ما قال.

- ومن أولئك: ابن القصّار، شيخ الأعصار والأمصّر، وقد كان يصلح من ألفية العراقي ما يحتاج إلى إصلاح قال الشيخ محنض بابه:

[الرجز]

وَكَانَ شَيْخٌ فَاسٍ الْقَصَّارُ	مَنْ مَثْلُهُ شَحَّتْ بِهِ الْأَعْصَارُ
يُصْلِحُ مِنَ الْأَفْيَةِ الْعِرَاقِي	مَا لَيْسَ حَوْكُ نَظْمِهِ بِرَاقِي
فَالنَّظْمُ إِنْ لَمْ تَكْمُلِ الْإِجَادَةُ	فِي حَوْكِهِ قَلَّتْ بِهِ الْإِفَادَةُ

لابن القصّار أبيات جميلة في الحَضُّ على زيارة الوالدين، وبرهما بعد

[الكامل]

موتهما يقول فيها:

زُرْ وَالِدَيْكَ وَقِفْ عَلَى قَبْرَيْهِمَا	فَكَأَنَّنِي بِكَ قَدْ نُقِلْتَ إِلَيْهِمَا
لَوْ كُنْتَ حَيْثُ هُمَا وَكَانَا بِالْبَقَا	زَارَكَ حَبُوءًا لَا عَلَى قَدَمَيْهِمَا
أَنْسَيْتَ عَهْدَهُمَا عَشِيَّةَ أُسْكِنَا	دَارَ الْبَلَا وَسَكَنْتَ فِي دَارَيْهِمَا
مَا كَانَ ذَنْبُهُمَا إِلَيْكَ وَإِنَّمَا	مَنْحَاكَ مَحْضُ الْوُدِّ مِنْ نَفْسَيْهِمَا
كَانَا إِذَا مَا أَبْصَرَ بِكَ عَلَّةً	جَزَعَا لِمَا تَشْكُو وَشَقَّ عَلَيْهِمَا

كَانَا إِذَا سَمِعَا أَنِينَكَ أَسْبَلَا	دَمْعِيهِمَا أَسْفَا عَلَى خَدَيْهِمَا
وَتَمَنَّى لَوْ صَادَفَا لَكَ رَاحَةً	بِجَمِيعِ مَا يَخْوِيهِ مِلْكُ يَدَيْهِمَا
فَلْتَلَحَقْنَهُمَا غَدًا أَوْ بَعْدَهُ	حَتْمًا كَمَا لَحِقَا هُمَا أَبْوَيْهِمَا
وَلَتَنَدَمَنَّ عَلَى فِعَالِكَ مِثْلَ مَا	نَدِمَا هُمَا أَيُّضًا عَلَى فِعْلِيهِمَا
بُشْرَاكَ إِنْ قَدَّمْتَ فِعْلًا صَالِحًا	وَقَضَيْتَ بَعْضَ الْحَقِّ مِنْ حَقِّيهِمَا
وَقَرَأْتَ مِنْ آيِ الْكِتَابِ بِقَدْرِ مَا	تَسْطِيعُهُ وَبَعَثْتَ ذَاكَ إِلَيْهِمَا
فَاحْفَظْ بُنْيَ وَصِيَّتِي وَاعْمَلْ بِهَا	فَعَسَى تَنَالَ الْفَوْزَ مِنْ بَرِّيهِمَا

- ومن أولئك: الإمام الصنعاني، صاحب سبل السلام، قال بعض أهل

الكلام يصف حيرته: [الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ الْمَعَاهِدَ كُلَّهَا	وَسَيَّرْتُ طُرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ
فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ	عَلَى ذَقْنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمٍ

فردَّ عليه الصَّنْعَانِي بقوله: [الطويل]

لَعَلَّكَ أَهْمَلْتَ الطَّوَّافَ بِمَعْهَدِ الرِّ	رَسُولٍ وَمَنْ لَاقَاهُ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ
فَمَا حَارَ مَنْ يُهْدَى بِهَدْيِ مُحَمَّدٍ	وَلَسْتَ تَرَاهُ قَارِعًا سِنَّ نَادِمٍ

وله شعر رقيق كثير وقد جمع ابنه ديوان شعره ورتبه على الحروف وهو

أكثر من أربع مئة صفحة في مختلف الأغراض.

- ومن أولئك: المَقْرِي، صاحب عنوان الشرف الوافي، له تائية جميلة

يقول فيها: [الطويل]

إِلَى كَمْ تَمَادَى فِي غُرُورٍ وَغَفْلَةٍ	وَكَمْ هَكَذَا نَوْمٌ مَتَى يَوْمٌ يَقْظَةٍ
لَقَدْ ضَاعَ عُمْرٌ سَاعَةً مِّنْهُ تُشْتَرَى	بِمِلْءِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَيْةَ ضَيْعَةٍ
أَتَنَفَّقُ هَذَا فِي هَوَى هَذِهِ اللَّتِي	أَبَى اللَّهُ أَنْ تَسْوَى جَنَاحَ بَعُوضَةٍ
وَتَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ السَّعِيدِ تَعِيشُهُ	مَعَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بَعِيشِ الْبَهِيمَةِ

فِيَا ذُرَّةَ بَيْنِ الْمَزَابِلِ أَلْقَيْتَ
أَفَانٍ بَبَاقٍ تَشْتَرِيهِ سَفَاهَةً
أَأَنْتَ صَدِيقٌ أَمْ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ
وَلَوْ فَعَلَ الْأَعْدَا بِنَفْسِكَ بَعْضَ مَا
لَقَدْ بَغَتْهَا حُزْنِي عَلَيْكَ رَخِصَةً
إِلَى أَنْ قَالَ:

وَجَوْهَرَةً بِيَعَتْ بِأَبْخَسِ قِيمَةٍ
وَسُخْطًا بِرِضْوَانٍ وَنَارًا بِجَنَّةٍ
فَأَنْتَ تَرْمِيهَا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ
فَعَلْتَ لِمَسَّتْهُمْ لَهَا بَعْضُ رَحْمَةٍ
وَكَأَنْتَ بِهَذَا مِنْكَ غَيْرَ حَقِيقَةٍ

تُصَلِّي بِلَا قَلْبٍ صَلَاةً بِمِثْلِهَا
فَوَيْحَكَ تَدْرِي مَنْ تُنَاجِيهِ مُعْرِضًا
تُخَاطِبُهُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ مُقْبِلًا
وَلَوْ رَدَّ مَنْ نَاجَاكَ لِلْغَيْرِ طَرْفَهُ
أَمَا تَسْتَحْيِي مِنْ مَالِكِ الْمُلْكِ أَنْ يَرَى
صَلَاةً أُقِيمَتْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهَا
ذُنُوبُكَ فِي الطَّاعَاتِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ
سَبِيلُكَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ اللَّهَ بَعْدَهَا
إِلَى أَنْ قَالَ:

يَكُونُ الْفَتَى مُسْتَوْجِبًا لِلْعُقُوبَةِ
وَبَيْنَ يَدَيَّ مَنْ تَنْحَنِي غَيْرَ مُخْبِتٍ
عَلَى غَيْرِهِ فِيهَا لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ
تَمَيَّزَتْ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْهِ وَغَيْرَةٍ
صُدُودَكَ عَنْهُ يَا قَلِيلَ الْمُرُورَةِ
بِفِعْلِكَ هَذَا طَاعَةً كَالْخَطِيئَةِ
إِذَا عُدَّدْتَ تُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ زَلَّةٍ
وَأَنْ تَتَلَفَى الذَّنْبَ مِنْهَا بِتَوْبَةٍ

فِيَا عَامِلًا لِلنَّارِ جِسْمُكَ لَيِّنٌ
وَجَرَّبَهُ فِي لَسَعِ الزَّنَابِيرِ تَجْتَرِي
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَقْوَى فَوَيْحَكَ مَا الَّذِي
تُعَامِلُهُ بِالْمُنْكَرَاتِ عَشِيَّةً

فَجَرَّبَهُ تَمْرِينًا بِحَرِّ الظَّهِيرَةِ
عَلَى نَهْشِ حَيَّاتٍ هُنَاكَ عَظِيمَةٍ
دَعَاكَ إِلَى إِسْخَاطِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ
وَتُصْبِحُ فِي أَثْوَابِ نُسْكٍَ وَعِفَّةٍ

- ومن أولئك: عَلَّالُ الْفَاسِي، صاحب كتاب مقاصد الشريعة الإسلامية

[الطويل]

ومكارمها، من بديع شعره قوله:

وَالْهُوَ بِلَذَّاتِ الْحَيَاةِ وَأَطْرَبُ

أَبْعَدُ بُلُوغِي خَمْسَ عَشْرَةَ أَلْعَبُ

وَلِي نَظَرٌ عَالٍ وَنَفْسٌ أَبِيَّةٌ مَقَامًا عَلَى هَامِ الْمَجَرَّةِ تَطْلُبُ
وَعِنْدِي آمَالٌ أُرِيدُ بُلُوغَهَا تَضِيعُ إِذَا لَاعَبْتُ دَهْرِي وَتَذْهَبُ
وَلِي أُمَةٌ مَنَّكَودَةُ الْحَظِّ لَمْ تَجِدْ سَبِيلًا إِلَى الْعَيْشِ الَّذِي تَتَطَلَّبُ
عَلَى أَمْرِهَا أَنْفَقْتُ دَهْرِي تَحْسُرًا فَمَا طَابَ لِي طَعْمٌ وَلَا لَذٌّ مَشْرَبُ
وَلَا رَاقٍ لِي نَوْمٌ وَإِنْ نُمْتُ سَاعَةً فَإِنِّي عَلَى جَمْرِ الْغَضَا أَتَقَلَّبُ

- ومن الشعراء: شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم المراكشي المغربي،
كان من سلالة فقهية عالمية، وقرأ من القراءات، وحفظ مختصر الخليل ثم
اشتغل بغيرها، وندم على ذلك في آخر حياته - وحق له أن يندم - وقال في

ذلك أبياتاً وجدت بعد موته قال: [الطويل]

بَرِّكَ هَلْ أَبْصَرْتَ أَشْخَفَ مِنْ عَقْلِي وَهَلْ فَوْقَ وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ أَحْمَقٍ مِثْلِي
وَكَمْ أَدْعِي عِلْمًا وَحُسْنَ ثِقَافَةٍ وَمَا جَاهِلٌ إِلَّا وَمِنْ فَوْقِهِ جَهْلِي
إِلَى أَنْ قَالَ فِي آخِرِهَا:

فَلَا عِيشَةٌ تُرْضَى وَلَا كَسْبٌ طَاعَةٍ فَلَا أَكْثَرَ الرَّحْمَنِ فِي خَلْقِهِ مِثْلِي
- ومن لطيف الشعر الذي كان يتداوله الفقهاء في بعض بوادي المغرب، يُذكر -

على ما فيه من بعض مخالفة للعروض - لما فيه من الحكمة: [الرجز]

وَكُلُّ مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوََالَ وَلَمْ يُفَارِقْ أَهْلَهُ أَحْوَالَ
وَلَمْ تُقَطَّعْ رِجْلُهُ النَّعَالَ يَطْلُبُ عِلْمًا أَوْ يُصِيبُ مَا لَا
فَأَعْطَاهُ الْمِرْوَدَ وَالْمُكْحُلَةَ وَزِدْ لَهُ الْأَقْرَاطَ وَالْحُلَى لَهُ
وَدَعَاهُ أَنْ يُجَالِسَ الْعِيَالَ فَذَاكَ لَا يُشَابُهُ الرَّجَالَا
ولبعضهم في هذا المعنى: [الرجز]

فَإِنْ تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَرْبَابُهُ وَفَنَيْتَ بَيْنَ الْوَرَى طَلَّابُهُ

وَعَاَصَ مَاءِ عِلْمٍ ذَا الزَّمَانِ فَاقْعُدْ فَدَيْتُكَ مَعَ الْعِيَالِ
وَلْتَخْضِبِ الْبَنَانُ غَيْرَ آلِ وَدُونَكَ الْكُحْلَ وَالْأَدَّانَا
(وَالْمَرْءُ يُرْدِي نَفْسَهُ أَحْيَانًا) وَلَا تَسَافِرْ سَفْرَةً إِلَّا اللَّيْ
مَعَ مَحْرَمٍ أَوْ رُفْقَةٍ مَأْمُونَةٍ هِيَ هَاتِ هِيَ هَاتِ أَيُّدِكَ الْعُلَا
مَنْ قَطَعَ الْأَوْقَاتَ نَوْمًا كَسَلًا مَا أَجْدَرَ الْأَدَابَ وَالْمَعَالِيَا
(بِأَنْ تَقُولَ مَا لَهُ وَمَا لِيَا)

- ومن أولئك الشيخ محمد الخضر حسين ومن مستجاد شعره قصيدته

[الوافر]

في فضل اللغة العربية:

شَبِيهَانِ الْهَلَالُ إِذَا تَهَادَى بَنَاتُ الْفِكْرِ أَبَدَةٌ وَلَوْ لَا
عِنَانُ الْقَوْلِ لَمْ تُسْلِسْ قِيَادَا رَعَى اللَّهُ الْأَدِيبَ يَرُومُ مَعْنَى
فَيُسْعِدُهُ الْيَبَانَ بِمَا أَرَادَا أَبْجُلُّهُ وَلَوْ لَمْ يَأَوْ ظِلًّا
بَنَى الْعَيْشُ الْأَنْيَقُ بِهِ وَشَادَا فَهَاتِ السَّيْفَ يَخْطُرُ فِي مَضَاءِ
وَحَلَّ الْغَمْدَ عِنْدَكَ وَالنَّجَادَا وَيَنْزِعُ بِي إِلَى الْأَدَابِ وَجَدُ
إِذَا قُلْتُ اشْتَمَى بِالْوَصْلِ زَادَا فَأَنْسَى مَعْبَدًا وَعُرَيْبَ دَهْرًا
وَلَا أَنْسَى الْبَدِيعَ وَلَا الْعِمَادَا وَأَسْلُو الرُّوْضَ وَالْوَرْقَاءَ تَشْدُو
بِهِ وَالْغَيْثُ حَاكَ لَهُ بِجَادَا وَلَا أَسْلُو الطُّرُوسَ تَدُورُ فِيهَا
رَحَى الْبَحْثِ ابْتِكَارًا وَانْتِقَادَا وَلَمْ أَنْضِ الْقَرِيحَةَ فِي نَسِيبِ
وَلَا عَذْلًا شَكَوْتُ وَلَا بَعَادَا فَمَا أَهْوَى سِوَى لُغَةٍ سَقَاهَا
قُرَيْشٌ مِنْ بَرَاعَتِهِمْ شَهَادَا أَدَارُوا مِنْ سَلَسَتِهَا رَحِيقًا
وَهَزُّوا مِنْ جَزَالَتِهَا صِعَادَا وَطَوَّقَهَا كِتَابُ اللَّهِ مَجْدًا
وَزَادَ سَنَا بِلَاغَتِهَا اتِّقَادَا تَصِيدُ بِسِحْرِ مَنْطِقِهَا قُلُوبًا
تَحَاذِرُ كَالْجَاذِرِ أَنْ تُصَادَا فَتَنْتَ حِكْمًا رَوَائِعَ لَوْ أَعَارَتْ
سَنَاهَا النَّارَ لَمْ تَلِدِ الرَّمَادَا

سَرَتْ كَالْمُزْنِ يُخَيِّ كُلَّ أَرْضٍ وَيُبْهَجُهَا وَهَادًا أَوْ نَجَادًا
وَمَا لِلْهَجَةِ الْفُضْحَى فَخَارٌ إِذَا لَمْ تَمَلِّ الدُّنْيَا رَشَادًا

- ومن أولئك: - وحقه أن يقدم إلا أنه أُخِّرَ ليكون مِسْكَ الختام - الإمام

ابن دَقِيق العِيد، له شعر كثير رائق، ومن ذلك قوله: [الطويل]

تَمَنَيْتُ أَنَّ الشَّيْبَ عَاجِلَ لِمَتِّي وَقَرَّبَ مِنِّي فِي صِبَايَ مَزَارَهُ
لَا أَخْذَ مِنْ عَصْرِ الشَّبَابِ نَشَاطَهُ وَأَخْذَ مِنْ عَصْرِ الْمَشَيْبِ وَقَارَهُ
وله براعة في توظيف المسائل الفقهية والأصولية في الشعر، ومنه قوله:

[السريع]

قَالُوا فَلَانٌ عَالِمٌ فَاضِلٌ فَأَكْرَمُوهُ مِثْلَمَا يَرْتَضِي
فَقُلْتُ لِمَا لَمْ يَكُنْ ذَا تُقَى تَعَارَضَ الْمَانِعُ وَالْمُقْتَضِي
وهذا كثير في شعر العلماء، يوظفون هذه المسائل بأسلوب لطيف في

الشعر، ومن ذلك قول الحافظ ابن حجر: [البسيط]

سَأَلْتُ قَلْبِي عَنْ صَبْرِي فَأَخْبَرَنِي بِأَنَّهُ مِنْذُ بِنْتُمْ عَنِّي انْصَرَفَا
يَا أَيُّهَا الْبَدْرُ إِنِّي بَعْدَ بَعْدِكَ لَا أَزَالُ فِي جَامِعِ الْأَحْزَانِ مُعْتَكِفَا
ومن ذلك قول أبي فتح البُسْتِي:

[الكامل]

زُفْتُ إِلَيْكَ لَنَا عَرَائِسُ أَرْبَعُ فَفَضَضْتُهَا بِالسَّمْعِ وَهِيَ قَصَائِدُ
فَابَعْتُ إِلَيَّ مُهُورَهُنَّ بِأَسْرَهَا إِنَّ النِّكَاحَ بَغِيرِ مَهْرٍ فَاسِدُ
ومنه قول ابن بُبَاة:

[مجزوء الرجز]

مَسْأَلَةُ الدَّوْرِ جَرَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أُحِبُّ
لَوْ لَا مَشِيبي مَا جَفَا لَوْ لَا جَفَاهُ لَمْ أَشِبْ
ويزيد على كل ما سبق جملاً قول ابن دَقِيق العِيد: [السريع]

كَمْ لَيْلَةٍ فِيكَ وَصَلْنَا السُّرَى لَا نَعْرِفُ الْغَمَضَ وَلَا نَسْتَرِيحُ
وَاخْتَلَفَ الْأَصْحَابُ مَاذَا الَّذِي يُزِيلُ مِنْ شَكْوَاهُمْ أَوْ يُرِيحُ
فَقِيلَ تَغْرِيسُهُمْ سَاعَةً وَقِيلَ بَلْ ذِكْرَاكَ وَهُوَ الصَّحِيحُ

بينما هو يصف أحوالهم في السُّرى ومشقتهم في التعب إذ كأنه في حلقة

الدرس وقد شرع يشرح مسألة علمية "واختلف الأصحاب"، ويحكي

الخلاف: فقليل كذا وقيل كذا وهو الصحيح. حتى قال الصَّفدي في هذه

الآيات: ما رأيت أحسن من هذا! ثم قال: إنه يحرم هذا النظم على غير

الشيخ تقي الدين. [المقارب]

فَلَمْ تَكُ تَضْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَضْلُحْ إِلَّا لَهَا
قال: وما أحقه لو أنشد قول الأَرَجاني: [الكامل]

أَنَا أَشْعَرُ الْفُقَهَاءِ غَيْرَ مُدَافِعٍ فِي الْعَصْرِ لَا بَلْ أَفْقَهُ الشُّعْرَاءُ

أبعد هذا يقال: إن شعر الفقهاء رديء أو إن اشتغالهم بالفقه يحول بينهم

وبين البراعة في الشعر وأن يكونوا شعراء مبدعين!

وبهذا والله الحمد، تم القسم الأول والثاني من هذه المدارس، القسم

الأول: لماذا الدعوة إلى الأدب. والقسم الثاني: في أدب الفقهاء وأشعار

العلماء. وبقي القسم الثالث الأخير وهو في عصور الأدب.

مجالس في أدب العرب

القسم الثالث

عصور الأدب

وفيه ستة مجالس

المجلس الحادي عشر

في هذا المجلس:

• عصور الأدب:

١/ العصر الجاهلي.

* المعلقة العشر وأصحابها.

* من شعر زهير بن أبي سلمى:

- قصيدة على نعمة التيس، وأبيات فيها حكاية صوت التيس نفسه.

* خبر حرب داحس والغبراء

* خبر حرب البسوس

* أبيات من قصيدة الحارث بن عباد التي قيل: إنه كرر فيها قوله:

(قرباً مربط النعامة مني) في نحو خمسين بيتاً.

* من شعر دريد بن الصمة.

* تقصير الثوب ورفع عن الكعبين كانت العرب تتمدح به في الجاهلية، وشواهد

ذلك من الشعر، ثم جاء الله بالإسلام فسنة النبي - صلى الله عليه وسلم -.

* القصيدة التي قال عنها ابن كثير في البداية والنهاية: هذه قصيدة عظيمة فصيحة بليغة

جداً، لا يستطيع أن يقولها إلا من نُسبت إليه، وهي أفحل من المعلقة السبع، وأبلغ في

تأدية المعنى منها جميعاً.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فهذا القسم الثالث الأخير من هذه المجالس، والكلام فيه عن عصور الأدب.

والحديث عن عصور الأدب؛ صعب لأنه الأدب كله في الحقيقة! لكن سنأخذ إن شاء الله من كل عصر بعض أعلامه وشيئا من أشعارهم وأخبارهم. ولا بد للدرس الأدبي من تقسيم، لذا جرت عادة من يتكلمون في تاريخ الأدب أن يقسموا الأدب إلى عصور، فيذكرون:

العصر الجاهلي

ثم عصر صدر الإسلام

ثم العصر الأموي

ثم العصر العباسي

ثم عصر الدول والطوائف

ثم يذكرون العصر الحديث من القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا.

العصر الجاهلي:

أقدم ما وصلنا من مطولات الشعر التي صحت روايتها تمتد إلى نحو مئة وخمسين سنة قبل الإسلام على ما ذكره أبو عثمان الجاحظ، قال: فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن

جاء الله بالإسلام خمسين ومئة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فَمَتَّى عام. وقد ناقشه الأستاذ محمود شاكر في كتابه: قضية الشعر الجاهلي عند ابن سلام.

وقد قيل: إن أول من قَصَّدَ القصائد وذكر الوقائع هو مهلهل بن ربيعة التغلبي أخو كليب وتبعه ابن أخته امرؤ القيس وعلقمة وعبيد ولم يكن للأوائل من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته.

وأشهر شعر العصر الجاهلي المَعْلَقَات، وسبب تسميتها بهذا -فيما قيل- أنهم علقوها على الكعبة التي هي موضع حجهم وبيت أبيهم إبراهيم -عليه السلام-، علقوها تعظيمًا لها واحتفاء بها وإلى هذا أشار في الشمقمقية بقوله:

[الرجز]

لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلشَّعْرِ عِنْدَ مَنْ مَضَى فَضْلٌ عَلَى الكَعْبَةِ لَمْ يُعَلَّقِ
وهذا يُعَوِّزُهُ النُّقْلُ الصَّحِيحُ، وإن كان مستفيضًا؛ ذكره ابن عبد ربّه وابن خلدون وغيرهما. وقيل: إنهم سمّوها بذلك لأنها تَعْلَقُ بالأذهان لجودتها.

أولى المعلقات: معلقة امرئ القيس. وهو امرؤ القيس بن حُجْر الكِنْدِيِّ، واسمه حُنْدُج على المشهور، وقيل غير ذلك. وهو أشهر شعراء الجاهلية، وقد أجمعوا على تقديم معلقة امرئ القيس؛ لجزالة لغته، وجودة أسلوبه، وحسن تشبيهه، وإن كان أكثرهم مُجَوَّنًا. وكانت وفاته قبل هجرة النبي ﷺ بنحو ثمانين سنة. ومطلع معلقته: [الطويل]

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَيِّبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
والثانية: معلقة طَرْفَةَ بْنِ الْعَبْدِ الْبَكْرِيِّ. وهو من أوصف الناس للناقة، وقد قتله شعره وهو ابن ستٍّ وعشرين سنة.

سُئِلَ لَبِيدٌ: مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ؟ فقال: الملك الصَّلِيل -يعني امرأ القيس-. قيل: ثم مَنْ؟ قال: الشاب القَتِيل -يعني طرفة-. قيل: ثم مَنْ؟ قال: الشيخ أبو عَقِيل -يعني نفسه-.

ومطلع معلقة طرفة:

[الطويل]

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِبُرْقَةٍ نَهَمَدِ تَلَوُّحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

والثالثة: معلقة زهير بن أبي سلمى. وهو من أكثر شعراء الجاهلية تهذيباً لشعره. مات

قبل مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ بسنة. ومطلع معلقته:

[الطويل]

أَمِنْ أُمٍّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ

والرابعة: معلقة لبيد بن ربيعة العامريؓ. وليس في أصحاب المعلقات مسلماً غيره، وقد

ترك الإكثار من الشعر بعد إسلامه ولم يتركه جملة، رُوِيَ له مُقَطَّعات، ويروى أنه قال

بعد أن أسلم:

[البيط]

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ لَمْ يَأْتِنِي أَجْلِي حَتَّى اكْتَسَيْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ سِرْبَالَا

وقال:

[الكامل]

مَا عَاتَبَ الْحُرَّ الْكَرِيمَ كَنَفْسِهِ وَالْمَرْءُ يُصْلِحُهُ الْقَرِينُ الصَّالِحُ

ومطلع معلقته:

[الكامل]

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمَقَامُهَا بِمَنْى تَابَّدَ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا

والخامسة: معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي. وهو سيد تغلب، وفارسها، وشاعرها، قيل:

إنه ساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة، وعاش مائة وخمسين سنة. وتوفي قبل الهجرة

بنحو خمسين سنة. وكان شاعراً فحلاً مطبوعاً، شديد الفخر، قوي الشكيمة. وقد قام

بمعلقته في سوق عكاظ، وفي موسم مكة. وبنو تغلب تُعَظَّم هذه القصيدة جداً، ويرونها

صغارهم وكبارهم، ولشغف تغلب بها وكثرة روايتهم لها؛ قال بعض الشعراء من بكر بن

وائل:

[البيط]

أَلْهَى بَنِي تَغْلِبٍ عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ قَصِيدَةُ قَالِهَا عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ

يُفَاخِرُونَ بِهَا مَذْكَانَ أَوْلَهُمْ يَا لَلرَّجَالِ لِفَخْرِ غَيْرِ مَسْئُومٍ

ومطلع معلقته:

[الوافر]

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا

والسادسة: معلقة عنترة بن شداد العبسي. وهو أحد فرسان العرب وشعرائها المشهورين، وقد كان نبيل المعاني، ترى في شعره كرم الأخلاق والشيم والمروءة، حتى إنه يروى أن النبي ﷺ قال: «ما وُصِفَ لي أعرابيٌّ فأحببتُ أن أراه إلا عنترة». يروى هذا ولم يثبت. وكانت أمه أمة مملوكة؛ فنشأ عبداً في بيت أبيه على عادة العرب في الجاهلية؛ إذا كان لأحدهم ولد من أمة ترك ولده عبداً حتى يمتحن نجاته؛ فإن كان نجياً اعترف به وألحقه بنسبه، وإلا أبقاه عبداً. وكان سبب ادعاء أبيه إياه أن بعض أحياء العرب أغاروا على عبس؛ فأصابوا منهم، واستاقوا إبلهم، فتبعهم العبسيون وعنترة فيهم، فقال له أبوه: "كُرياً عنترة". فقال: "العبد لا يحسن الكرّ، وإنما يحسن الحلاب والصّر". فقال: "كُرياً وأنت حرّ". فكَرَّ فقاتل قتلاً حسناً؛ فاعترف به أبوه. مطلع معلقته:

[الكامل]

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ نَوَّهِمِ

والسابعة: معلقة الحارث بن حلزة الشكري. شاعرٌ فحلٌ مُقلٌّ. يقال: إنه ارتجلها بين يدي عمرو بن هند الملك، كان بعض الأدباء يعجب لارتجالها، يقول: لو زورها في حوّل لم يكن كثيراً. وقد قالها يفتخر بقومه وأيامهم في حرب البسوس، مطلعها: [الخفيف]

أَذْنَتْنَا بَيْنَهُمَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوِي مَلٍّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

هذه المعلقات السبع، ولها تِمة العشر.

فالثامنة: معلقة الأعشى ميمون بن قيس البكري. وهو أحد فحول شعراء الجاهلية، والمتكسبين بالشعر منهم، قال الشعر وأجاده، وذاع صيته. وقد رحل الأعشى إلى النبي ﷺ ليُسلم، وقال في ذلك أبياتاً، مطلعها:

[الطويل]

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرَمَدَا وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمَ الْمُسَهَّدَا

وفيهما يقول:

فَالَيْتُ لَا أَرِثِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ وَلَا مِنْ حَفَى حَتَّى تَزُورَ مُحَمَّدًا
نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَذِكْرُهُ أَغَارَ لَعَمْرِي فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدًا
وفيها يقول:

وَيَاكَ وَالْمَيْتَاتِ لَا تَقْرَبْنَهَا وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا

ولما علمت قريش بخروجه اعترضت طريقه، وقالت: أين تريد يا أبا بصير؟ قال: أريد صاحبكم لأسلم. فقال له أبو سفيان: إنه يُحَرِّم الخمر والزَّنى والقمار. فقال الأعشى: أما الزنا فقد تركني - كان قد كبر-، وأما الخمر فقد قضيت منها وَطَرًا، وأما القمار فلعلِّي أُصِيب منه مالًا عوضًا عنه. فقال أبو سفيان: إن بيننا وبين محمد هُدْنَةٌ، فلعلك ترجع عامك هذا وتأخذ مئة ناقة حمراء؛ فإن ظهر بعد ذلك أتيته، وإن انتصرنا عليه كنت قد أصبت هذه المئة. فوافق الأعشى على عَرْضِ قريش وأخذ مئة ناقة ورجع بها إلى بلده، فلما اقترب من بلده ألقاه بغيره فسقط ميتًا. ومطلع معلقته:

[البسيط]

وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرُّكْبَ مُرْتَحِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

وقد قال المفضل الضبي: من زعم أن أحدًا أشعر من الأعشى فليس يعرف الشعر!
والتاسعة: معلقة النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيَّ. وهو أبو أُمَامَةَ زِيَاد بن معاوية، قيل: لُقِّبَ بالنابغة لبُوغَةِ في الشعر فجأة وهو كبير، وهو ممن تَكَسَّبَ بالشعر في الجاهلية، ولكنه أثر مدح ملوك المَنَاذِرَةِ بالحِيرَةِ، والغَسَاسِنَةِ بالشَّامِ، وقد تَفَرَّدَ باعتِدَارِيَّاتِهِ المشهورة التي لم يقل أحد مثلها، وكان يحضر سوق عكاظ وتضرب له قُبَّةٌ من أَدَمٍ، ويعرض عليه الشعراء أشعارهم، ومطلع معلقته:

[البسيط]

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالْسَّنْدِ أَقَوْتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ

والعاشرة: معلقة عبيد بن الأبرص الأسديّ. وهو أحد فحول الشعراء وقدمائهم، مطلع
معلقته:

[مخلع البسيط]

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ فَالْقُطَيِّياتُ فَالذُّنُوبُ

وأكثر أبيات معلقته هذه مضطربة الوزن، ولكن أغراضها ومعانيها شريفة، وقد عيب عليه
كثرة التزحيف في معلقته حتى قال أبو العلاء المعري:

[الطويل]

وَقَدْ يُخْطِئُ الرَّأْيُ امْرُؤٌ وَهُوَ حَازِمٌ كَمَا اخْتَلَّ فِي وَزْنِ الْقَرِيضِ عَيْدٌ

ومن خصائص المعلقات: الألفاظ الجزلة القوية، والتراكيب المتينة الرصينة. والكلام
عن المعلقات طويل لكن مختصر القول فيها أنها من تراث العرب الخالد الذي لا تُملُّ
خدمته، ولا ينتهي الباحث فيه إلى نهاية، فتنبغي العناية بها حفظاً ودراسة فهي -والشعر
الجاهلي عموماً- ذروة البيان الشعري وأعلاه وأصفاه.

- من أعلام هذا العصر: زهير بن أبي سُلمى وله أشعار رائعة فائقة، ومن ذلك قوله يمدح
هرم بن سنان:

[البسيط]

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَـ كِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمٌ
هُوَ الْجَوَادُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْوًا وَيُظْلِمُ أَحْيَانًا فَيُظْلِمُ
وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرِمٌ

[البسيط]

ومن ذلك قوله:

قَدْ جَعَلَ الْمُبْتَغُونَ الْخَيْرَ فِي هَرِمٍ وَالسَّائِلُونَ عَلَى أَبْوَابِهِ طُرْقًا
إِنْ تَلَقَّ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا تَلَقَّ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا
لَوْ نَالَ حَيٍّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةٍ أَفُقَ السَّمَاءِ لَنَالَتْ كَفُّهُ الْأُفُقَا

وقوله: "وَالسَّائِلُونَ عَلَى أَبْوَابِهِ طُرْقًا" قريب منه خبر ذلك الرجل الذي كان لا يملك غير
نَعْلَيْهِ، وثوبِهِ الذي عليه، فذهب إلى رجل من العلماء العاملين المُمَدِّحِينَ يقال له:

الشيخ سيديّا. فكأنه سمع صوت تيس فأنشأ قصيدة على نغمة صوت التيس، يمدح فيها
الشيخ سيديّا يقول فيها:

[البسيط]

مَا لِلْمَشِيبِ وَفِعْلَ الْفِتْيَةِ الشَّيْبَةِ وَلِلَّيْبِ يُوَاصِي فِي الصَّبَا خَبِيَّةَ
أَنْتَ لِيذِي شَمَطِ الْفُودَيْنِ رَجَعْتُهُ إِنَّ الْقَتِيرَ لِيَحْمِي ذَا النُّهَى طَرَبَهُ

وقال فيها يصف الوفود التي على باب الشيخ:

مِنْ مُعْتَفٍ وَأَخِي فَتَوَى وَمُلْتَمَسٍ فَضَلَ الْقَضَا وَمُرِيدٍ كَشَفَ مَا حُجِبَهُ
أَوْ كَشَفَ مَسْأَلَةٍ وَالْكُلَّ قَدْ وَسَعَتْ جِفَانُهُ وَلِكُلِّ مِنْهُ مَا طَلَبَهُ
إِنْ تَسْتَبِقُ حَلَبَاتِ الْمَجْدِ رَاكِضَةً خَيْلُ الْمَعَالِي تَرَاهُ سَابِقَ الْحَلَبَةِ

ويقول في وصف تهلل وجهه إذا جاءه السائلون:

تَهَلَّلَ الْأُمُّ تَأْتِي بِتَتَاهَا الْخَطْبَةُ

وهذا على نغمة صوت التيس، لكن الشيخ المختار بن حامدن - رحمه الله تعالى - جاء
بصوت العنز نفسه! فقال:

مَا زِلْتُ أَحْسِبُ زَيْدًا صَادِقًا نَبَأُهُ حَتَّى سَمِعْتُ صُرَاخَ الْعَنْزِ إِنْبَاءُهُ

وينبغي أن تُقرأ (إنبأؤه) بتسهيل همزاتها لأن العنز لا تحقق الهمز!

ومنه قول ذي الرُّمة غيلان:

لَا يُنْعِشُ الطَّرْفَ إِلَّا مَا تَخَوَّنَهُ دَاعٍ يُنَادِيهِ بِاسْمِ الْمَاءِ مَبْغُومُ
بإمالة ألف (الماء) على صوت التيس.

وقريب من هذا: أن بعضهم تغرَّب عن أهله في طلب العلم، فسمع صوت عنز فتذكر دياره
وعنز أهله فاشتاق إليهم وقال في ذلك:

قَدْ هَدَّ قَلْبِي رَسِيسُ الشَّوْقِ يَلْتَاغُ لَمَّا سَمِعْتُ صِيَاحَ الْعَنْزِ إِنْبَاغُ
نرجع إلى زهير!

من أحسن شعره ما قال في معلقته التي يمدح فيها هَرَمَ بَنَ سِنَانَ والحارثَ بَنَ عَوْفِ
الْمُرِّيَّينَ، ويذكر سعيهما في صلح عَبَسَ وَذُبْيَانَ في حرب دَا حَسَ والغبراء ويذكر تحملهما
الحمالات يقول:

يَمِينًا لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِّنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ
تَدَارَكْتُمَا عَبَسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا تَقَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عَطَرَ مَنْشِمٍ
وَقَدْ قُلْتُمَا إِن نُّذْرِكِ السَّلْمَ وَإِسْعَا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِّنَ الْقَوْلِ نَسْلَمِ
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ
عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هُدَيْتُمَا وَمَنْ يَسْتَبِيحُ كَنْزًا مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمِ
فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزْنَمِ
تُعْفَى الْكُلُومُ بِالْمِئِينَ فَأَصْبَحَتْ يُنْجِمُهَا مَنْ لَّيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمِ
يُنْجِمُهَا قَوْمٌ لَّقَوْمٌ غَرَامَةٌ وَلَمْ يَهْرَيْقُوا بَيْنَهُمْ مِلءَ مِحْجَمِ
وفيها شيء من التوحيد يقول:

فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفْسِكُمْ لِيُخْفِيَ وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللَّهُ يَعْلَمِ
يُؤَخِّرْ فَيُوضِعْ فِي كِتَابٍ فَيُدْخِرْ لِيَوْمِ حِسَابٍ أَوْ يُعَجِّلْ فَيُنْقِمِ
ويقول في غيرها:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَرَى النَّاسَ مَا مِنَ الْأَمْرِ أَوْ يَبْذُلُهُمْ مَا بَدَا لِيَا
بَدَا لِي أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ فَرَادَنِي إِلَى الْحَقِّ تَقْوَى اللَّهِ مَا قَدْ بَدَا لِيَا
وسبب حرب داحس والغبراء التي قامت بين عبس وذبيان ودامت أربعين سنة: أن قيس
بن زهير العبسي وحذيفة بن بدر الفزاري تراهنا - بأن تسابقا في الخيل - وكان لقيس

فرسان داحس والغبراء ولحذيفة فرسان الخطار والحنفاء، واتفقا على الغاية، فأرصدت بنو ذبيان على الطريق من يزجر الغبراء أثناء المضمار فزجروها فسبقت، فكان ذلك سبباً في وقوع الشر بينهم.

ونشبت الحرب التي استمرت أربعين سنة، وهي التي تحمّل فيها هرم بن سنان والحرث بن عوف الحملات.

وإذا ذكرت حرب داحس والغبراء فيحسن ذكر حرب البسوس.

حاصل خبر حرب البسوس: أن كليب بن ربيعة من بني تغلب كان قد عز وساد في ربيعة وهو الذي قاد معداً كلها يوم خزازى وفصّ جموع اليمن، فاجتمعت إليه معدّ وتوجته وأطاعته، فدخله عجب كبير فبغى على قومه.

وكان من أمره أنه حمى أرضاً لا ترعى فيها إلا إبله وإبل جساس للمصاهرة التي بينهما؛ لأنه كانت تحته أخت جساس، ثم إن خالة الجساس واسمها البسوس كانت لجار لها ناقة يقال لها سراب، هذه الناقة وردت حمى كليب فرأها كليب في نوقه فغضب ورمها بسهم أنفذ ضرعها فرجعت الناقة وضرعها يشخب دمًا ولبنًا حتى بركت بفناء صاحبها فصاح: واؤلاه. فلما سمعت البسوس -وكانت قد أجارته- نادى هي الأخرى واؤلاه، فغضب جساس وقال: والله ليقتلن غدًا جمل عظيم أعظم عقراً من ناقة جارك -يريد بذلك كلياً- فبلغ ذلك كلياً فظن أنه أراد قتل عليان وهو فحل كريم له، فقال: هيهات دُونَ عَلِيَّانَ خَرَطُ الْقَتَادِ.

ثم إن كلياً مرّ ببني بكر على ماء يقال له: شبيث فمنعهم منه وهم عطاش، ثم مروا على ماء آخر يقال له: الأحصّ فمنعهم منه، ثم مر على ماء ثالث يقال له: الذنائب فمنعهم منه، فتبعه جساس وقال له: طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً! قال: ما منعناهم

من ماء إلا ونحن له شاغلون. قال: فما حملك على ما فعلت بالناقة؟ وطعنه بالرمح فلمّا وجد كليب طعم الموت قال: يا جسّاس اسقني ماء. قال: هيهات! تجاوزت شُبَيْثًا والأحص ولم تشرب ومنعتنا منه. وكان مع جسّاس رجل من عشيرته يقال له: عمرو بن الحارث، فقال له كليب: يا عمرو أغثني بشربة ماء! فنزل عمرو عن فرسه واحتز رأسه، فقليل:

المُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ
ثم إن قوم كليب اجتمعوا وانطلق رهط من أشرافهم إلى مُرَّةَ بنِ ذهل والدِ جسّاس، وقالوا: إنكم قد أتيتُم أمرًا عظيمًا بقتلكم كليبًا بناقة، وقطعتُم رحمكم! وإنا نعرض عليكم خلالاً أربعاً لكم فيها مخرج ولنا فيها مقنع: إما أن تحيوا لنا كليبًا، وإما أن تدفعوا إلينا جسّاسًا فنقتله به، وإما أن تدفعوا إلينا همّامًا فنقتله به فإنه له كفء - وهَمّام أخو جسّاس وهو من أشرافهم -، وإما أن تُقَيِّدَنَا من نفسك فإن فيك وفاءً لدمه.

فقال مُرَّةُ بن ذهل: أما إحياء كليب فلا قدرة لأحد به، وأما جسّاس فغلام غرٌّ طعن طعنة انخلع لها قلبه فلا أدري أين ذهب، وأما همّام فأبو العشرة وأخو العشرة وعم العشرة ويوشك إن دفعته إليكم أن تصيح بنوه في وجهي فتقول دفعت أبانا للقتل بجريرة غيره، وأما أنا فما هو إلا أن تجول الخيل جولة فأكون أول قتيل فما أتعجل الموت ولكن لكم عندي خصلتان أما إحداهما فهو لاء أبنائي خذوا أيا منهم بنسعة في رقبته واقتلوه بكليب، وأما الأخرى فإني أدفع إليكم ألف ناقة سود الحديق حمّر الوبر.

فغضبوا وقالوا: إنا لم نأتك لترذل لنا بنيك - أي لتعطينا رُذال بنيك ورذال كل شيء رديئه - ولا لتسومنا اللبن!

فتفرقوا وثارَت الحرب التي دامت أربعين سنة وقتل منهم مهلهلٌ - أخو كليب - جمًّا غفيرًا، وكان الحارثُ بن عُبَادَ سيّد بكر وفارسها، وكان قد اعتزل الحرب وقال: لا ناقة لي

بها ولا جمل فأرسلها مثلاً فقليل له: إن مهلهلاً قد كاد يُفني قومك فأرسل إليه، فأرسل إليه ابناً له يقال له بُجَيْر، وقال له: قل لمهلهل: أبي يقرئك السلام ويقول لك: قد علمت أني اعتزلت الحرب وخليتك مع قومي تفعل بهم ما تشاء، وقد أدركت وتركت، وقتلت قومك، أنشدك البقية فيهم. فأتى بجير حتى وقف على مهلهل وهو في نادي قومه فبلغه الرسالة. فصمد إليه مهلهل بالرمح ورماه به وقال: بُوْ بِشْسَعِ نَعْلِ كَلِيب! فقال الغلام: إن رَضِيتُ بذلك بنو بكر رَضِيتُ، فلما بلغ الحارث بن عباد مقتل بجير قال: نِعْم القَتِيل قَتِيلاً أَصْلَح الله به بين بكر وتغلب وباء بدم كليب. فقالوا: إن مهلهلاً قال: بُوْ بِشْسَعِ نَعْلِ كَلِيب. فلم يصدق وأرسل إلى مهلهل يقول: إن كنت قتلت ابني بكليب فقد رضيت، فقال مهلهل: إنما قتلته بشسع نعل كليب! فغضب وأنشأ يقول:

[الخفيف]

قَرَّبَا مَرْبُطَ النَّعَامَةِ مِنِّي	لَقَحَتْ حَرْبٌ وَائِلٌ عَن حِيَالِ
قَرَّبَا مَرْبُطَ النَّعَامَةِ مِنِّي	إِنَّ يَّعَ الْكِرَامِ بِالشُّسْعِ غَالِي
قَرَّبَا مَرْبُطَ النَّعَامَةِ مِنِّي	لِبُكَاءِ الشُّيُوخِ وَالْأَطْفَالِ
قَرَّبَا مَرْبُطَ النَّعَامَةِ مِنِّي	لِحَيْنِ النَّسَاءِ وَالْإِغْوَالِ
قَرَّبَا مَرْبُطَ النَّعَامَةِ مِنِّي	شَابَ رَأْسِي وَأَنْكَرْتَنِي رِجَالِي
لَمْ أَكُنْ مِّنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ الدُّ	هُ وَإِنِّي بِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِي
لَا بُجَيْرٌ أَغْنَى قَتِيلاً وَلَا رَهْ	طُ كَلِيبٌ تَزَاجَرُوا عَن ضَلَالِ

وهذه الأبيات من قصيدة طويلة تبلغ أبياتها نحو المئة كرر: "قربا مربوط النعامة مني" في نحو خمسين بيتاً كما في نهاية الأرب في فنون الأدب، والذي في الأصمعيات من القصيدة ثلاثة أبيات: البيت الأول والبيتان الأخيران والنعامة اسم فرسه.

ثم شمر لحرب تغلب، حتى كاد يُبيدهم ولم تقم بعده لتغلب راية، وقد أشار إلى هذا في عمود النسب بقوله:

[الرجز]

وَإِبْنَاهُ تَغْلِبٌ وَبُكْرٌ قَامَا عَلَى الشَّقَاقِ أَرْبَعِينَ عَامَا

أَنْ غَالَ جَسَّاسُ كُلَيْبِ التَّغْلِبِي لَقَتْلِهِ نَاقَةَ خَالَةِ أَبِي
وَوَضَّحَ يَسْتُرُهُ بِرُكْبَتَيْهِ أَبْرَزَهُ نَجَاؤُهُ مِنْ فَتْكَتَيْهِ
وَعُغِبَتْ تَغْلِبُ حَتَّى كَلَّمُوا فِي الْأَرْضِ حَارِثًا عَسَاهُ يَرْحَمُ

يشير إلى أن الحارث بن عباد حلف أن لا يترك قتالهم حتى يكلموه من تحت الأرض، فلما كثرت وقائعه في تغلب ورأت تغلب أنها لا تقوم له حفروا سرباً تحت الأرض وأدخلوا فيه رجلاً وقالوا له: إذا مرَّ بك الحارث فأنشده هذا البيت: [الطويل]

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضَنَا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

فلما مرَّ الحارث اندفع الرجل وأنشد هذا البيت، فقبل للحارث: قد برَّ بقسمك فأبقى بقية قومك، فأمسك، واصطلحت بكر وتغلب.

- ومن أعلام هذا العصر: دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ، وقد عُمِّرَ حتى أدرك الإسلام، وشهد معركة حنين، لكنه كان في الجانب الآخر في صف المشركين، وقد قُتِلَ فيها مع أنه كان شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه؛ لأنه شارك برأيه.

قال دريد يرثي أخاه ويمدحه: [الطويل]

قَلِيلُ التَّشَكِّيِّ^(١) لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ مَعَ الْيَوْمِ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ
كَمِيشُ الْإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ صَبُورٌ عَلَى الضَّرَاءِ طَلَّاعٌ أَنْجِدُ
صَبَاً مَا صَبَا حَتَّى إِذَا شَابَ رَأْسُهُ وَأَحْدَثَ حِلْمًا قَالَ لِلْبَاطِلِ ابْعَدِ

(١) أي لا يتشكَّى، وهذا كثير في اللغة أعني إطلاق القليل وإرادة العدم ومنه قول الطرماح يمدح يزيد بن المهلب:

أَشْمُ كَثِيرِ يُدِيِّ النِّوَالِ قَلِيلِ الْمَثَالِبِ وَالْقَادِحَةِ

أي: لا مثلبة فيه ولا قاذحة. وقد حمل عليه قوله تعالى: (لا تبغم الشيطان إلا قليلاً) قال قتادة: لا تبغم الشيطان كلُّكم.

وقوله: "كميش الإزار": يدل على أن العرب كانت تمدح تقصير الثوب ورفعَهُ عن الكعبيين في الجاهلية، ذكر هذا ابن عبد البر في التمهيد، فقال: تكميش الإزار إلى نصف الساق كانت العرب تمدح فاعله ثم جاء الله بالإسلام فسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- وأورد هذه الأبيات، وأورد فيما أورد قول مُتَمِّم بن نُويرة -وسياتينا خبره إن شاء الله في عصر صدر الإسلام- يرثي أخاه:

[الطويل]

تَرَاهُ كَنَصْلِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى وَلَيْسَ عَلَى الْكَعْبَيْنِ مِنْ ثَوْبِهِ فَضْلٌ
وقال أبو عبيد العَجِير السلولي:

[الطويل]

وَكُنْتُ إِذَا دَاعٍ دَعَا لِمَعُونَةٍ أَشْمُرُ حَتَّى يُنْصِفَ السَّاقَ مِثْرِي
ومنه قول أبي طالب يمدح النبي -صلى الله عليه وسلم- في قصيدته البحرية: [الطويل]

طَوِيلُ النَّجَادِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ عَلَى وَجْهِهِ يُسْقَى الْغَمَامُ وَيُسْعِدُ

ولأبي طالب قصيدة لامية قال عنها ابن كثير قولاً حملته عليه عاطفته الدينية الصادقة التي يؤجر عليها صاحبها -إن شاء الله- وإن كانت لا تتفق مع معيار الشعر عند النقاد الذين لا ينظرون إلى نبل المعاني وإنما ينظرون إلى جودة الشعر ألفاظاً وتراكيب، ولكل أهل فنٍّ معيارهم قال رحمه الله تعالى: هذه قصيدة عظيمة فصيحة بليغة جداً، لا يستطيع أن يقولها إلا من نُسبت إليه، وهي أفحل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى منها جميعاً.

وهي لاميته التي قالها في الشعب فيما يُذكر، يقول فيها:

[الطويل]

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَا وُدَّ فِيهِمْ وَقَدْ قَطَّعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ
وَقَدْ صَارَ حُونًا بِالْعَدَاوَةِ وَالْأَذَى وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمُزَايِلِ
وَقَدْ حَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظْنَّةً يَعْضُّونَ غِظًّا خَلَفْنَا بِالْأَنَامِلِ

صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمَرَاءَ سَمْحَةٍ وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِّنْ ثَرَاثِ الْمَقَاوِلِ
وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي وَأَمْسَكْتُ مِّنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ
قِيَامًا مَّعًا مُسْتَقْبِلِينَ رِتَاجَهُ لَدَى حَيْثُ يَقْضِي حَلْفَهُ كُلُّ نَافِلِ
إِلَى أَنْ قَالَ:

أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ عَلَيْنَا بِسُوءٍ أَوْ مُلِحٍّ بِبَاطِلِ
وَمِنْ كَاشِحٍ يَسْعَى لَنَا بِمَعِيَةٍ وَمِنْ مُلْحِقٍ فِي الدِّينِ مَا لَمْ نُحَاوِلِ
إِلَى أَنْ قَالَ:

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نَتْرُكُ مَكَّةَ وَنَظَعْنُ إِلَّا أَمْرُكُمْ فِي بِلَابِلِ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ بُزِيَ مُحَمَّدًا وَلَمَّا نَطَاعِنُ دُونَهُ وَنُنَاضِلِ
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرِّعَ حَوْلَهُ وَنُذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَالِ
هذا البيت تمثل به عبدة بن الحارث بن المطلب في قصة، وذلك أنه كان أحد المبارزين
يوم بدر، وكان أسنَّ جيش المسلمين، كان عمره ثلاثاً وستين سنة، فاختلف هو وقرنه -
قيل: عتبة بن ربيعة وقيل: الوليد بن عتبة- بينهما ضربتين، وأثبت كل واحد منهما صاحبه
-أي جرحه جراحة لا يقوم معها- وكرَّ حمزة وعلي بأسيافهما على قرنه فذففا عليه -أي
أجهزا عليه وأسرعاه قتله- واحتملا عبدة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال عبدة
وهو في السياق وقد وُضِعَ رأسه على قدم النبي -صلى الله عليه وسلم-: والله وددت لو
أن أبا طالب حيٌّ؛ حتى يعلم أني أحق منه بقوله:

وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرِّعَ حَوْلَهُ وَنُذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَالِ
قال أبو طالب بعد ذلك:

وَمَا تَرَكُ قَوْمٍ لَا أَبَالَكَ سَيِّدًا يَحُوطُ الذَّمَّارَ غَيْرَ ذَرْبٍ مُّوَ اكِلِ
وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثَمَالَ الْيَتَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ

يُلَوِّذُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
إِلَى أَنْ قَالَ:

فَهُمْ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وَفَوَاضِلٍ

جَزَى اللَّهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوَفَلًا
بِمِيزَانٍ قِسْطٍ لَا يُخْسُ شَعِيرَةً
إِلَى أَنْ قَالَ:

عُقُوبَةً شَرًّا عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ
لَهُ شَاهِدٌ مِّنْ نَّفْسِهِ غَيْرُ عَائِلٍ

لَعَمْرِي لَقَدْ كُفِّتُ وَجَدًا بِأَحْمَدٍ
فَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا جَمَالًا لِأَهْلِهَا
فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيْ مُمْلَكٍ
حَكِيمٍ رَشِيدٍ عَاقِلٍ غَيْرُ طَائِشٍ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ أَجِيءَ بِسُبَّةٍ
لَكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
لَقَدْ عَلِمُوا أَنْ ابْنَنَا لَا مَكْذَبَ
فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدٌ فِي أَرْوَمَةٍ
حَدِثَتْ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمِيَّتُهُ
فَأَيَّدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَصْرِهِ
رِجَالٍ كِرَامٍ غَيْرُ مِيلٍ نَمَاهُمْ
وَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ:

وَإِخْوَتِهِ دَأْبَ الْمُحِبِّ الْمُوَاضِلِ
وَزَيْنًا لَّمَنْ وَآلَاهُ ذَبَّ الْمَشَاكِلِ
إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ يَوْمَ التَّفَاضِلِ
يُؤَالِي إِلَهًا لَّيْسَ عَنْهُ بِغَافِلٍ
تُجَرُّ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِي الْمَحَافِلِ
مِّنَ الْقَوْلِ جِدًّا غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازُلِ
لَدِينَا وَلَا يُعْنَى بِقَوْلِ الْآبَاطِلِ
تَقْصُرُ عَنْهُ سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ
وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذُّرَى وَالْكَلاكِ
وَأَظْهَرَ دِينًا حَقُّهُ غَيْرُ نَاصِلٍ
إِلَى الْخَيْرِ آبَاءُ كِرَامِ الْمَخَاصِلِ

[الكامل]

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ
وَدَعَوْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ نَاصِحِي
وَعَرَضْتَ دِينًا لَا مَحَالَةَ إِنَّهُ
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حِذَارِي سُبَّةٌ

حَتَّى أَوْسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِينًا
وَأَبْشَرَ وَقَرَّبَ بِذَلِكَ مِنْكَ عُيُونًا
وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ ثَمَّ أَمِينًا
مِّنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا
لَوْ جَدَّتْنِي سَمَحًا بِذَلِكَ مُبِينًا

وَمِنْ شَعْرِهِ قَصِيدَتُهُ الْبَحْرِيَّةُ الَّتِي مَدَحَ بِهَا الَّذِينَ سَعَوْا فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ يَقُولُ: [الطويل]

أَلَا هَلْ أَتَىٰ بِخَرْيَا صُنْعُ رَبِّنَا عَلَىٰ نَائِيهِمْ وَاللَّهُ بِالنَّاسِ أَزْوَدُ
فِيخْبِرُهُمْ أَنَّ الصَّحِيفَةَ مَزَّقَتْ وَأَنَّ كُلَّ مَا لَمْ يَرْضَهُ اللَّهُ مُفْسَدُ
وفيها يقول:

وَيَظُنُّ أَهْلَ الْمَكَّتَيْنِ^(١) فِيَهْرُبُوا فَرَائِصُهُمْ مِنْ خَشْيَةِ الشَّرِّ تُرْعَدُ
وفيها يقول يمدح النبي - صلى الله عليه وسلم - بالبيت السابق:

طَوِيلُ النَّجَادِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ عَلَىٰ وَجْهِهِ يُسْقَى الْغَمَامُ وَيُسْعِدُ

(١) المكتين: يقصد جانبي مكة أو الظواهر والبطاح، وعليه حمل قوله تعالى: (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين) ثم قال: (ودخل جنته) فيكون المقصود بالجنتين جانبي الجنة. وهذا كثير في الشعر.

المجلس الثاني عشر

في هذا المجلس:

• عصور الأدب:

٢ / عصر صدر الإسلام:

- * من شعر أبي بكر الصديق.
- * أشعر الناس عند عمر بن الخطاب.
- * بيتان قيل إن عليَّ بن أبي طالب لم يقل شيئاً من الشعر غيرهما.
- * قصة إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى، وقصيدته بانت سعاد.
- * الخنساء ورثاؤها لأخويها.
- * حسان بن ثابت وشيء من أشعاره في المدح والثناء والهجاء والاعتذار والفخر والدفاع عن النبي - صلى الله عليه وسلم -.
- قصيدة ابن بهيج الأندلسي على لسان عائشة الصديقة.
- * بيت كعب بن مالك الذي أسلمت قبيلة دوس فرقا منه.
- * شعر خبيب بن عدي الذي قاله حين بلغه أن قريشاً قد اجتمعوا لصلبه.
- * متمم بن نويرة ورثاؤه لأخيه.
- قصيدة المختار بن حامدن التي قالها لما بلغ مئة سنة وتشبيهه نفسه بالذي قتل مئة نفس.
- خبر مالك بن الرّيب وقصيدته التي رثى بها نفسه.
- * خبر كتاب عبد الملك بن مروان للحجاج: أنت عندي كسالم والسلام.
- * منشأ الوهم في تسمية الجلدة بين العين والأنف بسالم.
- * قول ابن سيدة في الجمار: هي التي ترمى بعرفة. واعتذار الحافظ ابن حجر عنه.
- * من رجز السيرة. وأبيات تتابع الناس على نقلها غير موزونة.

* خبر هجاء الحطيئة للزبرقان وإرادة عمر قطع لسانه.

* الحطيئة يهجو نفسه.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فما زال الكلام في عصور الأدب، وقد فرغنا من الكلام على العصر الجاهلي، وهذا عصر صدر الإسلام.

- من أعلامه: أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - قال في سرية عبدالله بن جحش - رضي الله عنه - التي نزل في شأنها {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ} ونزل في عبدالله بن جحش وأصحابه {إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ} الآية. لما قالت قريش: إن محمداً - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه قد أحلوا الشهر الحرام وقتلوا فيه قال أبو بكر يرد عليهم:

[الطويل]

تَعُدُّونَ قِتَالًا فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً وَأَعْظَمُ مِنْهَا لَوْ يَرَى الرُّشْدَ رَاشِدُ
صُدُودُكُمْ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ وَكُفْرُ بِهِ وَاللَّهُ رَءٍ وَشَاهِدُ
وهذا مطابق للآية {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ
اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ}.

ولما قدم أبو بكر الصديق رضي الله عنه المدينة وأصابته الحمى ولقي من شدة الوَعَكِ ما لقي كان ينشد ويتمثل:

[الرجز]

كُلُّ أَمْرٍ مُّصَبَّحٍ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ
وقال للأنصار يشكر لهم إثارهم المهاجرين على أنفسهم: جزاكم الله يا معشر الأنصار خيراً!
فوالله ما مثّلنا ومثّلكم إلا كما قال الغنوي:

[الطويل]

جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أُرْلَقَتْ بَنَانَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَزَلَّتْ
هُمْ خَلَطُونَا بِالنُّفُوسِ وَالْجَاوَا إِلَى حُجَرَاتٍ أَذْفَأَتْ وَأَظْلَلَّتْ
أَبُوا أَنْ يَمْلُونَنَا وَلَوْ أَنَّ أَمَّنَّا تُلَاقِي الَّذِي لَاقَوْهُ مِنَّا لَمَلَّتْ

- وعمر بن الخطاب رضي الله عنه روي أنه قال في انصرافه من حجته التي لم يحج بعدها:

الحمد لله، ولا إله إلا الله، يعطي من يشاء ما يشاء، لقد كنت بهذا الوادي -يعني ضُجنان- أَرعى
إِبلاً للخطاب، وكان فظاً غليظاً يُتعبني إذا قَصَّرت، وقد أصبحت وأمسيَت، وليس بيني وبين الله
أحد أخشاه، ثم تمثل بأبيات تُنسب لورقة بن نوفل:

[البسيط]

لَا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بِشَاشَتُهُ يَبْقَى الْإِلَهِ وَيَفْنَى الْمَالُ وَالْوَلَدُ
لَمْ تُغْنِ عَنْ هُرْمُزٍ يَوْمًا خَزَائِنُهُ وَالْخُلْدَ قَدْ حَاوَلْتُ عَادُ فَمَا خَلَدُوا
وَلَا سُلَيْمَانُ إِذْ تَجْرِي الرِّيَاحُ لَهُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ فِيمَا بَيْنَهَا تَرْدُ
أَيَّنَ الْمُلُوكُ الَّتِي كَانَتْ لِعِزَّتِهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا وَافِدٌ يَقْدُ
حَوْضُ هُنَالِكَ مَوْرُودٌ بِلَا كَذِبٍ لَا بُدَّ مِنْ وَرْدِهِ يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا
وفيهما أبيات تُنسب لأُمَيَّة بن أَبِي الصَّلْتِ.

وكان عمر رضي الله عنه يستعذب الشعر الفحل، ويستشهد به ويوصي به.

قال -رضي الله عنه-: رَوُّوا أَوْلَادَكُمْ الشعر؛ تَتَهَذَّبُ طَبَاعُهُمْ وَتَرْقُّ أَلْسِنَتُهُمْ.

وكان له نظر في الشعراء، قال يوماً لبعض جلسائه: من أشعر الناس؟ فأجاب كلُّ بما عنده،
فقال: أشعرهم مَنْ يَقُول: وَمَنْ وَمَنْ. يعني زهير بن أبي سلمى، لأنه أكثر منها في آخر

[الطويل]

معلقته:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَخْلُ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَعْنَ عَنْهُ وَيُذَمِّمِ
وَمَنْ يَغْتَرِبُ يَحْسِبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَا يُكْرَمُ نَفْسُهُ لَا يُكْرَمِ

وَمَنْ لَا يُصَانِعُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرَّسُ بِأَثْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسِمٍ
وينسب لعثمان رضي الله عنه أنه قال: [الطويل]

غَنَى النَّفْسُ يُغْنِي النَّفْسَ حَتَّى يَكْفَهَا وَإِنْ عَضَّهَا حَتَّى يَضُرَّ بِهَا الْفَقْرُ
وَمَا عُسْرَةٌ فَاصْبِرْ لَهَا إِنْ لَقِيَتْهَا بِكَائِنَةٍ إِلَّا سَيَتْبُعُهَا يُسْرُ

يُروى أن المتوكل قال يوماً لجلسائه: إن أبا بكر لما تَسَنَّمَ المنبر هبط من مقام النبي -صلى الله عليه وسلم- بمرقاة -أي بدرجة- ثم قام عمر دون أبي بكر، وصعد عثمان ذروة المنبر! فقال بعض من حضر: ما أحدٌ أعظمَ مِنَّةً عليك من عثمان يا أمير المؤمنين!

قال له: وكيف ذلك؟ قال: لو أنه كلما قام خليفة نزل مرقاة ونزل عثمان لكنت الآن تخطبنا من بئر! فضحك المتوكل وضحك من حوله.

- ومن أولئك: علي رضي الله عنه له قصة يذكرها شراح مختصر خليل عند قوله: (وهي المنبرية لقول علي صار ثُمْنُهَا تُسْعًا)، وهي أن علياً -رضي الله عنه- كان يخطب يقول: "الحمد لله الذي يحكم بالحق قَطْعًا، ويجزي كلَّ نفس بما تسعى، وإليه المعاد والرُّجْعى" فسئل وهو على المنبر عن زوجة وأبوين وابنتين، فقال: "صار ثُمْنُهَا تُسْعًا" -على السجع-

ومن شعره قوله: [البيط]

تَلُكُمُ قُرَيْشٌ تَمَنَّانِي لَتَقْتُلَنِي فَلَا وَرَبِّكَ مَا بَرُّوا وَلَا ظَفَرُوا
فَإِنْ هَلَكْتُ فَرَهْنُ ذِمَّتِي لَهُمْ بِذَاتِ وَدَقَيْنٍ لَا يَعْفُو لَهَا أَثَرُ

العجيب أن صاحب القاموس في مادة (وَدَقَ) قال: قال المازني: لم يصح أنه تكلم بشيء من الشعر غير هذين البيتين وَصَوَّبَهُ الزمخشري.

ثم إن صاحب القاموس في كلامه على مُحَيِّس قال: سَجَنَ بناه علي -رضي الله عنه- وكان أولاً جعله من قَصَبٍ وسماه نافعًا فنقبه اللصوص فقال: [مشطور الرجز]

أَمَّا تَرَانِي كَيْسًا مُكَيِّسًا
بَنَيْتُ بَعْدَ نَافِعٍ مُخَيِّسًا
بَابًا حَصِينًا وَأَمِينًا كَيْسًا

وقد وُفِّقَ بينهما بأن الرجز ليس بشعر، وليس كذلك فالرجز من الشعر والمُثَبِّت مُقَدِّم على النافي، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ.

والشعر المنقول عنه كثير - من الرجز وغيره - وفي صحيح مسلم أنه لما برز لمرحب في فتح خيبر، قال:

[مشطور الرجز]

أَنَا الَّذِي سَمَّيْنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ
كَلَيْتُ غَابَاتٍ كَرِيهِهِ الْمَنْظَرَهُ
أَوْفِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّيْنَدَرَهُ

وكان الفتح على يديه ﷺ.

ويُنسب إليه - وهو في ديوانه -:

[الطويل]

وَفِي قَبْضِ كَفِّ الطُّفْلِ عِنْدَ وَلَادِهِ دَلِيلٌ عَلَى الْحِرْصِ الْمُرَكَّبِ فِي الْحَيِّ
وَفِي بَسْطِهَا عِنْدَ الْمَمَاتِ مَوَاعِظُ أَلَا فَانْظُرُونِي قَدْ خَرَجْتُ بِلَا شَيْ
- ومن أولئك: كعب بن زهير، والده زهير بن أبي سلمى صاحب المعلقة.

ساق الله كعبًا للإسلام، وكان من خبر إسلامه أن أخًا له يقال له: بُجَيْر أسلم قبله، فأغضب

ذلك كعبًا وكتب إليه:

[الطويل]

أَلَا أَبْلَغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتَ وَيَحَاكَ هَلْ لَكَ
فَبَيْنَ لَنَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ غَيْرَ ذَلِكَ دَلَّكَ
عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُلَفِ أُمًّا وَلَا أَبًا عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخَا لَكَ
فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِأَسْفٍ وَلَا قَائِلٍ إِمَّا عَثَرْتَ لَعَا لَكَ

سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأَسَا رَوِيَّةً فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ

[الطويل]

فأجابه بجير بأبيات قال فيها:

فَمَنْ مُبْلَغٌ كَعْبًا فَهَلْ لَكَ فِي الَّتِي تَلُومُ عَلَيْهَا بَاطِلًا وَهِيَ أَحْزَمُ
إِلَى اللَّهِ لَا الْعُزَّى وَلَا اللَّاتِ وَحْدَهُ فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النَّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُو وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ مِّنَ النَّاسِ إِلَّا طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
فَدَيْنُ زُهَيْرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ دَيْنُهُ وَدَيْنُ أَبِي سُلَمَى عَلَيَّ مُحَرَّمُ

وكتب إليه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوهم ويؤذيه، وأن من بقي من شعراء قريش قد هربوا في كل وجه، فإن كان لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً.

فلما وصل الكتاب إلى كعب أتى قبيلته مزيّنة لتجيره من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأبوا ذلك عليه، وضافت عليه الأرض بما رحبت وأشفق على نفسه، وأزجف الوشاة به وقالوا: إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول. كما ذكره في قصيدته بانت سعاد، فخرج يريد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة فنزل على رجل من جُهينة كانت بينه وبينه معرفة، فغدا به إلى المسجد وأشار له إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذهب إليه كعب ووضع يده في يده وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يعرفه فقال: يا رسول الله، إن كعب بن زهير قد جاءك ليستأمنك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه إن أنا جئت بك به؟ قال: نعم. قال: أنا كعب بن زهير. فوثب رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، دعني وعدو الله أضرب عنقه. فقال: دعه عنك، فإنه قد جاء تائباً نازعاً عما كان عليه.

فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار ووجد في نفسه، وأنشد قصيدته بين يدي النبي - صلى الله عليه وسلم -:

[الطويل]

بَأَنْتَ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ مُتَمِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفَدَ مَكْبُولُ

إلى أن قال:

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُورٌ
مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْـ قُرْآنَ فِيهَا مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلٌ
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أَذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِيِّي الْأَقَاوِيلُ

إلى أن قال:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِّنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ
فِي عُصْبَةٍ مِّنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُورُوا
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَّعَاذِيلُ

ويقال: إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال له بعد أن فرغ من إنشاده قصيدته: لولا

ذكرت الأنصار بخير فإنهم لذلك أهل، فقال كعب:

[الكامل]

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ فِي مِقْنَبٍ مِّنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ
وَرِثُوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ إِنَّ الْخِيَارَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ

في قصيدة يمدح فيها الأنصار ويذكر بلاءهم مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وموضعهم

من اليمن.

وفي هذا يقول صاحب الشمقمقية:

[الرجز]

وَقَدْ حَبَا كَعْبًا غَدَاةَ مَدْحِهِ بِبُرْدَةٍ وَمِئَةٍ مِّنْ أَيْنُقِ

يقول: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- أعطاه على هذا الشعر بُرْدَتَهُ ومئة ناقة.

يقال: إن معاوية بذل في هذه البردة لكعب عشرة آلاف درهم فامتنع وقال: ما كنت لأوثر بثوب

رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحدًا، فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألف

درهم فأعطوه البردة.

- ومن أولئك: الخنساء - رضي الله عنها -، وكان لها أخوان: معاوية وصخر، وكان معاوية أخاها لأبيها وأُمها ومات قبل صخر فبكته في أشعار كثيرة، منها قولها: [الوافر]

أَرِيقِي مِنْ دُمُوعِكَ وَاسْتَفِيقِي وَصَبْرًا إِنْ أَطَقْتَ وَلَنْ تُطِيقِي
وَقُولِي إِنْ خَيْرَ بَنِي سُلَيْمٍ وَفَارِسَهُمْ بِصَحْرَاءِ الْعَقِيقِ
ثم مات بعد ذلك صخر فأنستها مصيبتها به مصيبتها بمعاوية، وقالت فيه أشعارًا كثيرة، منها قولها: [البسيط]

قَدَى بِعَيْنِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ أُمُّ ذَرَفَتْ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
إلى أن قالت:

وَإِنَّ صَخْرًا لَوَالَيْنَا وَسَيِّدَنَا وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهُدَاةُ بِهِ
كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ
وقالت فيه أيضًا: [المتقارب]

أَعَيْنَيَّ جُودًا وَلَا تَجْمُدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجَرِيءِ الْجَمِيلِ أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا
طَوِيلُ النِّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَادِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا
إِذَا الْقَوْمُ مَدُّوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى الْمَجْدِ مَدًّا إِلَيْهِ يَدَا
فَنَالَ الَّذِي فَوْقَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَجْدِ ثُمَّ غَدَا مُضْعَدَا
يُكَلِّفُهُ الْقَوْمُ مَا عَالَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلَدَا
وَإِنْ ذُكِرَ الْمَجْدُ أَلْفَيْتَهُ تَأَزَّرَ بِالْمَجْدِ ثُمَّ ارْتَدَى
قال ابن الونان في الشمقمقية: [الرجز]

وَابِكِ عَلَى ذَنْبٍ وَقَلْبٍ قَدْ قَسَا كَالصَّخْرِ مِنْ هَوَاهُ لَمْ يَسْتَفِقِ
بِمُقْلَةٍ كَمُقْلَةِ الْخَنْسَاءِ إِذْ تَبْكِي عَلَى صَخْرٍ بِلَا تَرْفُوقِ

- ومن أولئك: حسان - رضي الله عنه - شاعر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، من شعره

قوله في ابن عباس - رضي الله عنهما - : [الطويل]

إِذَا مَا ابْنُ عَبَّاسٍ بَدَا لَكَ وَجْهُهُ رَأَيْتَ لَهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ فَضْلًا
إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ بِمُنْتَظِمَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَضْلًا
كَفَى وَشَفَى مَا فِي النُّفُوسِ فَلَمْ يَدْعُ لِذِي إِرْبَةٍ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلًا

ومن ذلك قوله يبكي المُطْعَم بن عدي حين مات ويذكر قيامه في نقض الصحيفة وإجارته للنبي

- صلى الله عليه وسلم - يقول: [الطويل]

أَيَا عَيْنٍ فَابْكِي سَيِّدَ الْقَوْمِ وَاسْفَحِي بَدَمْعٍ وَإِنْ أَنْزَفْتِهِ فَاسْكُبِي الدَّمَ
وَبَكِّي عَظِيمَ الْمَشْعَرَيْنِ كِلَيْهِمَا عَلَى النَّاسِ مَعْرُوفًا لَهُ مَا تَكَلَّمَا
فَلَوْ أَنَّ مَجْدًا أَخْلَدَ الدَّهْرَ وَاحِدًا مِّنَ النَّاسِ أَبْقَى مَجْدُهُ الدَّهْرَ مُطْعِمًا
أَجَرْتَ رَسُولَ اللَّهِ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا عَبِيدَكَ مَا لَبَّى مُهْلٌ وَأَخْرَمَا
فَلَوْ سُئِلْتُ عَنْهُ مَعْدٌ بِأَسْرِهَا وَقَحْطَانُ أَوْ بَاقِي بَقِيَّةِ جُرْهُمَا
لَقَالُوا هُوَ الْمُوفِي بِخُفْرَةِ جَارِهِ وَذِمَّتِهِ يَوْمًا إِذَا مَا تَدَمَّمَا
فَمَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ فَوْقَهُمْ عَلَى مِثْلِهِ فِيهِمْ أَعَزَّ وَأَعْظَمَا
وَأَبَى إِذَا يَأْبَى وَالْيَنَ شِيمَةً وَأَنْوَمَ عَن جَارٍ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا

وقال يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة - رضي الله عنها - : [الطويل]

حَصَانُ رَزَانُ مَا تُزَنُّ بِرِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ
عَقِيلَةُ حَيٍّ مِّنْ لُّوَيِّ بْنِ غَالِبٍ كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ
مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سَوْءٍ وَبَاطِلِ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُمْ فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَا مِلِّي
وَكَيْفَ وَوُدِّي مَا حَيْثُ وَنُصْرَتِي لِأَلِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنِ الْمَحَافِلِ
لَهُ رَتَبٌ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ تُقْصَرُ عَنْهُ سُورَةُ الْمُتَطَاوِلِ

فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَاطِيطٍ وَلَكِنَّهُ قَوْلُ امْرِئٍ بِي مَاحِلٍ
وهذه الأبيات تذكّر بأبيات جميلة قالها ابن بهيج الأندلسي على لسان عائشة - رضي الله عنها -

قال:

[الكامل]

مَا شَأْنُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَشَانِي
إِنِّي أَقُولُ مُبَيِّنًا عَنْ فَضْلِهَا
يَا مُبْغِضِي لَا تَأْتِ قَبْرَ مُحَمَّدٍ
إِنِّي خُصِصْتُ عَلَى نِسَاءِ مُحَمَّدٍ
وَسَبَقْتُهُنَّ إِلَى الْفَضَائِلِ كُلِّهَا
مَرِضَ النَّبِيِّ وَمَاتَ بَيْنَ تَرَائِبِي
زَوْجِي رَسُولُ اللَّهِ لَمْ أَرْ غَيْرَهُ
وَأَتَاهُ جَبْرِيلُ الْأَمِينُ بِصُورَتِي
أَنَا بِكْرُهُ الْعَذْرَاءُ عِنْدِي سِرُّهُ
وَتَكَلَّمَ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِحُجَّتِي
وَاللَّهُ خَفَرَنِي وَعَظَّمْ حُرْمَتِي
وَاللَّهُ فِي الْقُرْآنِ قَدْ لَعَنَ الَّذِي
وَاللَّهُ وَبَّخَ مَنْ أَرَادَ تَنْقُصِي
إِنِّي لَمْ حَصَنَةُ الْإِزَارِ بَرِيئَةٌ

ويقول فيها:

وَيْلٌ لِّلْعَبْدِ خَانَ آلَ مُحَمَّدٍ
طُوبَى لِمَنْ وَالَى جَمَاعَةَ صَحْبِهِ

ويقول فيها:

جَمَعَ الْإِلَٰهَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَبِي
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نُصْرَةَ عَبْدِهِ
وَاسْتَبْدَلُوا مِنْ خَوْفِهِمْ بِأَمَانٍ
مَنْ ذَا يُطِيقُ لَهُ عَلَى خِذْلَانٍ

مَنْ حَبَّيْ فَلْيَجْتَنِبْ مَنْ سَبَّي
وَإِذَا مُحِبِّي قَدْ أَلْظَ بِمُبْغِضِي
صِلْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَحِدْ
إِنِّي لَصَادِقَةُ الْمَقَالِ كَرِيمَةٍ
خُذْهَا إِلَيْكَ فَإِنَّمَا هِيَ رَوْضَةٌ
وَمِنْ شَعْرِ حَسَّانٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَوْلُهُ يُعَيِّرُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ بِفِرَارِهِ يَوْمَ بَدْرٍ وَإِسْلَامِهِ

أَخَاهُ عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ أَبَا جَهْلٍ لِلْقَتْلِ:

[الكامل]

إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثْتَنِي
تَرَكَ الْأَجْبَةَ أَنْ يُقَاتِلَ ذُوْنَهُمْ
وَاعْتَذَرَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ عَنْ فِرَارِهِ فَقَالَ:

[الكامل]

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلُ وَاحِدًا
فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَجْبَةَ فِيهِمْ
وَقَدْ سَبَقَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي تَحْسِينِ الْقَبِيحِ.

وَلَمَّا جَاءَ وَفَدَ بَنِي تَمِيمٍ وَأَنْشَدَ شَاعِرُهُمْ قَالَ حَسَّانٌ مُجِيبًا:

[البسيط]

إِنَّ الذَّوَائِبَ مِنْ فِهْرِ وَإِخْوَتِهِمْ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَجِيَّتُهُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ
سَجِيَّةٌ تِلْكَ فِيهِمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ
قَدْ بَيْنُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تَبَعُ
تَقْوَى الْإِلَهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا
أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
إِنَّ الْخَلَائِقَ فَاعِلُمْ شَرِّهَا الْبِدْعُ
فَلَمَّا فَرَّغَ حَسَّانُ قَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
لَمْؤَتَى لَهُ؛ لَخَطِيئِهِ أَخْطَبُ مِنْ خَطِينِنَا وَلَشَاعِرُهُ أَشْعَرُ مِنْ شَاعِرِنَا وَلَا أَصَوَاتُهُمْ أَعْلَى مِنْ
أَصَوَاتِنَا! ثُمَّ أَسْلَمُوا وَأَحْسَنَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَوَائِزَهُمْ.

ومن أشهر شعره - رضي الله عنه - قوله يوم فتح مكة:

[الوافر]

عَفَتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ
دِيَارُ مَنْ بَنَى الْحَسْحَاسِ قَفْرُ
إِلَى أَنْ قَالَ:

إِلَى عَذْرَاءَ مَنْزِلَهَا خَلَاءُ
تُعْقِيهَا الرِّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا
يُبَارِينِ الْأَسِنَّةَ مُضْعِدَاتٍ
نَظْلُ جِيَادِنَا مُتَمَطِّراتٍ
فَمَا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا
وَالْأَفَاصِبُ وَالْجِلَادِ يَوْمٍ
وَجَبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَدِّقُوهُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِّنْ مَّعَدٍّ
فَنُحَكِّمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا
أَلَا أَبْلَغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي
بِأَنْ سُوْفَنَا تَرَكْتُكَ عَبْدًا
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكُفٍّ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي
لِسَانِي صَارَ لَمْ لَا عَيْبَ فِيهِ

تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ
عَلَى أَكْتَاغِهَا الْأَسْلُ الظَّمَاءُ
تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النِّسَاءُ
وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغَطَاءُ
يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
يَقُولُ الْحَقُّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ
فَقُلْتُمْ لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ
هُمُ الْأَنْصَارُ عَرْضَتِهَا اللَّقَاءُ
سَبَابُ أَوْ قِتَالُ أَوْ هِجَاءُ
وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدَّمَاءُ
مُغْلَغَلَةً فَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ
وَعَبْدُ الدَّارِ سَادَتُهَا الْإِمَاءُ
وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ
فَشَرُّكُمْ أَلْخَيْرُكُمْ أَلْفِدَاءُ
لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِّنْكُمْ وَقَاءُ
وَبَخْرِي لَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ

- ومن أولئك: كعب بن مالك - رضي الله عنه - أحد شعراء النبي - صلى الله عليه وسلم -
الثلاثة: وهم حسان وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك - رضي الله عنهم -.

كما قال السيوطي: [الرجز]

وَشُعْرَاءُ الْمُصْطَفَى ذُوو الشَّانِ ابْنُ رَوَاحَةَ وَكَعْبُ حَسَّانٍ
ذكر ابن سيرين أن شعراء النبي - صلى الله عليه وسلم - هم هؤلاء الثلاثة، ثم قال: فأما كعب
فكان يذكر الحرب؛ يقول: فعلنا ونفعل ويتهددهم، وأما حسان فكان يذكر عيوبهم وأيامهم،
وأما عبدالله بن رواحة فكان يُعَيِّرُهُم بالكفر وكان قوله يومئذ أهون القولِ عليهم وكان قولُ
حسان وكعب أشدَّ القولِ عليهم، فلما أسلموا وفقهوا كان أشدَّ القولِ عليهم قولُ عبدالله بن
رواحه.

قال ابن سيرين: وقد أسلمت دوس فرقا من بيت قاله كعب بعد حنين، قال: [الوافر]

قَضَيْنَا مِنْ تَهَامَةٍ كُلِّ رَيْبٍ وَخَيْبَرُ ثَمَّ أَجْمَمْنَا السُّيُوفَا
نُخَيْرُهَا وَلَوْ نَطَّقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُهُنَّ دَوْسًا أَوْ ثَقِيفَا
يعني بالبيت قوله: (نخيرها...)

فقال دوس: انطلقوا فخذوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف.

وقال - رضي الله عنه - يرثي حمزة - رضي الله عنه -: [الكامل]

وَلَقَدْ هِدْدْتُ لِفَقْدِ حَمْزَةٍ هَدَّةً ظَلَلَتْ بَنَاتُ الْجَوْفِ مِنْهَا تُرْعَدُ
وَلَوْ أَنَّهُ فُجِعَتْ حِرَاءُ بِمِثْلِهِ لَرَأَيْتَ رَاسِي صَخْرَهَا يَتَبَدَّدُ
قَرْمٌ تَمَكَّنَ فِي ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ حَيْثُ النُّبُوَّةُ وَالنَّدَى وَالسُّودُدُ
وَتَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ ذُو لِبْدَةٍ شَثْنُ الْبَرَاثِنِ أَرْبَدُ

وحمزة - رضي الله عنه - لما أسلم أنشد أبياتا يقول فيها: [الوافر]

حَمِدْتُ اللَّهَ حِينَ هَدَى فُرَادِي
لِدِينٍ جَاءَ مِنْ رَبِّ عَزِيزٍ
إِذَا تُتْلِيَتْ رَسَائِلُهُ عَلَيْنَا
رَسَائِلُ جَاءَ أَحْمَدُ مِنْ هُدَاهَا
وَأَحْمَدُ مُصْطَفَى فِينَا مُطَاعٌ
فَلَا وَاللَّهِ نُسَلِّمُهُ لِقَوْمٍ
وَنَتْرُكُ مِنْهُمْ قَتْلَى بِقَاعٍ
وَقَدْ خُبِرْتُ مَا صَنَعَتْ ثَقِيفٌ
إِلَهُ النَّاسِ شَرَّ جَزَاءِ قَوْمٍ

- ومن أولئك: حُبَيْب بن عَدِي رضي الله عنه لما أسرته قريش بعد حادثة بَعَثَ الرَّجِيعَ وبلغه أن القوم قد

اجتمعوا للصَّلبِ قال: [الطويل]

لَقَدْ جَمَعَ الْأَحْزَابُ حَوْلِي وَالْبُؤَا
وَكُلُّهُمْ مُبْدِي الْعَدَاوَةِ ضَاغِنٌ
وَقَدْ جَمَعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو غُرْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي
فَذَا الْعَرْشِ صَبَّرَنِي عَلَى مَا يُرَادُ بِي
وَقَدْ خَيْرُونِي الْكُفْرَ وَالْمَوْتَ دُونَهُ
وَمَا بِي حِذَارُ الْمَوْتِ إِنِّي لَمَيِّتٌ
وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ

- ومن أولئك: مُتَّمُّ بن نُؤَيْرَةَ، قال يرثي أخاه مالكا: [الطويل]

جَمِيلُ الْمُحْيَا ضَا حُكُّ عِنْدَ ضَيْفِهِ
وَقُورٌ إِذَا الْقَوْمُ الْكَرَامُ تَقَاوَلُوا
أَغْرُ جَمِيعِ الرَّأْيِ مُشْتَرِكُ الرَّحْلِ
فَحَلَّتْ حُبَاهُمْ وَاسْتَطِيرُوا مِنَ الْجَفْلِ

وَكُنْتُ إِلَى نَفْسِي أَشَدَّ حَلَاوَةً مِّنَ الْمَاءِ بِالْمَازِيِّ مِنْ عَسَلِ النَّخْلِ
وَكُلُّ أَخٍ فِي النَّاسِ بَعْدَ ابْنِ أُمِّهِ كَسَاقِطَةٍ إِحْدَى يَدَيْهِ مِنَ الْخَبْلِ
وَبَعْضُ الرِّجَالِ نَخْلَةٌ لَا جَنَى لَهَا وَلَا ظِلٌّ إِلَّا أَنْ تُعَدَّ مِنَ النَّخْلِ

ويُحكى أن عمر -رضي الله عنه- قال له: والله لوددت أني أحسن الشعر فأرثي أخي زيداً -وقد استشهد زيد بن الخطاب في اليمامة- بمثل ما رثيت به أخاك فقال له مُتمِّم: لو علمت أن أخي صار حيث صار أخوك ما رثيته، فقال عمر: ما عزاني أحد عن أخي بمثل ما عزيتني به.

والمراثي من أجود الشعر، قيل لأعرابي: ما بال المراثي أجود أشعاركم؟ فقال: لأننا نقولها وأكبادنا تحترق!

قال الشاعر: [الكامل]

لَوْ كَانَ يَذْرِي الْمَيِّتُ مَاذَا بَعْدَهُ بِالْحَيِّ مِنْهُ بَكَى لَهُ فِي قَبْرِهِ
غُصَصٌ تَكَادُ تَفِيضُ مِنْهَا نَفْسُهُ وَيَكَادُ يَخْرُجُ قَلْبُهُ مِنْ صَدْرِهِ
ويقول حنفي ناصف في شيخه وقد زار قبره بعد أربعين يوماً من وفاته: [الكامل]

لِمَ لَا تُجِيبُ وَقَدْ دَعَوْتُ مِرَارًا يَكْفِي سُكُوتُكَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا
قال السقاف في العود الهندي عن هذا البيت: لا أزال أمر بعض الحُداة بتكريره حتى نستفرغ الدمع.

وللشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله مرثية يرثي بها نفسه يقول: [الطويل]

تَسَائِلُنِي هَلْ فِي صَحَابِكَ شَاعِرٌ إِذَا مِتَّ قَالَ الشُّعْرَ وَهُوَ حَزِينٌ
فَقُلْتُ لَهَا: لَا هَمَّ لِي بَعْدَ مَوْتِي سِوَى أَنْ أَرَى أَخْرَايَ كَيْفَ تَكُونُ
وَمَا الشُّعْرُ بِالْمُغْنِي فَتِيلاً عَنِ امْرِئٍ يُلَاقِي جَزَاءً وَالْجَزَاءُ مُهِينٌ
وَأِنْ أَحْظَ بِالرُّحْمَى فَمَا لِي مِنْ هَوَى سِوَاهَا وَأَهْوَاءِ النَّفْسِ شُجُونُ
فَخَلِي فَعُولُنْ فَاعِلَاتُنْ تُقَالُ فِي أَنْاسٍ لَهُمْ فَوْقَ التُّرَابِ شُؤُونُ

وَإِنْ شِئْتَ تَأْيِينِي فَدَعُوهُ سَاجِدٌ لَهَا بَيْنَ أَحْنَاءِ الضُّلُوعِ حَيْنٌ
 وأشهر من رثى نفسه مالكُ بن الرِّيب التميمي وقد كان فاتكاً لصاً يقطع الطريق ثم إن سعيد بن
 عثمان بن عفان لقيه وهو خارج من المدينة إلى خراسان وقد ولاه معاوية بن أبي سفيان - رضي
 الله عنهما - عليها فاستصلحه وحثه على الغزو معه بدلاً من قطع الطريق فصحبه مالك إلى
 خراسان وأبلى بلاءً حسناً وعند قفولهما من خراسان أراد مالك أن يلبس خفه فإذا بأفعى في
 داخلها فلسعته فلما أحس بالموت أنشد قصيدته التي يرثي بها نفسه ويذكر توبته: [الطويل]

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَ لَيْلَةً
 فَلَيْتَ الْغَضَا لَمْ يَقْطَعْ الرُّكْبُ عَرْضَهُ
 لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الْغَضَا لَوْ دَنَا الْغَضَا
 أَلَمْ تَرْنِي بَعْتُ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى
 تَقُولُ ابْنَتِي لَمَّا رَأَتْ وَشَكَ رِحْلَتِي
 تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ
 وَأَشَقَرَ خَنْدِيدٍ يَجُرُّ عَنَانَهُ
 وَلَكِنْ بِأَطْرَافِ السُّمَيْنَةِ نِسْوَةٌ
 صَرِيحٌ عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ بِقَفْرَةٍ
 وَلَمَّا تَرَاءَتْ عِنْدَ مَرَوْ مَنِيَّتِي
 أَقُولُ لِأَصْحَابِي ارْفَعُونِي لِأَنْتِي
 فَيَا صَاحِبِي رَحْلِي دَنَا الْمَوْتُ فَأَنْزِلَا
 أَقِيمَا عَلَيَّ الْيَوْمَ أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ
 وَقَوْمًا إِذَا مَا اسْتُلِّ رُوحِي فَهَيَّا
 وَخُطَّاءَ بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَضْجَعِي
 وَلَا تَحْسُدَانِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا
 خُذَانِي فَجَرَّانِي بِرُدِّي إِلَيْكُمَا

بِجَنْبِ الْغَضَا أَرْجِي الْقِلَاصَ
 وَلَيْتَ الْغَضَا مَا شَى الرِّكَابَ لِيَالِيَا
 مَزَارٌ وَلَكِنَّ الْغَضَا لَيْسَ دَانِيَا
 وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَّانَ غَازِيَا
 سِفَارُكَ هَذَا تَارِكِي لَا أَبَالِيَا
 سِوَى السَّيْفِ وَالرُّمَحِ الرُّدَيْنِيِّ بَاكِيَا
 إِلَى الْمَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الدَّهْرُ سَاقِيَا
 عَزِيزٌ عَلَيْهِنَّ الْعَشِيَّةُ مَا بِيَا
 يُسَوُّونَ قَبْرِي حَيْثُ حُمَّ قَضَائِيَا
 وَحَلَّ بِهَا جِسْمِي وَحَانَتْ وَفَاتِيَا
 يَقْرُبُعَيْنِي أَنْ سُهِّلَ بَدَا لِيَا
 بِرَايَةِ إِنْ نِي مُقِيمٌ لِيَالِيَا
 وَلَا تُعْجَلَانِي قَدْ تَبَيَّنَ مَا بِيَا
 لِي الْقَبْرِ وَالْأَكْفَانُ ثُمَّ ابْكِيَا لِيَا
 وَرُدَّا عَلَى عَيْنِي فَضْلَ رِدَائِيَا
 مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرْضِ أَنْ تُوسِعَا
 فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْبًا قِيَادِيَا

يَقُولُونَ لَا تَبْعِدْ وَهُمْ يَدْفِنُونِي
 غَدَاةَ غَدٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ
 وَأَصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ
 وَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ
 وَبِالرَّمْلِ مِنْ نِسْوَةٍ لَوْ شَهِدَنِي
 فَمِنْهُمْ أُمِّي وَابْنَتَاهَا وَخَالَتِي
 وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا
 إِذَا أَدْلَجُوا عَنِّي وَخَلْفْتُ ثَاوِيَا
 لِعَيْرِي وَكَانَ الْمَالُ بِالْأُمْسِ مَالِيَا
 كَمَا كُنْتُ لَوْ عَالُوا نَعِيكَ بَاكِيًا
 بَكَيْنَ وَفَدَيْنَ الطَّيِّبَ الْمُدَاوِيَا
 وَبَاكِئَةً أُخْرَى تَهِيحُ الْبَوَاكِيًا

نرجع إلى متمم بن نويرة!

مُتَمَّمٌ هَذَا هُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الشَّمَقْمَقِيَّةِ بِقَوْلِهِ:

وَكُنْ مُتَمَّمًا بِكَامُتَمِّ عَلَى الذُّنُوبِ وَارْجُ عَفْوَ مُعْتِقٍ
 وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ الْمُخْتَارُ بْنُ حَامِدٍ فِي رِثَائِهِ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ عَالِيٍّ وَلَدَ عَبْدِ الْوَدُودِ: [الطويل]

وَكَانَ أَبُوكُمْ مَالِكِيٌّ وَابْنُ مَالِكِيٍّ فَلَا عُذْرَ لِي إِلَّا أَكُونَ مُتَمَّمًا
 وَكَانَ أَبُوكُمْ مَالِكِيٌّ: يَعْنِي شَيْخِي فِي الْفَقْهِ، وَابْنُ مَالِكِيٍّ: يَعْنِي شَيْخِي فِي النُّحُو.

فَلَا عُذْرَ لِي إِلَّا أَبْكِيهِ كَمَا بَكَى مُتَمَّمٌ أَخَاهُ مَالِكًا.

وَالشَّيْخُ الْمُخْتَارُ بْنُ حَامِدٍ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ بَعْدَ أَنْ عَاشَ مِئَةَ سَنَةٍ فِي مَوْرِيْتَانِيَا وَقَالَ
 أَبْيَاتًا ذَكَرَ فِيهَا أَنَّهُ أَشْبَهَ الَّذِي قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ فَهَاجَرَ إِلَى غَيْرِ قَرِيَّتِهِ يَقُولُ: [الرجز]

عُمِّرْتُ مَا يَذْكُرُ الْمُدَّكِرُ فِيهِ فَكَيْفَ كَانَ هَذَا الْعُمُرُ
 هَا هُوَ قَدْ جَاوَزَ مِليَارَاتِهِ ثَلَاثَةً إِنْ تُحْصَى ثَانِيَاتُهُ
 خَمْسُونَ مِليُونًا مِنَ الدَّقَائِقِ عَصَيْتُ فِيهَا خَالِقِي وَرَازِقِي
 تَلَطَّخْتُ فِيهَا ثَمَانُ مِئَةٍ أَلْفٍ مِنَ السَّاعَاتِ بِالْخَطِيئَةِ
 فِي نَحْوِ أَرْبَعِينَ أَلْفَ يَوْمٍ مَا بَرَأْتُ مِنْ رِيَّةٍ وَلَوْمْ
 أَلْفٌ وَخَمْسُ أَلْفٍ مِنْ شُهُورٍ مَا سَلِمْتُ مِنْ عَمَلٍ مَحْظُورٍ

فَكُنْتُ فِي قَرْنٍ مِّنَ الزَّمَانِ طَوَّعَ الْهَوَى وَالنَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ
مَا كَأَبِي كُنْتُ وَلَا كَأُمِّي وَلَا أَخِي وَمَنْ نَمَى وَعَمَّى
وَلَا ذَوِيهِمْ عَسَى يَهْدِينِي لِلْبِرِّ رَبِّي وَصَلَحِ الدِّينِ
كَمَا هَدَى فِي الزَّمَنِ الَّذِي خَلَا ذَاكَ الَّذِي مِئَةَ نَفْسٍ قَتَلَا
لَا تَنِي كَمَا مَشَى مَشَيْتُ عَنِ الْقُرَى الَّتِي بِهَا عَصَيْتُ
مُجَاوِرًا بِطَيِّبَةِ الْمُطَهَّرَةِ أَكْرَمَ خَلْقِ رَبَّنَا وَأَطْهَرَهُ

- ومن أولئك: أبو سفيان بن الحارث، قال يبكي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: [الوافر]

أَرَقْتُ فَبَاتَ لَيْلِي لَا يَزُولُ وَلَيْلُ أَخِي الْمُصِيبَةِ فِيهِ طُولُ
وَأَسْعَدَنِي الْبُكَاءُ وَذَاكَ فِيَمَا أَصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ قَلِيلُ
لَقَدْ عَظُمْتَ مُصِيبَتُنَا وَجَلَّتْ عَشِيَّةٌ قِيلَ قَدْ فُقِدَ الرَّسُولُ
وَأَضَحَّتْ أَرْضُنَا مِمَّا عَرَاهَا تَكَادُ بَنَا جَوَانِبُهَا تَمِيلُ
فَقَدْنَا الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ فِينَا يَرُوحُ بِهِ وَيَغْدُو جَبْرَيْلُ
وَذَاكَ أَحَقُّ مَا سَأَلْتَ عَلَيْهِ نُفُوسُ النَّاسِ أَوْ كَرَبْتَ تَسِيلُ
نَبِيِّ كَانِ يَجْلُو الشَّكَّ عَنَّا بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَا يَقُولُ
وَيَهْدِينَا فَلَا نَخْشَى ضَلَالًا عَلَيْنَا وَالرَّسُولُ لَنَا دَلِيلُ
أَفَاطِمُ إِن جَزَعْتَ فَذَاكَ عُذْرُ وَإِنْ لَمْ تَجْزَعِي ذَاكَ السَّبِيلُ
فَقَبْرُ أَبِيكَ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرِ وَفِيهِ سَيِّدُ النَّاسِ الرَّسُولُ

يقال: خرج عمر رضي الله عنه ليلة في زمن خلافته يحرس فرأى مصباحاً في بيت عجوز تنفّس صوفاً

وتقول:

[السريع]

عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَاةُ الْأَبْرَارِ
صَلَّى عَلَيْهِ الطَّيِّبُونَ الْأَخْيَارُ
قَدْ كُنْتَ قَوَّامًا بُكَاءً بِالْأَسْحَارِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمَنَايَا أَطْوَارِ

هَلْ تَجْمَعُنِّي وَحَبِيبِي الدَّارُ

فقال عمر رضي الله عنه: أدخليني معكما. فقالت: وَعُمَرُ فَاغْفِرْ لَهُ يَا غَفَّارُ

- ومن أولئك: عمرو بن سالم الخزاعي.

لَمَّا أَعَانَتْ قَرِيشُ بَنِي بَكْرٍ عَلَى خُرَاعَةِ خُرَاجِ عَمْرِو بْنِ سَالِمٍ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

[مشطور الرجز]

فلما وقف بين يديه قال:

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا
حَلَفَ أَيْنَا وَأَيْهِ الْأَتْلَدَا
قَدْ كُنْتُمْ وُلَدًا وَكُنَّا وَالِدَا
ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا وَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا
فَانْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَيَّدَا
وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا
أَبْيَضَ مِثْلَ الْبَدْرِ يَسْمُو صُغْدَا
فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبَدَا
إِنْ سِيمَ خَسْفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا
إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُواكَ الْمَوْعِدَا
وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رَصْدَا
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا
وَهُمْ أَذِلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا
هُمْ يَبْتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا
وَقَتَّلُونَا رُكْعًا وَسُجَّدَا

فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ» وكان من أثر ذلك فتح مكة.

- وممن قال الشعر من الصحابة: عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما -، ومما يُنسب إليه: أنه قال في ابنه سالم - وكان شديد المحبة له وكان يُقبِّله ويقول: شيخٌ يُقبَّل شيخًا - قال: [الطويل]

يَلُومُونَنِي فِي سَالِمٍ وَاللَّوْمُهُمْ وَجِلْدَةٌ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ
العجيب أن الجوهري صاحب الصحاح قال: ويقال للجلدة التي بين العين والأنف سالم!
ونبّه على هذا الغلط في القاموس.

ومن الأخبار الطريفة: أن عبدالملك بن مروان كتب إلى الحجاج: أنت عندي كسالم، والسلام، فحار الحجاج وكتب إلى قتيبة يسأله فأخبره بخبر عبدالله بن عمر مع ابنه.

وقريب من هذا الغلط الذي في صحاح الجوهري ما وقع لابن سيده في المُحَكَّم، فإنه لما ذكر الجمار قال: وهي التي ترمى بعرفة!

قال الحافظ في لسان الميزان بعد أن نقل ما قاله ابن سيده في المحكم: والغلط في هذا يُعَذَّر لكونه لم يكن فقيهاً ولم يحج، ولا يلزم من ذلك أن يكون غلط في اللغة التي هي فته.

- ومن رجز السيرة: قول الطفيل بن عمرو السدوسي، وقد بعثه النبي - صلى الله عليه وسلم - لصنم يقال له ذو الكفين ليهدمه:

يَا ذَا الْكَفَيْنِ لَسْتُ مِنْ عِبَادِكَ
مِيْلَادُنَا أَقْدَمُ مِنْ مِيْلَادِكَ
إِنِّي حَشَوْتُ النَّارَ فِي فُؤَادِكَ
(الكفين) أراد (الكفين) بالتشديد فخفف للضرورة.

ومن ذلك قول خالد بن الوليد وهو يهدم العُزَّى:

يَا عَزَّ كُفْرَانِكَ لَا سُبْحَانَكَ
إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ

ومن ذلك قول عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح في خبر بعث الرجيع قال:

مَا عَلَّيْ وَأَنَا جَلْدُ نَابِلٍ
وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرُّ عُنَابِلٍ
تَزِلُّ عَنْ صَفْحَتِهَا الْمَعَابِلُ
الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلٌ
وَكُلُّ مَا حَمَّ إِلَيْهِ نَازِلٌ
بِالْمَرْءِ وَالْمَرْءُ إِلَيْهِ آئِلٌ
إِنْ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ فَأُمِّي هَابِلٌ

ومن ذلك ما قاله مَرْحَبٌ لما برز في خيبر قال:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أَنْي مَرْحَبُ
شَاكِي السَّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فخرج إليه عامر بن الأكوع، وهو يقول:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أَنْي عَامِرُ
شَاكِي السَّلَاحِ بَطَلٌ مُغَامِرُ

ثم خرج إليه علي بن أبي طالب وهو يقول:

أَنَا الَّذِي سَمَّيْنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ
كَلَيْثُ غَابَاتِ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهُ
أَوْفِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهُ

وقد سبق إنشادها عند الكلام عن شعر علي - رضي الله عنه -.

وهنا كثيرًا ما يقال: أنا الذي سَمَّني، بإثبات الياء، وهذا مما تتابع الناس عليه، وهو بهذا غير
موزون، والصواب أن يقال: أنا الذي سَمَّني أُمِّي حَيْدَرَهُ - بكسرة فقط - وله نظائر منها الأبيات
المشهورة:

[الكامل]

الْعِلْمُ صَيْدٌ وَالْكِتَابَةُ فَيْدُهُ قَيْدٌ صُيُودُكَ بِالْجِبَالِ الْوَائِقَةِ
فَمَنْ الْحَمَاقَةُ أَنْ تَصِيدَ غَزَالَةً وَتَتْرُكَهَا بَيْنَ الْخَلَائِقِ طَالِقَةً
وروي الشطر الأخير من البيتين: وَتَفُكُّهَا بَيْنَ الْخَلَائِقِ طَالِقَةً، وبهذا يستقيم الوزن.
وأيضًا قولهم: يَا طَالِبًا خُذْ فَايِدَهُ مَا بَعْدَ إِذَا زَائِدَهُ

[الرجز]

وهذا ليس بشعر وإنما البيت:

يَا طَالِبًا خُذْ فَايِدَهُ بَعْدَ إِذَا مَا زَائِدَهُ
ومن أولئك: عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - وفي أخبار السيرة أن رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - حين دخل مكة في عمرة القضاء دخلها وعبد الله بن رواحة أخذ بخطام ناقته
يقول:

خَلُّوا بَيْنِي الْكُفَّارَ عَنْ سَبِيلِهِ
الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَمَّ عَنْ مَقِيلِهِ
وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

وقال أيضا في مؤتة:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّ
لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتُكْرَهَنَّ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّثَّةَ
مَالِي أَرَاكِ تَكْرَهِيَنَّ الْجَنَّةَ

قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً
هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُظْفَةٌ فِي شَنَّةٍ

وقال أيضا - وكان قد أصيب قبله زيد بن حارثة ثم جعفر -:

يَا نَفْسُ إِلَّا تُقْتَلِي تَمُوتِي
هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَيْتِ
وَمَا تَمَنَّيْتُ فَقَدْ أُعْطِيتِ
إِنْ تَفْعَلِي فَعَلَهُمَا هُدَيْتِ

وقبله جعفر الذي أخذ اللواء بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى قُتل وهو يقول:

يَا حَبَّذَا الْجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا
طَيِّبَةٌ وَبَارِدُ شَرَابُهَا
وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا
كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا
عَلَيَّ إِذْ لَا قِيَّتُهَا ضِرَابُهَا

قال في الشمقمقية:

وَإِنْ حَمَلْتَ رَايَةَ الْأَمْرِ فَكُنْ كَجَعْفَرٍ أَوْ دَعِ وَلَا تَسْتَبِقِ
قَدْ قُطِعَتْ يَدَاهُ يَوْمَ مَوْتِهِ فَلَمْ يَدْعُهَا لِكَمِّي سَوْحِقِ
لَكِنَّهُ اخْتَضَنَهَا حُبًّا لَهَا فَيَا لَهُ مِنْ سَيِّدٍ مُوَفَّقِ

ومن ذلك أبيات حماس بن قيس في فتح مكة وكان في صف قريش وخرج يتعرض لجيش المسلمين فقالت له زوجته: والله ما أراه يقول لهم شيء فقال لها: والله إني لأرجو أن أخدمك بعضهم، ثم قال:

إِنْ يُقْبَلُوا الْيَوْمَ فَمَالِي عَلَيْهِ

هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَّهُ
وَذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّةِ

لكنه ما أسرع ما انهزم وفرّ راجعاً إلى بيته وقال لامرأته: أغلقي عليّ بابي. قالت: فأين ما كنت تقول! فقال:

إِنَّكَ لَوْ شَهِدْتَ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ
إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِكْرَمَةُ
وَأَبُو يَزِيدَ قَائِمٌ كَالْمُوتِمَةِ
وَاسْتَقْبَلْتَنَا بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمُجُمَةٍ
ضَرْبًا فَلَا يُسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَةٌ
لَهُمْ نَهْيٌ خَلْفَنَا وَهَمْهُمْ
لَمْ تَنْطِقِي فِي اللَّوْمِ أَذْنَى كَلِمَةٍ!

- ومن بعدهم الحطيئة وكان كثير الهجاء حتى إنه هجا أباه وأمه، وخاله وعمّه، وعمره ونفسه.

التمس يوماً إنساناً يهجوّه فلم يجد، فضاّق عليه ذلك، وقال:

[الطويل]

أَبَتْ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمَا بِشَرٍّ فَمَا أَذْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
وجعل يدور هذا البيت في حلقه ولا يرى إنساناً يهجوّه فاطلع في بئر فرأى وجهه فيه فاستقبّحه
وقال:

[الطويل]

أَرَى لِي وَجْهًا قَبَّحَ اللَّهُ خَلْقَهُ فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهِهِ وَقُبِّحَ حَامِلُهُ
وهو الذي مدح بني أنف الناقة فارتفعوا بعد ضعتهم، وسبق هذا في الكلام عن أن الشعر
يرفع الوضع، وفيهم أيضاً يقول:

[الطويل]

أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِابْيَكُمُ مِنْ اللَّوْمِ أَوْ سُدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا
أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبَنَى وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

وَإِنْ كَانَتْ التُّعْمَى عَلَيْهِمْ جَزَوْا بِهَا وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدُّوا
وَإِنْ قَالَ مَوْلَاهُمْ عَلَى جُلٍّ مِّنَ الدَّهْرِ رُدُّوا فَضَّلَ أَخْلَامَكُمْ رَدُّوا
مَطَاعِينَ فِي الْهَيْجَا مَكَاشِيفُ لِلدُّجَى بَنَى لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَبَنَى الْجَدُّ

وهذه الأبيات من أجمل ما قال الحطيئة، ولما هجا الزبرقان وقال: [البسيط]

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبُغْيَتِهَا وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي
شكاه الزبرقان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: أَوْمًا تبلغ مروءتي إلا أني آكل وألبس!
فقال عمر: عليّ بحسان. فجيء به فسأله عمر: هل هجاه؟ فقال: ما هجاه ولكن سلح عليه.
فأمر عمر بالحطيئة فجعل في قعر برٍّ وألقي عليه شيء فجزع جزعاً شديداً وتضرع إلى عمر
وقال شعراً يستعطفه به، حتى شفع فيه عبدالرحمن بن عوف وعمرو بن العاص فيما قيل
فأخرجه عمر فلما مثل بين يديه قال: [البسيط]

بِاسْمِ الَّذِي أَنْزَلْتَ مِنْ عِنْدِهِ السُّورُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَمَّا بَعْدُ يَا عُمَرُ
مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحِ بَذِي مَرِّخٍ زُغِبِ الْحَوَاصِلِ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرُ
أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلَمَةٍ فَاعْفِرْ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عُمَرُ
أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ أَلْقَتْ إِلَيْكَ مَقَالِيدَ النُّهَى الْبَشَرُ
مَا آثَرُوكَ بِهَا إِذْ قَدَّمُوكَ لَهَا لَكِنْ لِأَنْفُسِهِمْ كَانَتْ بِكَ الْإِثْرُ

يقال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكى لما سمع هذه الأبيات، وفي هذا يقول عمرو بن العاص: ما
أقلَّتِ الغبراء ولا أظَلَّتِ الخضراءُ أعدل من رجل يبكي على تركَةِ الحطيئة.

ثم إنَّ عمر أراد أن يُخيف الحطيئة فجعل يستشير قومه فيه ويقول - ويرفع صوته حتى يُسمع
الحطيئة - : ما أراني إلا قاطعاً لسانه، ائْتُونِي بسكين بل موسى فإنَّها أَحَدٌ، فقالوا: لا يعود يا أمير
المؤمنين. وأشاروا عليه أن قل: لا أعود، فقال: لا أعود. فأطلق سراحه.

المجلس الثالث عشر

في هذا المجلس:

• عصور الأدب:

٣/ العصر الأموي

* خبر جرير والفرزدق والأخطل مع أعرابي في مجلس أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان.

* خبر تعرض الأخطل لجرير في مجلس بشر بن مروان وإفحام جرير له.
* خبر وقوف الشعراء بباب عمر بن عبدالعزيز أياماً لا يُؤذن لهم، وإذنه بعد لجرير دون غيره.

* جواب لجرير يستحسنه أهل الأدب ويتعجبون منه، أجاب به الفرزدق وقد فاخره بمنى وهما حاجان.

* شياطين الشعر!

* خبر وقوع جرير في الفرزدق بعد موتها.

* لماذا لم يمدح عمر بن أبي ربيعة أحدًا من الخلفاء، ولم يقل شعرًا في مدح ولا هجاء ولا فخر؟

* شعر عمر بن أبي ربيعة هو الفُستق المُقَشَّر الذي لا يشبع منه، لكنه من المضمون به على غير أهله، وذكر شيء من رأيته.

* من شعر الخوارج.

* مجنون ليلي وما جنى على نفسه.

* كثير عزة والعجوز التي أفحمتها فلم يجر جوابًا.

* ذو الرمة يمدح بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري.

- خبر كتاب المُجِيدِري إلى أمّه الذي أَلْغَزَ فيه وكيف حلَّت اللُّغْز.

* خبر الصُّمَّة القشيري وأبياته التي قال عنها بعض الأدباء: لو حلف حالف بأنه ما قيل

في النسيب في الجاهلية والإسلام أحسن منها لم يحنث.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعدُ فبعدَ عصرِ صدر الإسلام عصرُ بني أمية وأبرز شعراء هذا العصر الثلاثي المشهور:
جرير والفرزدق والأخطل.

دخل أعرابي على عبد الملك بن مروان وعنده جرير والفرزدق والأخطل، فلم يعرفهم ولم
يكن قد رآهم، فقال عبد الملك للأعرابي: هل تعرف أهجى بيت قيل في الإسلام؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، قول جرير:

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَغَبًّا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابًا
قال: أحسنت، فهل تعرف أمدح بيت قيل في الإسلام؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، قول جرير:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحٍ
قال: أصبت وأحسنت، فهل تعرف أرق بيت قيل في الإسلام؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، قول جرير:

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَاهُ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا
يَصْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهَنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانَا
قال: أحسنت، فهل تعرف جريراً؟

قال: لا والله، وإني لرؤيته لمشتاق!

قال: هذا جرير وهذا الأخطل وهذا الفرزدق. فأنشأ الأعرابي يقول: [المتقارب]

فَحَيَّ الْإِلَهَ أَبَا حَزْرَةَ وَأَرْغَمَ أَنْفَكَ يَا أَخْطَلُ
وَجَدُّ الْفَرَزْدَقِ أَتْعَسَ بِهِ وَدَقَّ حَيَاشِيمَهُ الْجَنْدَلُ
فغضب الفرزدق وقال: [البسيط]

يَا أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفًا أَنْتَ حَامِلُهُ يَا ذَا الْخَنَا وَمَقَالِ الزُّورِ وَالْخَطَلِ
مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ التُّرَضَى حُكُومَتُهُ وَلَا الْأَصِيلِ وَلَا ذِي الرَّأْيِ وَالْجَدَلِ
وقام الأخطل وقال: [البسيط]

يَا شَرَّ مَنْ حَمَلَتْ سَاقٌ عَلَى قَدَمٍ مَا مِثْلُ قَوْلِكَ فِي الْأَقْوَامِ يُحْتَمَلُ
إِنَّ الْحُكُومَةَ لَيْسَتْ فِي أَبِيكَ وَلَا فِي مَعْشَرٍ أَنْتَ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ سَفَلُ
فقام جرير وقال: [البسيط]

شَتَمْتُمَا قَائِلًا بِالْحَقِّ مُهْتَدِيًا عِنْدَ الْخَلِيفَةِ وَالْأَقْوَالِ تَنْتَضِلُ
أَتَشْتُمَانِ سَفَاهًا خَيْرَكُمُ حَسَبًا فَفِيكُمَا وَالْإِلَهِي الزُّورُ وَالْخَطَلُ
شَتَمْتُمَاهُ عَلَى رَفْعِي وَوَضْعِكُمَا لَا زِلْتُمَا فِي سَفَالٍ أَيُّهَا السَّفَلُ
ثم وثب جرير وقبّل رأس الأعرابي، وقال: يا أمير المؤمنين، جائزني له. وكانت خمسة

عشر ألفاً، فقال عبد الملك: وله مني مثلها. فقبض الأعرابي ذلك كله وخرج!

ودخل يوماً جرير على بشر بن مروان وعنده الأخطل، فقال بشر لجرير: أتعرف هذا؟ فقال: ومن هذا أيها أمير؟ فقال: هذا الأخطل.

فقال الأخطل لجرير: أنا الذي شتمت عرضك، وأسهرت ليلك، وأذيت قومك.

فقال جرير: أما قولك: (شتمت عرضك) فما ضر البحر أن يشتمه من غرق فيه! وأما

قولك: (أسهرت ليلك) فلو تركتني أنام لكان خيراً لك! وأما قولك: (أذيت قومك)

فكيف تؤذي قومًا أنت تؤذي الجزية إليهم!

وكان الأخطل من نصارى العرب المتنصرة، ومن شعره قوله:

وَلَسْتُ بِصَائِمٍ رَمَضَانَ طَوْعًا وَلَسْتُ بِكَائِمٍ كَالْعَيْرِ أَذْعُو
وَلَسْتُ بِكَائِمٍ كَالْعَيْرِ أَذْعُو قُبَيْلَ الصُّبْحِ حَيَّ عَلَى الْفَلَّاحِ
وَلَكِنِّي سَاشَرُ بُهَّا شَمُولًا وَأَسْجُدُ عِنْدَ مُنْبَلَجِ الصَّبَاحِ

ولما ولي الخلافة عمر بن عبدالعزيز وفد عليه الشعراء، ومكثوا ببابه أيامًا لا يأذن لهم، ولا يلتفت إليهم، فساءهم ذلك، وهموا بالرجوع إلى بلادهم، فمر بهم رجاء بن حيوة،

فقال له جرير:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُرْخِي عِمَامَتَهُ هَذَا زَمَانُكَ فَاسْتَأْذِنْ لَنَا عُمْرًا
فدخل ولم يذكر من أمرهم شيئًا.

فمر عدي بن أرطاة، فقال له جرير:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُزْجِي مَطِيَّتَهُ هَذَا زَمَانُكَ إِنِّي قَدْ مَضَى زَمَنِي
أَبْلَغُ خَلِيفَتَنَا إِنْ كُنْتَ لَا قِيَهُ أَنِّي لَدَى الْبَابِ كَالْمَصْفُودِ فِي قَرْنِ
لَا تَنْسَ حَاجَتَنَا لَقِيَتْ مَغْفِرَةً قَدْ طَالَ مُكْنِي عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَطَنِي

فدخل وكلمه فيهم حتى قال: مَنْ بالباب؟ فقالوا: الأخطل.

قال: أليس القائل:

وَلَسْتُ بِصَائِمٍ رَمَضَانَ طَوْعًا وَلَسْتُ بِكَائِمٍ كَالْعَيْرِ أَذْعُو
وَلَسْتُ بِكَائِمٍ كَالْعَيْرِ أَذْعُو قُبَيْلَ الصُّبْحِ حَيَّ عَلَى الْفَلَّاحِ
وَلَكِنِّي سَاشَرُ بُهَّا شَمُولًا وَأَسْجُدُ عِنْدَ مُنْبَلَجِ الصَّبَاحِ

والله لا يدخل عليّ وهو كافر أبدًا!

قال: فمن بالبواب سواه؟ قال: عمر بن أبي ربيعة.

فذكر عمر بن عبدالعزيز له شعراً وقال: فلو كان عدو الله إذ فَجَرَ كتم وستر على نفسه، والله لا يدخل علي أبداً.

قال: فمن بالبواب سواه؟ قال: الفرزدق.

فذكر مثل ذلك، وقال مثل ذلك في الأَحْوص وفي جَمِيل بن مَعْمَر، حتى ذكروا جريراً، فقال: أما إنه الذي يقول:

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقَتَ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ

فإن كان لا بد فائِذَن لجرير، فأذِن له فدخل على عمر وهو يقول: [الكامل]

إِنَّ الَّذِي بَعَثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدًا جَعَلَ الْخِلَافَةَ لِلْإِمَامِ الْعَادِلِ
وَسِعَ الْخَلَائِقَ عَدْلُهُ وَوَفَاؤُهُ حَتَّى ارْعَوَى وَأَقَامَ مِيلَ الْمَائِلِ
إِنِّي لَأَرْجُو مِنْكَ خَيْرًا عَاجِلًا وَالنَّفْسُ مُوَلَّعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ

ثم أنشد قصيدة طويلة يمدحه فيها.

فقال له: ويحك يا جرير! لا أرى لك فيما هاهنا حقاً.

فقال جرير: إني مسكين وابن سبيل.

فقال عمر: إنا ولينا هذا الأمر وليس لنا إلا ثلاث مئة درهم، أخذت أم عبدالله مئة وابنها مئة وقد بقيت مئة فأمَرَ له بها.

ثم خرج جرير على الشعراء وسألوه: ما وراءك يا جرير؟

فقال: ما يسوؤكم! خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطي الفقراء ويمنع الشعراء وإني عنه لراض، ثم أنشأ يقول: [الطويل]

رَأَيْتُ رُقَى الشَّيْطَانِ لَا تَسْتَفِزُّهُ وَقَدْ كَانَ شَيْطَانِي مِنَ الْجِنِّ رَاقِيَا

ومن خبره مع الفرزدق أنهما التقيا مرة بمنى وهما حاجان، فقال الفرزدق لجريـر:
[الطويل]

فَإِنَّكَ لَاقٍ بِالْمَنَازِلِ مِنْ مَّنَى فَخَارًا، فَخَبَّرَنِي بِمَنْ أَنْتَ فَاخِرُ؟
فقال له جريـر: لبيك اللهم لبيك.

قال أبو عبيدة: فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جريـر ويتعجبون منه.
وخرجا مرة مُرْتَدِّفَيْنِ على ناقة إلى هشام بن عبد الملك فنزل جريـر وابتعد، فجعلت الناقة
تتلفت والفرزدق فوقها فضربها الفرزدق وقال:
[الوافر]

إِلَامَ تَلَفَّتَيْنِ وَأَنْتِ تَحْتِي وَخَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَمَامِي
مَتَى نَصِلِ الرُّصَافَةَ تَسْتَرِيحِي مِنَ الْأَنْسَاعِ وَالِدَبْرِ الدَّوَامِي
ثم قال: الآن يجيء جريـر فأنشده هذين البيتين فيرد عليّ:
[الوافر]

تَلَفَّتْ أَنْهَا تَحْتَ ابْنِ قَيْنٍ إِلَى الْكَيْرِينَ وَالْفَاسِ الْكَهَامِ
مَتَى تَصِلِ الرُّصَافَةَ تَخْزُ فِيهَا كَخَزِيكَ فِي الْمَوَاسِمِ كُلِّ عَامِ
فجاء جريـر والفرزدق يضحك، فقال: ما يضحكك يا أبا فراس؟ فأنشده قوله:

(إِلَامَ تَلَفَّتَيْنِ...) فقال جريـر:

تَلَفَّتْ أَنْهَا تَحْتَ ابْنِ قَيْنٍ إِلَى الْكَيْرِينَ وَالْفَاسِ الْكَهَامِ
مَتَى تَصِلِ الرُّصَافَةَ تَخْزُ فِيهَا كَخَزِيكَ فِي الْمَوَاسِمِ كُلِّ عَامِ
كما قال الفرزدق.

فقال الفرزدق: والله قد قلت هذين البيتين. فقال جريـر: أما علمت أن شيطاننا واحد!
ويقولون: إن السبب في أنه لم يغلب أحدهما الآخر أن شيطانهما واحد، فكان يعين هذا
مرة ويعين الآخر مرة!

وفي القصة التي سبقت في هجاء جرير للراعي النميري وقومه كان الفرزدق مع الراعي وقت إنشاد جرير، فذكر جرير شطربيت نتركه لإقذاعه فيه فغطى الفرزدق عنفقه فقال جرير:

كَعَفَقَةِ الْفَرَزْدَقِ حِينَ شَابَا

فانصرف الفرزدق وهو يقول: والله لقد علمت حين بدأ البيت أنه لا يقول غير هذا ولكنني طمعت ألا يأتي به فغطيت وجهي فما أغنى ذلك شيئاً.

ولما خرج جرير من عند عمر بن عبدالعزيز كما سبق قال: [الطويل]

رَأَيْتُ رُقَى الشَّيْطَانِ لَا تَسْتَفِزُّهُ وَقَدْ كَانَ شَيْطَانِي مِنَ الْجِنِّ رَاقِيَا
وقال أحد الشعراء: [الرجز]

إِنِّي وَكُلُّ شَاعِرٍ مِّنَ الْبَشَرِ شَيْطَانُهُ أَثْنَى وَشَيْطَانِي ذَكَرُ
وأخبار شياطين الشعر كثيرة، وقريب منه ما قال الخبز أُرزي - ونعوذ بالله مما قال -:

[الطويل]

وَكُنْتُ امْرَأً مِّنْ جُنْدِ إِبْلِيسَ فَارْتَقَى بِي الْحَالُ حَتَّى صَارَ إِبْلِيسُ مِنْ جُنْدِي
فَلَوْ مَاتَ قَبْلِي كُنْتُ أَحْسَنُ بَعْدَهُ طَرَائِقُ فُسُقٍ لَيْسَ يُحْسِنُهَا بَعْدِي

ومن عجيب أخبار جرير مع الفرزدق: أنه رأى رجلاً جريراً في المنام بعد موته، فقال: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي. قال: بمه؟ قال: بتكبيره كبرتها لله في البادية.

قال: فما فعل أخوك الفرزدق؟ قال: هيهات أهلكه قذف المحصنات.

قال الأصمعي: لم يدعه في الحياة ولا في الممات.

وقد قال بعضهم في تفضيل جرير على الفرزدق:

فَاقَ جَرِيرٌ فِي هَجَا فَخْرٍ بَذَخَ وَغَزَلَ مَدْحٍ تَهْكُمُ إِلَخَ!

- ومن أعلام هذا العصر عمر بن أبي ربيعة الشاعر الغزل، ليس له شعر في المدح ولا في الهجاء ولا في الفخر وإنما قصر شعره على ذكر النساء! حتى إنه لما قال له سليمان بن عبد الملك: ما لك لا تمدحنا؟ قال: إني لا أمدح الرجال، إنما أمدح النساء.

أشهر شعره رأيته التي يقول فيها:

[الطويل]

أَمِنْ آلِ نِعَمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ
بِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا
تَهَيِّمُ إِلَى نِعَمٍ فَلَا الشَّمْلُ جَامِعُ
وَلَا قُرْبُ نِعَمٍ إِنْ دَنْتَ لَكَ نَافِعُ
إِلَى أَنْ قَالَ فِيهَا:

وَلَيْلَةَ ذِي دُورَانَ جَشَمَنِي السُّرَى
فَبِتُّ رَقِيبًا لِلرَّفَاقِ عَلَى شَفَا
إِلَيْهِمْ مَتَى يَسْتَمَكِنُ النَّوْمُ مِنْهُمْ
وَبَاتَتْ قُلُوبِي بِالْعَرَاءِ وَرَحْلَهَا
وَبِتُّ أَنَا جِي النَّفْسِ أَيْنَ خَبَاؤُهَا
فَدَلَّ عَلَيْهَا الْقَلْبُ رِيًّا عَرَفْتُهَا
فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأُطِفَّتْ
وَعَابَ قَمِيرٌ كُنْتُ أَرْجُو غُيُوبَهُ
وَنَفَضْتُ عَنِّي الْعَيْنَ أَقْبَلْتُ مَشْيَةَ الْـ
فَحَيَّيْتُ إِذْ فَاجَأَتْهَا فَتَوَلَّاهُ
وَقَالَتْ وَعَصَّتْ بِالْبَنَانِ فَضَحْتَنِي
أَرَيْتَكَ إِذْ هُنَا عَلَيْكَ أَلَمْ تَخَفْ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَتَعْجِيلُ حَاجَةَ
فَقُلْتُ لَهَا بَلْ قَادَنِي الشُّوقُ وَالْهَوَى

فَقَالَتْ وَقَدْ لَانَتْ وَأَفْرَخَ رَوْعُهَا
فَأَنْتَ أَبَا الْخَطَّابِ غَيْرُ مُنَازِعٍ
فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصَرَ طَوْلُهُ
إِلَى أَنْ قَالَ:

فَلَمَّا تَقَضَّى اللَّيْلُ إِلَّا أَقْلَهُ
أَشَارَتْ بِأَنَّ الْحَيَّ قَدْ حَانَ مِنْهُمْ
فَمَارَاعَنِي إِلَّا مُنَادٍ تَرَحَّلُوا
فَلَمَّا رَأَتْ مَنْ قَدْ تَبَّهَ مِنْهُمْ
فَقُلْتُ أَبَادِيهِمْ فِيمَا أَفُوتُهُمْ
فَقَالَتْ أَتَحْقِيقًا لَمَّا قَالَ كَاشِحُ
فَإِنْ كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ فَعِيرُهُ
أَقْصُ عَلَى أُخْتِي بَدْءَ حَدِيثِنَا
لَعَلَّهُمَا أَنْ تَطْلُبَا لَكَ مَخْرَجًا
فَقَامَتْ كَتِيبًا لَيْسَ فِي وَجْهِهَا دَمٌ
وَقَالَتْ لِأُخْتَيْهَا أَعِينَا عَلَى فَتَى
فَقَامَتْ إِلَيْهَا حُرَّتَانِ عَلَيْهِمَا
فَأَقْبَلَتَا فَارْتَاعَتَا ثُمَّ قَالَتَا
فَقَالَتْ لَهَا الصُّغْرَى: سَأُعْطِيهِ مُطْرَفِي
يَقُومُ فَيَمْشِي بَيْنَنَا مُتَنَكِّرًا
فَكَانَ مِجْنَى دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقِي
وَالِى مِجْنَى هَذَا أَشَارَ فِي الشَّمَقْمَقِيَةِ بِقَوْلِهِ:

وَاتَّخِذِ الصَّبْرَ دِلًّا صَابِغًا

يقول:

كَالَكَ بِحِفْظِ رَبُّكَ الْمُتَكَبِّرُ
عَلَيَّ أَمِيرٌ مَا مَكَثْتَ مُؤَمَّرُ
وَمَا كَانَ لِيْلِي قَبْلَ ذَلِكَ يَفْصُرُ

وَكَادَتْ تَوَالِي نَجْمِهِ تَغَوَّرُ
هُبُوبٌ وَلَكِنْ مَوْعِدُكَ عَزُورُ
وَقَدْ لَاحَ مَقْتُوقٌ مِّنَ الصُّبْحِ أَشْفَرُ
وَأَيْقَازُهُمْ قَالَتْ أَشِرُ كَيْفَ تَأْمُرُ
وَأَمَّا يَنَالُ السَّيْفُ ثَارًا فَيُثَارُ
عَلَيْنَا وَتَصْدِيقًا لَمَّا كَانَ يُؤْثَرُ
مِنَ الْأَمْرِ أَدْنَى لِلْخَفَاءِ وَأَسْتَرُ
وَمَالِي مِنْ أَنْ تَعْلَمَا مُتَأَخَّرُ
وَأَنْ تَرْجُبَا صَدْرًا بِمَا كُنْتُ أَحْصَرُ
مِّنَ الْحُزْنِ تُذْهِبُ عِبْرَةً تَحْدَرُ
أَتَى زَائِرًا وَالْأَمْرُ لِلْأَمْرِ يُقْدَرُ
كِسَاءُ أَنْ مِنْ خَزٍّ دِمَقْسٌ وَأَخْضَرُ
أَقْلِي عَلَيْكَ اللَّوْمُ فَالْخَطْبُ أَيْسَرُ
وَدِرْعِي وَهَذَا الْبُرْدُ إِنْ كَانَ يَحْدَرُ
فَلَا سِرْنَا يَفْشُو وَلَا هُوَ يُبْصَرُ
ثَلَاثُ شُخُوصٍ: كَاعِبَانِ وَمُعْصِرُ

[الرجز]

وَبِمِجْنٍ عُمَرٍ لَا تَتَّقِي

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ قُلْنَ لِي أَمَا تَتَّقِي الْأَعْدَاءَ وَاللَّيْلَ مُقْمَرُ
 وَقُلْنَ أَهَذَا دَأْبُكَ الدَّهْرَ سَادِرًا أَمَا تَسْتَحِي أَوْ تَرْعَوِي أَوْ تُفَكِّرُ
 إِذَا جِئْتَ فَاْمْنَحْ طَرْفَ عَيْنِكَ غَيْرَنَا لِكِي يَحْسِبُوا أَنَّ الْهَوَى حَيْثُ تَنْظُرُ
 فَآخِرُ عَهْدٍ لِي بِهَا حَيْثُ أَعْرَضْتُ وَلَا حَ لَهَا خَدُّ نَقِيٍّ وَمَحْجَرُ
 وقد سئل حماد الراوية عن شعر ابن أبي ربيعة فقال: ذلك الفُستق المُقشَّر الذي لَا يُشْبَعُ منه.

وقد أنشد ابنُ أبي ربيعة هذه القصيدة طلحةَ بن عبد الرحمن بن عوف قصيدة، فما زال شائقاً ناقته حتى كتبت له.

وكان بعض ولد الزبير يسأل عما لا يحفظ من شعر عمر بن أبي ربيعة، فإذا ذكر له شيء كتبه ويده ترتعد من الفرح.

ولعمر قصيدة أخرى يقول فيها:

[الرمل]

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُ وَشَفْتَ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدُ
 وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُ
 زَعَمُوهَا سَأَلْتُ جَارَاتِهَا

إلى آخر ما قال.

وشعره من المضمون به على غير أهله لما فيه من الإيغال في الغزل، وقد كانت ولادة عمر بن أبي ربيعة في اليوم الذي توفي فيه عمر بن الخطاب، فكان الناس يقولون: أيُّ خيرٍ رُفِعَ وأيُّ شرٍّ وُضِعَ!

- ومن أعلام هذا العصر في الشعر: قَطْرِيُّ بن الفُجَاءة الخارجي، الذي يقول: [الوافر]

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعًا مِّنَ الْأَبْطَالِ وَيُحَاكِ لَنُ تَرَاعِي

فَأَنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا فَمَا نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعٍ
إِلَى أَنْ يَقُولَ:

وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَا عُذَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ
وكان الثَّوْرِي كثيرًا ما يتمثل بأبيات عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانِ الْخَارِجِيِّ: [الطويل]

أَرَى أَشَقِيَاءَ النَّاسِ لَا يَسْأَمُونَهَا عَلَى أَنَّهُمْ فِيهَا عُرَاةٌ وَجُوعٌ
أَرَاهَا وَإِنْ كَانَتْ تُحِبُّ فَإِنَّهَا سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ
كَرْكَبٍ قَضَوْا حَاجَاتِهِمْ وَتَرَحَّلُوا طَرِيقُهُمْ بَادِي الْعَلَامَةِ مَهْيَعُ
وقد ذكر المُبَرِّد في الكامل كثيرًا من شعر الخوارج.

- ومن أعلام هذا العصر: مجنونٌ ليليٌ قيسُ بْنُ الْمُلُوحِ له قصيدته الموسومة بالموئسة، قيل: إنه كان يحفظها دون باقي أشعاره وكان لا يخلو بنفسه إلا أنشدّها، وهي طويلة وفي رواياتها اختلاف في الترتيب والزيادة والنقص مطلعها قوله: [الطويل]

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى وَالسَّيْنِ الْخَوَالِيَا وَأَيَّامٌ لَا نَخْشَى عَلَى اللَّهِوَ نَاهِيَا
وفيها يقول:

إِذَا طَنَّتِ الْأُذُنَانِ قُلْتُ ذَكَّرْتَنِي أَوْ اخْتَلَجَتْ عَيْنِي رَجَوْتُ التَّلَاقِيَا
أُصَلِّي فَمَا أَذْري إِذَا مَا ذَكَّرْتُهَا أَثْنَيْنِ صَلَّيْتُ الضُّحَى أَمْ ثَمَانِيَا
خَلِيلِي إِنْ ضُنُّوا بِلَيْلَى فَقَرَّبَا لِي النَّعْشَ وَالْأَكْفَانَ وَاسْتَغْفِرَا لِيَا
خَلِيلِي إِلَّا تَبْكِيَا لِي أَسْتَعِنْ خَلِيلًا إِذَا أَفْنَيْتُ دَمْعِي بَكَى لِيَا
فَلَوْ أَنَّنِي أَشْكُو الَّذِي قَدْ وَجَدْتُهُ إِلَى مَيِّتٍ فِي قَبْرِهِ لَبَكَى لِيَا
وَلَوْ أَنَّنِي أَشْكُو الَّذِي قَدْ أَصَابَنِي إِلَى جَبَلٍ صَعْبٍ الذُّرَى لَأَنْحَنَى لِيَا
وَلَوْ أَنَّنِي أَشْكُو الَّذِي قَدْ أَصَابَنِي إِلَى مُقْعَدٍ فِي بَيْتِهِ لَعَدَا لِيَا
وَإِنِّي لَا أَسْتَغْشِي وَمَا بِي نَعْسَةٌ لَعَلَّ خِيَالًا مِنْكَ يَلْقَى خِيَالِيَا

وهو الذي يقول:

[البسيط]

يَا رَبِّ لَا تَسْلُبْنِي حُبَّهَا أَبَدًا وَيَرْحَمْ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ آمِينَ
ولعلمهم قالوا: آمين. فابتلي! نسأل الله العافية.

وفي مؤنسته يقول:

إِذَا سِرْتُ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاءِ رَأَيْتُنِي أَذَارِي رَحْلِي أَنْ يَمِيلَ حِيَالِي
يَمِينًا إِذَا كَانَتْ يَمِينًا وَإِنْ تَكُنْ شِمَالًا يُنَازِعُنِي الْهَوَى عَنْ شِمَالِي
أَحِبُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ اسْمَهَا وَأَشَبَّهُهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مُدَانِيَا
هِيَ السَّحَرُ إِلَّا أَنْ لِلْسَّحَرِ رُقِيَّةٌ وَإِنِّي لَا أَلْقَى لَهَا الدَّهْرَ رَاقِيَا
وهو صاحب البيت المشهور: [الطويل]

مَحَا حُبُّهَا حُبَّ الْأَلَى كُنَّ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ مَكَانًا لَمْ يَكُنْ حُلٌّ مِنْ قَبْلُ

- ومن أعلام هذا العصر: كُثِيرُ عَزَّةَ الذي يقول: [الطويل]

خَلِيلِي هَذَا رُبْعُ عَزَّةَ فَاعْقِلَا قُلُوصَيْكُمَا ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ
وَمَسَا تُرَابًا كَانَ قَدْ مَسَّ جِلْدَهَا وَبَيْتَا وَظَلًّا حَيْثُ بَاتَتْ وَظَلَّتِ
وَمَا كُنْتُ أَذْرِي قَبْلَ عَزَّةَ مَا الْبُكََا وَلَا مُوجَعَاتِ الْقَلْبِ حَتَّى تَوَلَّيْتُ
وَمَا أَنْصَفْتُ أَمَّا النِّسَاءُ فَبَغَّضْتُ إِلَيْنَا وَأَمَّا بِالنَّوَالِ فَضَنَنْتِ
وَكأن قصيدته هذه كانت حاضرة عند الإمام الشعبي فقد استشهد بها في أكثر من موضع.

قال: ما أعلم لنا وللدنيا مثلاً إلا ما قال كُثِيرُ:

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةً لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ
وَمَرَّ يَوْمًا بِقَوْمٍ فَسَمِعَهُمْ يَتَقَصُّونَهُ فَقَالَ:

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ لِعَزَّةَ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ

ودخل مرةً على ابن عم له، فخلا به في بيته، وبينهما تباعد، فجعل ابن عم الشعبي يقع فيه،
ويأخذ من عرضه، فخرج الشعبي وهو يقول:

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ لِعَزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ
فندم واعتذر إلى الشعبي وقال: يا أبا عمرو، اعذرني، فوالله لا أعود إلى مثلها.

ومن شعر كثير قوله:

[الطويل]

وَقَفْتُ عَلَى رُبْعٍ لِعَزَّةٍ نَاقَتِي وَفِي الْبُرْدِ رَشَاشٌ مِّنَ الدَّمْعِ يَسْفَحُ
فِيَا عَزُّ أَنْتِ الْبَدْرُ قَدْ حَالَ دُونَهُ رَجِيعُ التُّرَابِ وَالصَّفِيحُ الْمُضْرَحُ
وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِكَ حَيَّةً وَأَنْتِ لَعَمْرِي الْيَوْمَ أَنْأَى وَأَنْزَحُ
اعترضته عجوز مرة فقالت له: أنت القائل:

[الطويل]

فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزْنِ طَيِّبَةُ الشَّرَى يَمُجُّ النَّدى جَثَجَاثُهَا وَعَرَارُهَا
بِأَطْيَبَ مِنْ أَرْدَانٍ عَزَّةٌ مَوْهِنًا إِذَا أُوقِدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبِ نَارُهَا
ويحك! كان امرؤ القيس أحسن نعتًا لصاحبه حيث يقول:

[الطويل]

أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طَيِّبًا وَإِنْ لَمْ تَطْيَبِ
فسكت ولم يرجع بشيء.

- ومن أعلام هذا العصر: ذو الرُّمَّة غيلان، ومن أجمل شعره قوله يمدح بلال بن أبي بردة

بن أبي موسى الأشعري:

[الطويل]

وَلَكِنِّي أَقْبَلْتُ مِنْ جَانِبِي قَسًا أَزُورُ فَتًى مَحْضًا نَجِيبًا يَمَانِيَا
مِنْ آلِ أَبِي مُوسَى تَرَى النَّاسَ حَوْلَهُ كَأَنَّهُمُ الْكَرْوَانُ أَبْصَرْنَ بَازِيَا
مُرْمِينَ مِنْ لَيْثٍ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ تَفَادَى الْأَسُودُ الْغُلْبُ مِنْهُ تَفَادِيَا
فَمَا يُغْرِبُونَ الضُّحَاكَ إِلَّا تَبَسُّمًا وَلَا يَنْبِسُونَ الْقَوْلَ إِلَّا تَنَاجِيَا
لَدَى مَلِكٍ يَعْلُو الرِّجَالَ بِضَوِيهِ كَمَا يَبْهَرُ الْبَدْرُ النُّجُومَ السَّوَارِيَا

فَلَا الْفُحْشَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ وَلَا الْخَنَا عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ هَيْبَةٌ هِيَ مَا هِيََا
فَتَى السِّنِّ كَهْلَ الْحِلْمِ تَسْمَعُ قَوْلَهُ يُوَاظِنُ أَذْنَاهُ الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَا
ومن شعر ذي الرمة قوله:
[الطويل]

تَرَدَّيْتُ مِنْ أَلْوَانِ نَوْرِ كَأَنَّهَا زَرَابِيٍّ وَأَنْهَلْتُ عَلَيْكَ الرَّوَاعِدُ
هذا البيت حصلت معه قصة بعد ذلك وهي أن المُجِيدِرِي -وهو من علماء شنقيط- كان
في المغرب فأراد أن يبعث إلى أمه سِلْهَامًا -وهو نوع من اللباس كالبرنس يستعمله
الأندلسيون- وَزَرْبِيَّةً -وهي البساط- ولم يَأْتَمِنْ هذا الذي سيحمل السلهام والزربية
فكتب ورقة معه فيها: (سلام بزيادة لام ماءٍ إلى لامِهِ، وإحدى خبر كأن في قول الشاعر:
تَرَدَّيْتُ إلى آخر كلامِهِ).

فلما أعطاه الورقة لم يفهمها، فأخذ السلهام والزربية لنفسه وذهب إلى أم الشيخ وأعطاهما
الورقة، فقالت له: هاتِ السلهام والزربية!

كيف عَرَفَتْ؟

لأُمِّ ماءٍ الهاء؛ بدليل أنه يُجْمَعُ على أَمْوَاهُ، فإذا زدنا لام ماءٍ إلى لام سلام صارت سِلْهَامًا.
وإحدى خبر كأن في قوله ترديت إلى آخر كلامه: في بيت ذي الرمة، كأنها زرابي: إحدى
الزَّرَابِيَّ زَرْبِيَّةً.

القصة ذكرها بنحوها الشيخ أحمد الأمين الشنقيطي في الوسيط في تراجم أدباء شنقيط.

- ومن أعلام هذا العصر: الصَّمَّةُ القشيري وكان قد خطب بنت عمه فاشتطَّ عليه عمه في
المهر فسأل أباه أن يعينه فأبى، وسأل عشيرته فأعطوه، فأتى عمَّه بالإبل فقال له عمه: لا
أقبلها إلا من مال أبيك. وعاود أباه فمنعه، فلما رأى ذلك منهما قطع عُقْلَ الإبل وأرسلها

فعاد كل بعير إلى إلافه منها، وتَحَمَّل الصَّمَّةَ راحلاً إلى الشام فقالت بنت عمه لما رآته راحلاً: تالله ما رأيت كالיום فتى باعته عشيرته بأبيرة!

فمضى حتى لحق بالشام فقال قصيدته التي قال عنها بعض الأدباء: لو حلف حالف أنها أحسن أبيات قيلت في النسيب في الجاهلية والإسلام ما حنث.

يقول فيها:

[الطويل]

حَنَنْتَ إِلَى رِيًّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ	مَزَارَكَ مِنْ رِيًّا وَشَعْبَاكُمَا مَعَا
فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا	وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا
قِفَا وَدَّعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى	وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ تُودَّعَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبِشْرَ أَعْرَضَ دُونَنَا	وَجَالَتْ بَنَاتُ الشَّوْقِ يَحْنِنُ نَزَّعَا
بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا	عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أَسْبَلْتَا مَعَا
تَلَفَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُني	وَجِئْتُ مِنَ الْإِضْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعَا
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَنْشِئِي	عَلَى كِبْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا
وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعٍ	إِلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِكَ تَدْمَعَا

هذا آخر ما يتعلق بالعصر الأموي، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس الرابع عشر

في هذا المجلس:

• عصور الأدب:

٣ / العصر العبّاسي

* بشار بن بُرد

* بيتان لبشار وُجدا في رقعة بعد موته يهجو فيهما آل سليمان بن علي بن عبدالله بن

عباس من غير قدح في دين ولا عرض.

- أبيات في الصديق والصدّاقة.

- صحبة الأحمق وحكاية الدب.

* أبو نُواس، وتوبته قبل موته وما قال في ذلك من الشعر.

* أبو العتاهية

* أبياته في مدح المهدي التي كادت أن تطيره عن فراشه!

* أبو تمام.

* صالح بن عبدالقدوس واتّهامه بالزّندقة.

* قصيدته الزينية

* علي بن الجهم وقصته مع المتوكل.

* البُخْترى وشعره في المتوكل يذكر خروجه لصلاة عيد الفطر.

* خبر البلاذريّ مع المستعين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فكنا قد ألمنا بشيء من شعر العصر الأموي ونشرع اليوم في شعر العصر العباسي.

- من أعلام هذا العصر بشار بن برد، كان بشار شاعراً كبيراً مُفلقاً، وكان المهدي يُدنيه، ويجزل له العطايا، ثم إنه رُمي بالزندقة، فقتله المهدي، ثم ندم على قتله فأراد أن يتعلق بشيء لعله يُذهب هذا اللوم الذي يجده في نفسه، فوجد رقعة في بيت بشار مكتوباً فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، إني أردتُ أن أهجو آل سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس فذكرت قرابتهم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمنعني ذلك من هجوهم ووهبتهم له! وقد قلت بيتين لم أذكر فيهما عرْضا، ولم أقدح في دين، وهما:

دِينَارُ آلِ سُلَيْمَانَ وَدِرْهَمُهُمْ كَالْبَابِلِيِّينَ شُدًّا بِالْعَفَارِيتِ
لَا يُوجَدَانِ وَلَا يُرْجَى لِقَائُهُمَا كَمَا سَمِعْتَ بِهَارُوتَ وَمَارُوتِ
فقال المهدي: الآن والله صحَّ الندم.

ولبشار بيت يقول فيه: [الخفيف]

بَكْرًا صَاحِبِي قَبْلَ الْهَجِيرِ إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ
قال له مرّة خلف الأحمر: لو قلت يا أبا معاذ مكان (إن ذاك النجاح) (بكرًا فالنجاح) كان أحسن. فقال بشار: إنما بَنَيْتُهَا أَعْرَابِيَّةً وَحَشِيَّةً، فقلت: (إن ذاك النجاح) كما يقولها

الأعراب البدويون، ولو قلت: (بكرًا فالنجاح) كان هذا من كلام المؤلدين، فقام خلف
فقبل بين عينيه.

قيل مرة لبشار: إنك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوت! قال: وما ذاك؟ قالوا: بينما أنت
تثير النقع وتخلع القلوب إذ تقول:

[الطويل]

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضْبَةً مُّضَرِيَّةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ تُمَطِّرُ الدَّمَ
نراك تقول:

[مجزوء الوافر]

رَبَابَةٌ رَبَّاتُ الْبَيْتِ تَصُبُّ الْخَلَّ فِي الزَّيْتِ
لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ وَدِيكَ حَسَنُ الصَّوْتِ
فقال بشار: لكل وجه وموضع، فربابة جاريتي، لها عشر دجاجات وديك، تجمع لي
البيض وأنا لا أكل البيض من السوق، وهذا القول أحسن عندها من:

[الطويل]

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ

من جميل شعره قوله:

[الطويل]

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ
وقريب من هذا قول النابغة الذبياني:

[الطويل]

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ
وقال آخر:

[مجزوء الكامل]

لَا يُزْهِدَنَّكَ فِيَّ أَخٍ لَكَ أَنْ تَرَاهُ زَلَّ زَلُّهُ
مَا مِنْ أَخٍ لَكَ لَا يَعَا بُ وَلَوْ حَرَصْتَ الْحِرْصَ كُلَّهُ

وقريب منه قول الآخر:

[مجزوء الرجز]

عَاتِبْ أَخَاكَ الْجَانِي بِالْبُرِّ وَالْإِحْسَانِ
حَافِظْ عَلَى الصَّدِيقِ فِي الْوُسْعِ وَالْمَضِيقِ
فَهُمْ نَسِيمُ الرُّوحِ وَمَزْهَمُ الْجُرُوحِ
هذه الأبيات الثلاثة من عشرة الإخوان، وفيها في التحذير من صحبة الأحمق حكاية الدُّبِّ

يقول فيها:

رَوَى أَوْلُو الْأَخْبَارِ عَنْ رَجُلٍ سَيَّارٍ
أَبْصَرَ فِي صَحْرَاءٍ فِسِيحَةَ الْأَرْجَاءِ
دُبًّا عَظِيمًا مُوثَقًا فِي سَرْحَةٍ مُعَلَّقَا
يَعْوِي عُوَاءَ الْكَلْبِ مِنْ شِدَّةٍ وَكَرْبٍ
فَأَذْرَكَتْهُ الشَّفَقَةُ عَلَيْهِ حَتَّى أَطْلَقَتْهُ
وَحَلَّتْهُ مِنْ قَيْدِهِ لِأَمْنِهِ مِنْ كَيْدِهِ
وَنَامَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ مَنَامَ مَنْ قَدْ أَضْجَرَهُ
طُوبُ الطَّرِيقِ وَالسَّفَرِ فَتَنَامَ مِنْ فَرْطِ الضَّجَرِ
فَجَاءَ ذَاكَ الدُّبُّ عَنْ وَجْهِهِ يَدْبُ
وَقَالَ هَذَا الْخَلُّ جَفَّاهُ لَا يَجِلُّ
أَنْقَذَنِي مِنْ أَسْرِي وَفَكَ قَيْدَ عُسْرِي
فَحَقَّقْتُ أَنْ أَرْضُودَهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ قَصَدَهُ
فَأَقْبَلْتُ دُبَابَهُ تَرِنُ كَالرَّبَابَةِ
فَوَقَعْتُ لِحَيْنِهِ عَلَى شِفَارِ عَيْنِهِ
فَجَاشَ غَيْظُ الدُّبِّ وَقَالَ لَا وَرَبِّي
لَا أَدْعُ الْوَدْبَابَا يُسِيمُهُ عَذَابَا
فَأَسْرَعَ الدَّبِيَا لِصَخْرَةٍ قَرِيبَا

فَقَلَّهَـا وَأَقْبَلَا	يَسْعَى إِلَيْهِ عَجَلَا
حَتَّى إِذَا خَازَاهُ	صَكَ بِهَا مَخْذَاهُ
لِيقْتُلَ الذُّبَابَـهُ	قَتَلَا بِلَا إِرَابَـهُ
فَرَضَ مِنْهُ الرَّاسَا	وَفَرَّقَ الْأَصْرَاسَا
وَأَهْلَكَ الْخَلِيلَا	بِفِعْلِـهِ الْجَمِيلَا
فَهَـذِهِ الرُّوَايَـهُ	تَنْهَى عَنِ الْغَوَايَـهُ
فِي طَلَبِ الصَّدَاقَـهُ	عِنْدَ أُولَى الْحَمَاقَـهُ
إِذْ كَانَ فِعْلَ الدُّبِّ	هَذَا لِفَرْطِ الْحُبِّ
وَجَاءَ فِي الصَّحِيحِ	نَقْلًا عَنِ الْمَسِيحِ
عَالَجْتُ كُلَّ أَكْمَـهُ	وَأَبْرَصِ مُشَوَّـهُ
لَكِنِّي لَمْ أُطِـقْ	قَطُّ عِلَاجَ الْأَحْمَقِ

ومن جميل ما قيل في الصديق قول سعدي الشيرازي: [الرمل]

قَالَ لِي الْمَحْبُوبُ لَمَّا زُرْتُهُ	مَنْ بِيَابِي قُلْتُ بِالْبَابِ أَنَا
قَالَ لِي أَخْطَأْتُ تَعْرِيفَ الْهُوَى	حِينَمَا فَرَّقْتَ فِيهِ بَيْنَنَا
وَمَضَى عَامٌ فَلَمَّا جِئْتُهُ	أَطْرُقُ الْبَابَ عَلَيْهِ مَوْهِنَا
قَالَ لِي مَنْ أَنْتَ قُلْتُ انْظُرْ فَمَا	ثُمَّ إِلَّا أَنْتَ بِالْبَابِ هُنَا
قَالَ لِي أَحْسَنْتَ تَعْرِيفَ الْهُوَى	وَعَرَفْتَ الْحُبَّ فَادْخُلْ يَا أَنَا

وله أيضًا:

بَكَتْ عَيْنِي غَدَاةَ الْبَيْنِ دَمْعَا	وَأُخْرَى بِالْبُكََا بَخِلَتْ عَلَيْنَا
فَعَاقَبْتُ اللَّيَّ بِالْدمْعِ ضَنْتُ	بِأَنْ أَعْمَضْتُهَا يَوْمَ التَّقِينَا

ومن جميل ما قيل في الصديق قول زياد الأعجم: [الوافر]

أَخْ لَكَ لَا تَرَاهُ الدَّهْرُ إِلَّا	عَلَى الْعِلَاتِ بَسَامًا جَوَادَا
سَأَلْنَاهُ الْجَزِيلَ فَمَا تَلَكَّا	وَأَعْطَى فَوْقَ مُنْتِنَا وَزَادَا

فَاعْطَى ثُمَّ أَعْطَى ثُمَّ عُدْتُ لَهُ فَعَادَا فَاعْطَى ثُمَّ أَعْطَى ثُمَّ عُدْنَا
مِرَارًا لَا أَعُودُ إِلَيْهِ إِلَّا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا وَثَنَى الْوِسَادَا
وقال آخر: [الطويل]

وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّي أَحْنُ إِلَيْهِمْ وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ أَرَى وَهُمْ مَعِي
وَتَطْلُبُهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا وَيَشْتَاقُهُمْ قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْلَعِي
- ومن أعلام هذا العصر: أبو نُوَاس واسمه الحسن بن هانئ، وقد أوفى على الغاية في متانة
الأسلوب وسلاسة النظم ولكن له أشعار بِشْعَة شنيعة، كما يقول ابن كثير رحمه الله تعالى
في البداية والنهاية: فيه مُجُونٌ وَخَلَاعَةٌ كَثِيرَةٌ.

وهو وَصَّافٌ لِلخمر، يقول: [البيسط]

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ وَدَاوِنِي بِالتِّي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ
والخمر من أسمائها القهوة، يقول: [الخفيف]

فَهَوَةٌ تَتْرُكُ الصَّحِيحَ سَقِيمًا وَتُعِيرُ السَّقِيمَ ثَوْبَ الصَّحِيحِ
ومن اللطيف ما حصل من تصحيف في أبيات لمنصور الفقيه يقول فيها: [مجزوء الكامل]

لَيْسَ الْأَدِيبُ أَخَا الرَّوَا يَتِي لِلنَّوَادِرِ وَالْغَرِيبِ
وَلِشَعْرِ شَيْخِ الْمُحَدِّثِ — — نَ أَبِي نُوَاسٍ أَوْ حَيْبِ
بَلْ ذُو التَّقْضُلِ وَالْمُرُو ءَةِ وَالْعَقَافِ هُوَ الْأَدِيبِ

صحفها بعضهم فقال: شيخ المُحَدِّثِينَ أَبِي نَوَاسٍ أَوْ حَيْبٍ!

من أخباره: أنه خرج مرة فاستقبله أعرابي ومعه غنم، فقال أبو نواس: [الطويل]

أَيَا صَاحِبِ الدَّوْدِ اللَّوَاتِي تَسُوقُهَا بِكُمْ ذَلِكَ الْكَبْشُ الَّذِي قَدْ تَقَدَّمَ
فقال الأعرابي:

أَبِيعْكَهُ إِنْ كُنْتَ تَبْغِي شِرَاءَهُ وَلَمْ تَكُ مَزَاحًا بِعِشْرِينَ دِرْهَمًا

فقال أبو نواس:

أَخَذْتُ هَذَاكَ اللَّهُ رُجَعَى جَوَابِنَا فَأَحْسِنَ إِلَيْنَا إِنْ أَرَدْتَ تَكْرُمَا

فقال الأعرابي:

أَحْطُ مِنَ الْعِشْرِينَ خَمْسًا لِأَنْبِي أَرَاكَ ظَرِيفًا أَخْرَجْنَهَا مُسَلِّمًا

فقيل للأعرابي بعد ذلك: أتدري من تكلم منذ اليوم؟ هذا أبو نواس، فرجع فلحقه وحلف بصدقة غنمه إن لم يقبله.

ومما ذكر من أخباره -والله أعلم بصحته-: أنه دخل مرة على بعض أصحابه وشكا إليهم أن صاحبًا له جفاه، فقال أحدهم مداعبًا له: هلا استعنت بشيخك؟ قال: ومن؟ قال: الذي أنت في طاعته ليلك ونهارك إبليس! إن لم يقض لك هذه الحاجة فما ينبغي لك أن تُقرَّ عينه بمعصية! فلما كان بعد أيام اجتمعوا، فأخبرهم أن شيخه قد قضى حاجته، قالوا: وكيف ذاك؟ قال: اسمعوا:

[المنسرح]

لَمَّا جَفَانِي الْحَبِيبُ وَامْتَنَعْتُ	عَنِّي الرَّسَالَاتُ مِنْهُ وَالْخَبَرُ
وَاشْتَدَّ شَوْقِي فَكَادَ يَقْتُلْنِي	ذِكْرُ حَبِيبِي وَالْهَمُّ وَالْفِكْرُ
دَعَوْتُ إِبْلِيسَ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ	فِي خَلْوَةٍ وَالْذُّمُّوعُ تَنْحَدِرُ
أَمَا تَرَى كَيْفَ قَدْ بُلِيتُ وَقَدْ	أَقْرَحَ جَفْنِي الْبُكَاءُ وَالسَّهَرُ
إِنْ أَنْتَ لَمْ تُلْقِ لِي الْمَوَدَّةَ فِي	صَدْرِ حَبِيبِي وَأَنْتَ مُقْتَدِرُ
لَا قُلْتُ شِعْرًا وَلَا سَمِعْتُ غِنَا	وَلَا جَرَى فِي مَفَاصِلِي السَّكْرُ
وَلَا أَزَالُ الْقُرْآنَ أَدْرُسُهُ	أَزُوحُ فِي دَرْسِهِ وَأَبْتَكِرُ
وَأَلْزَمُ الصَّوْمَ وَالصَّلَاةَ وَلَا	أَزَالُ دَهْرِي بِالْخَيْرِ آتِمُرُ
فَمَا مَضَتْ بَعْدَ ذَلِكَ ثَالِثَةٌ	حَتَّى أَتَانِي الْحَبِيبُ يَعْتَذِرُ
وَيَطْلُبُ الْوُدَّ وَالْوَصَالَ عَلَى	أَفْضَلِ مَا كَانَ قَبْلَ يَهْتَجِرُ
فِي آلِهَاتِهَا مَنَّةً لَقَدْ عَظُمَتْ	عِنْدِي لِإِبْلِيسَ مَا لَهَا خَطَرُ

وقد ذكروا في ترجمته أنه تاب في آخر عمره، وقال:

[الكامل]

يَا رَبِّ إِنَّ عَظُمْتَ ذُنُوبِي كَثَرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَبِمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمُجْرِمُ
أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا فَلَمَّ رَدَدْتَ يَدَيَّ فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا وَجَمِيلُ عَفْوَكَ ثُمَّ أَنِّي مُسْلِمٌ
وقال أيضًا:

[الطويل]

تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ بِعَفْوَكَ رَبِّي كَانَ عَفْوَكَ أَعْظَمَا
فَمَا زِلْتُ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ تَجُودُ وَتَعْفُو مِنِّي وَتَكْرُمَا
وقد رآه بعض أصحابه في المنام فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بأبيات قلتها في
النجس - ذكر في المصباح أن كسر النون أقيس من الفتح، وكلاهما جائز - هي قوله:
[الوافر]

تَأَمَّلْ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ وَانْظُرْ إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِكُ
عُيُونٌ مِّنْ لُّجَيْنٍ شَاخِصَاتٍ بِأَحْدَاقِ هِيَ الذَّهَبُ السَّيِّكُ
عَلَى قُضْبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ
- ومن أعلام هذا العصر أبو العتاهية، وقد كان أبو نؤاس يُعَظِّمُهُ، ويقول: والله ما رأيته إلا
تَوَهَّمتُ أنه سَماويٌّ وأني أَرْضِي!

[مجزوء الرمل]

له زهديات كثيرة منها قوله:

خَانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْجَمُوحُ
لِدَوَاعِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ رِدْءُؤُ وَنُزُوحُ
هَلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ تَوْبَةٌ مِنْهُ نَصُوحُ
كُنَّا فِي غَفْلَةٍ وَالْـ مَوْتُ يَغْدُو وَيَرُوحُ
لِبَنِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْـ يَا غَبُوقَ وَصَبُوحُ

ومنها قوله:

[الكامل]

أَهْلَ الْقُبُورِ عَلَيْكُمْ مِنْ نَبِيِّ السَّلَامِ
لَا تَحْسِبُوا أَنَّ الْأَحْبَةَ لَمْ يَسْغِ
كَأَلَّا لَقَدْ رَفَضُوكُمْ وَاسْتَبَدَّلُوا
وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ كَذَاكَ فَكُلُّ مَنْ
سَاءَلْتُ أَجْدَاتِ الْمُلُوكِ فَأَخْبَرْتِ
لَمْ يَبْقَ مِنْ أَجْسَادِهِمْ تِلْكَ الَّتِي
لِلَّهِ مَا وَارَى التُّرَابُ مِنَ الْأُلَى
لِلَّهِ مَا وَارَى التُّرَابُ مِنَ الْأُلَى
أَفْنَاهُمْ مَنْ لَمْ يَزَلْ يُفْنِي الْمُلُو
يَا صَاحِبِي نَسِيتُ دَارَ إِقَامَتِي
مَا نِلْتُ مِنْهَا لَذَّةً إِلَّا وَقَدْ
إِنِّي أَكَلْتُكُمْ وَلَيْسَ بِكُمْ كَلَامٌ
مِنْ بَعْدِكُمْ لَهُمُ الشَّرَابُ وَلَا الطَّعَامُ
بِكُمْ وَفَرَّقَ ذَاتَ بَيْنِكُمُ الْحِمَامُ
قَدْ مَاتَ لَيْسَ لَهُ عَلَى حَيِّ ذِمَامُ
نَبِيِّ أَنَّهُمْ فِيهِنَّ أَعْصَاءُ وَهَامُ
غُذِيتُ بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ إِلَّا الْعِظَامُ
كَانُوا الْكِرَامَ هُمْ إِذَا ذُكِرَ الْكِرَامُ
كَانُوا وَجَارُهُمْ مَنِيعٌ لَا يُضَامُ
كَ وَلِلْفَنَاءِ وَلِلْبَلَى خُلِقَ الْأَنَامُ
وَعَمَرْتُ دَارًا لَيْسَ لِي فِيهَا مُقَامُ
أَبَتِ الْحَوَادِثُ أَنَّ يَكُونُ لَهَا دَوَامُ

هذه الأبيات، هي من بحر الكامل التام المذيل، والتذيل في بحر الكامل زيادة حرف ساكن على متفاعلن فتصير متفاعلان، وهذا مخالف لما هو مقرر عند العروضيين من أن التذيل لا يكون في الكامل التام بل في مجزوءه، وقد نظم الشيخ محمد عبدالله ولد الصديق الشنقيطي رحمه الله تعالى، على طريقة أبي العتاهية في أبياته هذه التي ذيل فيها الكامل التام، وعرض ذلك على طلابه فشارك كثير من طلابه وأدباء آخرون، قال الشيخ رحمه الله تعالى:

ظَعَنَ الْأَحْبَةَ عَنْكَ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ
زَمُّوا جَمَالَهُمْ وَقَالَ عَرِيفُهُمْ
وَتَيَمَّمُوا أَرْضًا بِهَا أَثَرُ الْحَيَا
وَبَقِيتَ فِي أَسْفٍ وَشَوْقٍ لَا عِجْ
وَلَرُبَّمَا سَمَحَ الزَّمَانُ بِقُرْبِهِمْ
وَبَيْنَهُمْ نَعَبَ الْغَدَاةِ عَلَى الْإِكَامِ
أَزَفَ الرَّحِيلُ فَقَوَّضُوا تِلْكَ الْخِيَامِ
وَمَرَابِعًا قَدْ جَادَهَا صَوْبُ الْغَمَامِ
لَا تَسْتَطِيعُ بِهِ الْقُعُودَ وَلَا الْقِيَامِ
فَبَقُرْبِهِمْ يُشْفَى السَّقِيمُ مِنَ السَّقَامِ

يَا لَيْتَ نَأْيَهُمْ وَبُعْدَ مَزَارِهِمْ
ومن شعر أبي العتاهية قوله:

أَمْسَى وَأَصْبَحَ مِثْلَ أَحْلَامِ النَّيَامِ
[الوافر]

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ
لِمَنْ تَبْنِي وَنَحْنُ إِلَى تَرَابِ
أَلَا يَا مَوْتَ لَمْ أَرْ مِنْكَ بُدًّا
كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشْيِي
إلى أن قال:

فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى ذَهَابِ
نَصِيرُ كَمَا خُلِقْنَا مِنْ تُرَابِ
أَبَيْتَ فَمَا تَحِيفُ وَلَا تُحَابِي
كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي

تَقَلَّدْتُ الْعِظَامَ مِنَ الْخَطَايَا
سَأْأَلُ عَنْ أُمُورٍ كُنْتُ فِيهَا
بِأَيَّةِ حُجَّةٍ تَحْتَجُّ نَفْسِي
هُمَا أَمْرَانِ يُوضِحُ لِي مَقَالِي
فَأَمَّا أَنْ أُخَلِّدَ فِي نَعِيمِ
ومن شعر أبي العتاهية قوله في المهدي:

كَأَنِّي قَدْ أَمِنْتُ مِنَ الْعِقَابِ
فَمَا عُذْرِي هُنَاكَ وَمَا جَوَابِي
إِذَا دُعِيتُ إِلَى طُولِ الْحِسَابِ
هُنَالِكَ حِينَ أَنْظُرُ فِي كِتَابِي
وَأَمَّا أَنْ أُخَلِّدَ فِي عَذَابِ
[المتقارب]

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً
فَلَمْ تَكُ تَضْلُحْ إِلَّا لَهُ
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ

إِلَيْهِ تَجُرُّرُ أَذْيَالِهَا
وَلَمْ يَكُ يَضْلُحْ إِلَّا لَهَا
لَزُلْزَلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالِهَا

وكان بشار في القوم - وهو أعمى - فقال لجليسه: انظر ويحك! أطار الخليفة عن فراشه أم لا؟ فما خرج أحد من الشعراء يومئذ بجائزة غير أبي العتاهية.

- ومن أعلام هذا العصر: أبو تمام، صاحب قصيدة فتح عمورية التي يقول فيها:
[البسيط]

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ
بِضِّ الصَّفَائِحِ لَا سُودَ الصَّحَائِفِ فِي

فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
مُتُونَهُنَّ جَلَاءُ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ

وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَامِعَةً بَيْنَ الْخَمِيسِينَ لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
 أَيْنَ الرُّوَايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ
 تَحَرُّصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُذَّتْ وَلَا غَرَبِ
 إلى أن يقول:

لَوْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ مَوْصُولَةٍ وَذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ
 فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّائِي نُصِرْتَ بِهَا وَبَيْنَ أَيَّامِ بَذْرِ أَقْرَبِ النَّسَبِ
 وفيها يقول:

بُصِرْتَ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ التَّعَبِ
 وقد سبقت الإشارة إلى هذه القصيدة وذكر بعض أبياتها عند الكلام عن تخليد الأدب
 المفاخر، وسبق أيضًا ذكر قوله:

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ ...

في أن الأدب يُكسب سرعة البديهة.

- ومن أعلام هذا العصر صالح بن عبدالقدوس، -والترتيب بين من يذكر من الشعراء
 ليس مقصودًا- ونسبت إليه أبيات فيها زندقة، فأحضر عند الخليفة هارون الرشيد وقيل:
 بل عند المهدي، فقال صالح: والله ما قلتها ولا تسفك دمي بشبهة، وأخذ يُرَقِّق قلبه حتى
 رَقَّ له، وأمر بتخليته ثم قال: أنشدني قصيدتك السينية، فأنشده قصيدته حتى بلغ: [السريع]

وَالشَّيْخُ لَا يَتَرُكُ أَخْلَاقَهُ حَتَّى يُوَارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ
 إِذَا ارْعَوَى عَادَ إِلَى جَهْلِهِ كَذِي الضَّنَا عَادَ إِلَى نُكْسِهِ
 فقال الخليفة: نحن نتمثل وصيتك! فأمر به فقتل، وأشهر شعره الزينية وهي قصيدة
 حَكَمِيَّة، فيها مواعظ عظيمة، يقول فيها:
 [الكامل]

صَرَمْتُ جِبَالَكَ بَعْدَ وَضْلِكَ زَيْنَبُ وَالذَّهْرُ فِيهِ تَغْيِيرٌ وَتَقَلُّبُ
وَكَذَاكَ وَضْلُ الْغَانِيَاتِ فَإِنَّهُ أَلْ بِلَقَعَةٍ وَبَرْقُ خُلْبُ
فَدَعَ الصَّبَا فَلَقَدْ عَدَاكَ زَمَانُهُ وَازْهَدْ فَعُمُرُكَ مَرَّ مِنْهُ الْأَطْيَبُ
ذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ وَأَتَى الْمَشِيبُ فَأَيْنَ مِنْهُ الْمَهْرَبُ
دَعَّ عَنْكَ مَا قَدْ كَانَ فِي زَمَنِ الصَّبَا وَادْكُرْ مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ
لَمْ يَنْسَهُ الْمَلَكُانِ حِينَ نَسِيَتْهُ بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لَا إِلَهَ تَلْعَبُ
وَالرُّوحُ فِيكَ وَدِيعَةٌ أُودِعَتْهَا سَتَرُذْهَا بِالرَّغَمِ مِنْكَ وَتُسَلَبُ
وَعُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا دَارُ حَقِيقَتُهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
وَاللَّيْلُ فَاعْلَمْ وَالنَّهَارُ كِلَاهُمَا أَنْفَاسُنَا فِيهَا تُعَدُّ وَتُحْسَبُ
وَجَمِيعُ مَا حَصَلَتْهُ وَجَمَعَتْهُ حَقًّا يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِكَ يَذْهَبُ

يقول في آخرها:

فَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي فَالْنُّصْحُ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ
- ومن أعلام هذا العصر، علي بن الجهم، شاعت عنه قصة وهي أنه كان بدويًا جافيًا قدم
على المتوكل أول قدمه فأنشد قصيدة يمدحه فيها يقول:

أَنْتَ كَالْكَلْبِ فِي حِفَاطِكَ لِلْوُدِّ دِوْكَالْتَيْسِ فِي قِرَاعِ الْخُطُوبِ
أَنْتَ كَالدَّلْوِ لَا عَدِمْتُكَ دَلْوًا مِّنْ كِبَارِ الدَّلَا كَثِيرِ الذَّنُوبِ

فعرف المتوكل حسن قصده وخشونة لفظه لملازمته البادية وعدم مخالطته، فأمر له بدار
حسنة على شاطئ دجلة، وفيها بستان يتخلله النسيم، والجسر قريب منه، وأمر له بجائزة
سنينة، فلفظ طبعه وأنشد الأشعار الرقيقة ثم دخل على المتوكل بعد سنة فأنشده:

[الطويل]

عُيُونُ الْمَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجِسْرِ جَلَبْنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي

وهذه القصة مخايل الوضع عليها لائحة - وإن كانت قصيدة عيون المها له - فإن علي بن الجهم كان رجل حاضرة ولم يكن بدويًا، وكان قد مدح المعتصم والواثق قبل ذلك ثم مدح المتوكل لما بويع بالخلافة، ولم يذكر هذه القصة أحد ممن يُعتمد قوله.

وقريب من هذا ما ذكره ابن الجوزي في أخبار الحمقى والمغفلين من أن رجلاً أراد أن يمدح سيف الدولة وقد انصرف من غزو عدو له ظفر به فقال:

[الطويل]

فَكَانُوا كَفَّارٍ وَسَوْسُوا خَلْفَ حَائِطٍ وَكُنْتُ كَسِنُورٍ عَلَيْهِمْ تَسَلَّقَا
وقال علي بن الجهم لما حبسه المتوكل:

[الكامل]

قَالَتْ: حُبِسْتُ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرِي حَبْسِي وَأَيُّ مَهَنٍّ لَا يُعْمَدُ
أَوَمَارَ أَيْتِ اللَّيْثِ يَأْلَفُ غَيْلَهُ كِبَرًا وَأَوْبَاشُ السَّبَاعِ تَرَدَّدُ
وَالْبَدْرُ يُدْرِكُهُ السَّرَارُ فَتَنْجَلِي أَيَّامُهُ وَكَأَنَّهُ مُتَجَدَّدُ
وَالشَّمْسُ لَوْلَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ عَنْ نَاطِرِيكَ لَمَا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ
وَالزَّاعِيَّةُ لَا يُقِيمُ كُعُوبَهَا إِلَّا التَّقَافُ وَجَذْوَةٌ تَوَقَّدُ
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ لَا تُصْطَلَى إِنْ لَمْ تُبْرِهَهَا الْأَزْنَدُ
وَالْحَبْسُ مَا لَمْ تَغْشَهُ لِدُنْيَةٍ شَنْعَاءَ نِعَمِ الْمَنْزِلِ الْمُتَوَرَّدُ
يَبْتَ يُجَدِّدُ لِلْكَرِيمِ كَرَامَةً وَيُزَارُ فِيهِ وَلَا يَزُورُ وَيُحَمَّدُ
لَوْلَمْ يَكُنْ فِي الْحَبْسِ إِلَّا أَنَّهُ لَا تَسْتَذُكُّ بِالْحِجَابِ الْأَعْبُدُ
غَيْرُ اللَّيَالِي بَادِيَاتٌ عُودُ وَالْمَالُ عَارِيَّةٌ يُعَارُ وَيَنْفَدُ
وَلِكُلِّ حِينٍ مُعْقِبٌ وَلِزَبْمَا أَجَلِي لَكَ الْمَكْرُوهُ عَمَّا تَحْمَدُ
لَا يُؤَيِّسُنَّكَ مِنْ تَفَرُّجِ نَكْبَةٍ خَطْبُ رَمَاكَ بِهِ الزَّمَانُ الْأَنْكَدُ
كَمْ مِنْ عَلِيلٍ قَدْ تَخَطَّاهُ الرَّدَى فَنَجَا وَمَاتَ طَبِيبُهُ وَالْعُودُ
صَبْرًا فَإِنَّ الْيَوْمَ يَعْقُبُهُ غَدُ وَيَدُ الْخِلَافَةِ لَا تَطَاوُلُهَا يَدُ

ثم إنه بلغ المتوكل أن علي بن الجهم هجاه، فنفاه إلى خراسان، وكتب إلى طاهر بن عبدالله بأن يُصلب إذا وردها يومًا إلى الليل، فقال وهو على خشبته وقد صُلب مجردًا:

[الكامل]

لَمْ يَنْصِبُوا بِالشَّاذِيَاخِ عَشِيَّةَ الْإِثْنَيْنِ مَغْمُورًا وَلَا مَجْهُولًا
نَصَبُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِلءَ عُيُونِهِمْ حُسْنًا وَمِلءَ قُلُوبِهِمْ تَبْجِيلًا
مَا ضَرَّهُ أَنْ بُزَّ عَنْهُ لِبَاسُهُ فَالسَّيْفُ أَهْوَلُ مَا يُرَى مَسْلُولا
وقد قال أبو عبدالله اليحصبي - كما في طبقات الشعراء لابن المعتز -: "لما قال علي بن الجهم وهو محبوس كلمته التي يخاطب فيها المتوكل:

قَالَتْ حُبْسَتْ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرِي حَبْسِي وَأَيُّ مُهْنَدٍ لَا يُغْمَدُ
ثم قال حين صلب:

مَا ضَرَّهُ أَنْ بُزَّ عَنْهُ لِبَاسُهُ فَالسَّيْفُ أَهْوَلُ مَا يُرَى مَسْلُولا
حكموا له بأنه أشعر الناس، فأذعنت له الشعراء وهابته الأمراء.

وذلك لأنه استعمل السيف مغمداً ومسلولاً في الثناء على نفسه فأحسن.

- ومن أعلام هذا العصر: البُحْثَرِي، من جميل شعره قوله في المتوكل: [الكامل]

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ
يصف دخوله يوم العيد للمصلى، وهي قصيدة أحسن فيها كل الإحسان كما ذكر ابن خلكان في وفیات الأعيان، وأولها قوله:

أَخْفِيَ هَوَى لَكَ فِي الضُّلُوعِ وَأُظْهِرُ وَأَلَامُ مَنْ كَمَدَ عَلَيْكَ وَأُعْذَرُ
وفيها يقول:

بِالْبَرِّ صُمْتَ وَأَنْتَ أَفْضَلُ صَائِمٍ وَبِسُنَّةِ اللَّهِ الرَّضِيَّةِ تَفْطَرُ

فَانْعَمَ يَوْمَ الْفِطْرِ عَيْنًا إِنَّهُ
أَظْهَرْتَ عِزَّ الْمُلْكِ فِيهِ بِجَحْفَلٍ
خَلْنَا الْجِبَالَ تَسِيرٌ فِيهِ وَقَدْ عَدَتْ
فَالْخَيْلُ تَصْهَلُ وَالْفَوَارِسُ تَدْعِي
وَالْأَرْضُ خَاشِعَةٌ تَمِيدُ بِثِقَلِهَا
وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ تَوْقَدُ فِي الضُّحَى
حَتَّى طَلَعَتْ بِضَوْءٍ وَجْهَكَ فَاَنْجَلَى
فَافْتَنَّ فِيكَ النَّاطِرُونَ فِإِصْبَعٌ
يَجِدُونَ رُؤْيَاكَ الَّتِي فَازُوا بِهَا
ذَكَرُوا بِطُلْعَتِكَ النَّبِيِّ فَهَلَّلُوا
حَتَّى انْتَهَيْتَ إِلَى الْمَصَلَى لَا بَسًا
وَمَشَيْتَ مِشْيَةً خَاشِعٍ مُتَوَاضِعٍ
وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا
أُيِّدَتْ مِنْ فَضْلِ الْخِطَابِ بِحِكْمَةٍ
وَوَقَفْتَ فِي بُرْدِ النَّبِيِّ مُذَكَّرًا

يَوْمٌ أَغْرُ مِنَ الزَّمَانِ مُشْهَرٌ
لِحَبِّ يُحَاطُ الدِّينُ فِيهِ وَيُنْصَرُ
عَدَدًا يَسِيرُ بِهِ الْعَدِيدُ الْأَكْثَرُ
وَالْبَيْضُ تَلْمَعُ وَالْأَسِنَّةُ تَزْهَرُ
وَالْجَوُّ مُعْتَكِرُ الْجَوَانِبِ أَغْبَرُ
طَوْرًا وَيُطْفِئُهَا الْعَجَاجُ الْأَكْثَرُ
ذَاكَ الدُّجَى وَانْجَابَ ذَاكَ الْعِشِيرُ
يَوْمَى إِلَيْكَ بِهَا وَعَيْنٌ تَنْظُرُ
مِنْ أَنْعَمِ اللَّهِ الَّتِي لَا تُكْفَرُ
لَمَّا طَلَعْتَ مِنَ الصُّفُوفِ وَكَبَّرُوا
نُورَ الْهُدَى يَبْدُو عَلَيْكَ وَيُظْهِرُ
لِلَّهِ لَا يُزْهَى وَلَا يَتَكَبَّرُ
فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمَنْبَرُ
تُنْبِي عَنِ الْحَقِّ الْمَبِينِ وَتُخْبِرُ
بِاللَّهِ تُنْذِرُ تَارَةً وَتُبَشِّرُ

قال ابن خلكان بعد أورد هذه الأبيات في وفيات الأعيان: وهذا الشعر هو السحر الحلال على الحقيقة، والسهل الممتنع، فله دره! ما أسلس قياده وأعذب ألفاظه، وأحسن سبكه وألطف مقاصده، وليس فيه من الحشو شيء، بل جميعه نُخب.

وقد قال بعضهم: رأيت البلاذري المؤرخ وحاله متماسكة فسألته، فقال: كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء، فقال: لست أقبل إلا ممن قال مثل قول البحرى في المتوكل:

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا
فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمَنْبَرُ

قال: فرجعت إلى دارى فأتيته وقلت: قد قلت فيك أحسن مما قاله البحرى. فقال: هاته.

[الطويل]

فأنشدته:

وَلَوْ أَنَّ بُرْدَ الْمُصْطَفَى إِذْ لَبِسَتْهُ يَظُنُّ لَظَنَّ الْبُرْدُ أَنَّكَ صَاحِبُهُ
وَقَالَ وَقَدْ أُعْطِيَتهُ وَلَبِسَتْهُ نَعَمْ هَذِهِ أَعْطَاْفُهُ وَمَنَاكِبُهُ
فقال المستعين: ارجع إلى منزلك وافعل ما أمرك به، فرجع فبعث إليه سبعة آلاف دينار،
وقال: ادّخر هذه للحوادث من بعدي، ولك عليّ الجراية والكفاية ما دمتُ حيًّا.

وقريب من هذا قول الفرزدق في زين العابدين: [البسيط]

يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانٌ رَاحَتِهِ رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
وقول المتنبي: [الكامل]

لَوْ تَعَقَّلَ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلَتْهَا مَدَّتْ مُحِيَّةً إِلَيْكَ الْأَغْصُنَا
وقول بعضهم وكان والده قد صوّر القمر ليلة البدر فقال لو الده: [الكامل]

لَوْ كَانَ يَذْرِي الْبَدْرُ إِذْ صَوَّرَتْهُ مَا حُزَّتْهُ مِنْ حُلُوٍ وَصَفٍ رَائِقِ
حَيًّا وَمَدَّ الْكَفَّ مِنْهُ مُصَوِّرًا لِبَدِيعِ مَنْظَرِكَ الْبَهِيِّ الشَّائِقِ

المجلس الخامس عشر

في هذا المجلس:

• عصور الأدب:

٤ / العصر العباسي

* المتنبي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، عنايته بمطالع قصائده، خبره مع ابن خالويه في مجلس سيف الدولة، خبره مع كافور.

- ذكر جملة ممن قتله شعره: المتنبي وخبره مع فاتك الأسدي، طرفة بن العبد وخبره مع عمرو بن هند، أعشى همدان وقول الحجاج له: والله لا تُبَخِّخُ بعدها أبدا.
* أجمع الحذاق على أن للمتنبي نواذر لم تأت في شعر غيره، بيتان للمتنبي ربما قالهما شيخ الإسلام ابن تيمية في سجوده.

* أبو العلاء المعري، عقيدته، تعصبه للمتنبي، خبره مع المرتضى وقد جمعهما مجلس تنقص المرتضى فيه المتنبي، ما روي من اعتراضه على الشرع وردّ القاضي عبدالوهاب عليه.

* الشعراء وسجع الحمام.

* الطغرائي ولامية العجم.

٥ / عصر الدول المتتابعة

* صفي الدين الحلي.

* صلاح الدين الصفدي ولايته في الحكمة التي سلك فيها مسلك الطغرائي في لامية العجم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فمن أعلام العصر العباسي: أبو الطيب المتنبي، أحمد بن الحسين الكندي، الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، يقول ابن كثير في البداية والنهاية: هو في الشعراء المحدثين كامرئ القيس في الشعراء المتقدمين.

وكان يعتني بمطالع قصائده، من ذلك قوله: [البسيط]

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِن لَّمْ تُسْعِدِ الْحَالُ
يقول: فليُسْعِدْهُ نطقي بالمدح والثناء عليه إن لم تُعْنِي الحال على مُجازاته بالمال.

وقوله: [الكامل]

بَادٍ هَوَاكَ صَبَرْتُ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا وَبُكَاءُكَ إِن لَّمْ يَجِرْ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى
وقوله: [الطويل]

عَزِيزُ أَسَى مَنْ دَاوَاهُ الْحَدَقُ النَّجْلُ عِيَاءٌ بِهِ مَاتَ الْمُحِبُّونَ مِنْ قَبْلُ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ فَمَنْظَرِي نَذِيرٌ إِلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْهَوَى سَهْلُ
وقوله: [الكامل]

الْحُبُّ مَا مَنَعَ الْكَلَامَ الْأَلْسَنَا وَالذُّشْكُوى عَاشِقٍ مَا أَعْلَنَا
وقوله: [الطويل]

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مُذَمِّمٍ وَأُمٌّ وَمَنْ يَمَّمْتُ خَيْرُ مُيَمِّمٍ
يعني بالشرط الأول سيف الدولة، وبالأخر كافورًا.

وَمَا مَنَزِلُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنَزِلٍ إِذَا لَمْ أُبَجَّلْ عِنْدَهُ وَأُكْرَمَ
وقوله: [الطويل]

أَغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ وَالْوَضَلُ
وقوله: [الطويل]

لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا وَعَادَةُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ فِي الْعِدَا
ذكروا أن المتنبي لما أنشد سيف الدولة قصيدته هذه، أنشده إياها وهو قاعد على عادته في
إنشاد الشعر، فقال بعض الحاضرين -يريد أن يكيد أبا الطيب-: لو أنشدتها قائماً لَأَسْمَعَ؛
فإن أكثر الناس لا يسمعون. فقال أبو الطيب: أما سمعتم قلبي في أولها: (لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْ
دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا) وهذا مِنْ مُسْتَحْسَنِ الْأَجُوبَةِ.

ومن مطالع قصائده: [مشطور الرجز]

وَمَنَزِلٍ لَّيْسَ لَنَا بِمَنَزِلٍ
وَلَا لِغَيْرِ الْغَادِيَاتِ الْهُطَلِ
ولقصيدته هذه قصة وهي أن المتنبي دخل يوماً على أبي علي الأوراجي، فقال له أبو علي:
وَدِدْنَا يَا أبا الطيب لو كنت معنا، فقد ركبنا ومعنا كلب فصدنا به ظبيًا، فقال المتنبي: أنا
قليل الرغبة في مثل هذا. فقال أبو علي: إنما اشتيتُ أن تراه فتستحسنه فتقول فيه شيئاً من
الشعر، فقال المتنبي: أنا أفعل أَفْتَحِبُّ أن يكون الآن؟ قال أبو علي: أيكون مثل هذا؟ قال:
نعم، وقد حَكَمْتُكَ في الوزن والقافية. قال أبو علي: لا بل الأمر فيهما إليك، فأخذ أبو
الطيب درجاً وأخذ أبو علي درجاً يكتب فيه كتاباً فقطع عليه أبو الطيب الكتاب وأنشده
قصيدته هذه:

وَمَنَزِلٍ لَّيْسَ لَنَا بِمَنَزِلٍ
وَلَا لِغَيْرِ الْغَادِيَاتِ الْهُطَلِ

وفيها يقول يصف الكلب الذي صادوا به:

فِي هَبْوَةٍ كِلَاهُمَا لَمْ يَذْهَبِ
لَا يَأْتِلِي فِي تَرْكِ أَلَا يَأْتِلِي
مُقْتَحِمًا عَلَى الْمَكَانِ الْأَهْوَلِ
يَخَالُ طُولَ الْبَحْرِ عَرْضَ الْجَدُولِ

يعني: لا يقصر في ترك التقصير ولا الثانية زائدة، وإذا وصل إلى شاطئ البحر فهو مستعد أن يقفز إلى الناحية الأخرى؛ يخاله عرض الجدول.

ومن مطالع قصائده: [الطويل]

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

وفيها يقول:

وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفِ كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كُلَّمَا هَزِيْمَةً وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَتَغْرُكَ بِاسِمٌ

وحصلت له قصة مع ابن خالويه النحوي في مجلس سيف الدولة، وهي أنه جرت مسألة في اللغة تكلم فيها ابن خالويه مع أبي الطيب اللغوي والمتنبي ساكت، فقال له سيف الدولة: ألا تتكلم. فتكلم المتنبي بما قوى حجة أبي الطيب وضعف قول ابن خالويه، فغضب ابن خالويه وشج المتنبي في وجهه، فنظر المتنبي إلى سيف الدولة ينتظر منه أن ينتصر له وهو في مجلسه، فلما لم ير من سيف الدولة انتصارًا له خرج مُغَضَّبًا، وعلم أن الوشاية قد بلغت مبلغها وكان هذا أحد أسباب فراقه سيف الدولة وأنشد قصيدته العجيبة التي ألّفت أشتات المشاعر، ترى فيها المشاعر المتضاربة، الغضب والرضا والحب

والبغض والرغبة في الإقامة والعزم على الرحيل وهي من مختار شعر المتنبي يقول فيها:

[البسيط]

وَاحِرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمْ وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمْ
مَالِي أَكْتَمْتُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي وَتَدَّعِي حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأَمَمْ
إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لُّغَرَّتِهِ فَلَيْتَ أَنَا بِقَدْرِ الْحُبِّ نَقْتَسِمُ
قَدْ زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الْهِنْدِ مُغَمَّدَةٌ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسُّيُوفُ دَمُ
فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي الْأَحْسَنِ الشِّيمُ

وفيها يقول:

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخِصْمُ
أَعِيذُهَا نَظَرَاتٍ مِّنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسِبَ الشَّحْمَ فَيَمِنَ شَحْمُهُ وَرَمُ
وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاطِرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي وَأَسْمَعْتَ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ
أَنَامُ مِلءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ

وفيها يقول:

إِذَا رَأَيْتَ يُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ

وفيها يقول:

الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالْحَرْبُ وَالضَّرْبُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
صَحِبْتُ فِي الْفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مُنْفَرِدًا حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّي الْقُورُ وَالْأَكَمُ
يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ وَجَدَانَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ
مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمْ
إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا لِجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمْ

وفيها يقول:

لَئِنْ تَرَكْنَا ضَمِيرًا عَنْ مَيَّامِنَا لَيَحْدُثَنَّ لِمَنْ وَدَّعْتُهُمْ نَدَمٌ
وهذا الذي حصل، ندم سيف الدولة بعد ذلك، وكتب إلى المتنبّي يطلب منه أن يرجع
لكنه لم يرجع، يقول فيها:

إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا أَلَّا تُفَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمْ
وفيه يقول:

بِأَيِّ لَفْظٍ تَقُولُ الشُّعْرَ زَعِيفَةً تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عُرْبٌ وَلَا عَجَمٌ
هَذَا عِتَابُكَ إِلَّا أَنَّهُ مِقْفَةٌ قَدْ ضَمَّنَ الدَّرَجَ إِلَّا أَنَّهُ كَلِمٌ
وخرج المتنبّي بعد ذلك وسار إلى مصر، فامتدح كافورًا الإخشيدي بأشعار كثيرة، منها
قوله:

وَأَخْلَاقُ كَافُورٍ إِذَا شِئْتُ مَدَحُهُ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ تُمْلَى عَلَيَّ وَأَكْتُبُ
وقوله:

فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضًا خَلْفَهَا وَمَاقِيَا
ثم إنه هجا كافورًا، لأن كافورًا كان قد وعده بولاية بعض أعماله، فلما رأى تعالي المتنبّي
في شعره وسموه بنفسه خافه، ولما عوتب فيه، قال كافور: يا قوم، من ادّعى النبوة بعد
محمد -صلى الله عليه وسلم-، أما يدّعي المملكة مع كافور! فحسبكم.

وقد اشتهر أن المتنبّي كان قد ادّعى النبوة، كما ذكر ذلك كثير ممن ترجم له كابن خلكان
في وفيات الأعيان وابن كثير في البداية والنهاية، ثم قاد ثورة تبعه فيها كثير من الجهلة ثم
سجن وما أطلق حتى رجع عما قال، وقال ابن كثير في البداية والنهاية: وقد اشتهر بلفظة
تدل على كذبه فيما كان ادّعاءه من الإفك والبُهتان، وهي لفظة (المتنبّي) الدالة على كذبه
ولله الحمد والمنّة. وأنكر جماعة أن يكون المتنبّي ادّعى النبوة؛ قالوا: إنما لُقّب بالمتنبّي
لأبيات قالها توحى بتعالیه وتعاضمه كقوله:

[الخفيف]

مَا مُقَامِي بِأَرْضٍ نَخْلَةٍ إِلَّا كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ
وقوله:

أَنَا فِي أُمَّةٍ تَدَارَكَهَا اللَّـهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثُمُودٍ
وكان آخر أمره أن عرض له فَاتِكُ الْأَسَدِي، فأراد المتنبي أن يفرّ، فقال له غلامه: لا
يتحدث الناس عنك بالفرار وأنت القائل:

الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالْحَرْبُ وَالضَّرْبُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
فَكَرَّرَ رَاجِعًا فَقُتِلَ، وكان سبب ذلك هذا البيت الذي ذكّره به غلامه وقيل: ابنه.
وكان المتنبي قد هجا رجلاً يقال له ضَبَّة، فقال:

مَا أَنْصَفَ الْقَوْمُ ضَبَّةً

في أبيات أقذع فيها القول يقول ابن العديم: ما للمتنبي شعر أسخف من هذا الشعر ولا
أوهى كلامًا! فقتله فاتك الأسدِي خال ضبة، ثأراً لابن أخته.

فالمتنبي ممن قتله شعره، وسبق معنا في المجلس السابق أن صالح بن عبد القدوس أيضاً
ممن قتله شعره، قُتل في الزندقة في أبيات ظهرت فيها زندقته ذكرها ابن المعتز في طبقات
الشعراء.

- ومن أولئك الذين قتلهم شعرهم: طَرْفَةُ بن العبد، الشاعر الجاهلي.

وقد سئل لبید بن ربیعۃ العامري -رضي الله عنه-: مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ؟ فقال: الْمَلِكُ الضَّلِيلُ
-يعني امرأ القيس- قيل: ثم من؟ قال: الشاب القتيل -يعني طرفة-، قيل: ثم من؟ قال:
الشيخ أبو عقيل -يعني نفسه-.

كان من خبر طرفة أنه هجا عمرو بن هند، وعمرو بن هند هو الملك! وابن الوردي يقول:

[الرميل]

لَا تُخَاصِمُ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلْ

وكان طرفة شاباً طائشاً، قُتل وهو ابن ست وعشرين سنة قال: [الوافر]

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍو رَغُوْنَا حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخُورُ
يقول: يتمنى لو كان لهم مكان هذا الملك نعجة مريض تصيح بجوار قبتهم وتُدِرُّ عليهم
اللبن! قال:

مِنَ الزَّمَرَاتِ أَسْبَلَ قَادِمَاهَا وَضَرَّتْهَا مُرْكَنُهُ دُرُورُ
يُشَارِكُنَا لَنَا رَخِلَانِ فِيهَا وَتَعْلُوهَا الْكِبَاشُ فَمَا تَنُورُ
لَعَمْرُكَ إِنَّ قَابُوسَ بْنِ هِنْدٍ لَيَخْلِطُ مُلْكُهُ نُوكُ كَثِيرُ
قابوس: أخو الملك عمرو بن هند، وكان يرشحه للملك بعده، والنوك بضم الكاف
وتفتح: الحمق.

فبلغت الأبيات عمرو بن هند فدعاه، ودعا خاله المتلمس، لأنه خاف إن مكر بطرفة
وحده أن يهجوهُ المتلمس، فدعاهما معاً، وأظهر لهما أنه يريد إكرامهما، وأعطاهما شيئاً
من الهدايا والجوائز، وكتب لكل واحد منهما كتاباً إلى عامله بالبحرين يأمره بقتلهما إذا
وصلا إليه، وأوهمهما أنه كتب لهما بصلة، فلما وصلا إلى الحيرة قال المتلمس لطرفة:
كلانا قد هجا الملك، ولو أراد أن يعطينا لأعطانا ولم يكتب لنا، فهلّم ندفع كتبنا إلى من
يقرأها، فإن كان فيها خير مضينا له، وإن كان فيها شر اتقيناه، فقال طرفة بن العبد: ما كنت
لأفتح كتاب الملك، فقال المتلمس: والله لأفتحن كتابي ولأعلمن ما فيه ولا أكون كمن
يحمل حتفه بيده، فنظر المتلمس فإذا غلام قد خرج من الحيرة، فقال له: أتقرأ يا غلام
قال: نعم، فقال: هلّم فاقراً هذا الكتاب، فإذا فيه: أما بعد فإذا أتاك المتلمس فاقطع يديه
ورجليه وادفنه حياً، وقيل: إن الغلام لما نظر في الكتاب قال: ثكلت المتلمس أمه، فاكتفى
المتلمس منه بذلك، وقال لطرفة: تَعَلَّمْ والله أن الذي في كتابك لَمِثْلُ الذي في كتابي، فقال:

إن كان اجترأ عليك فلم يكن ليجترئ علي، ويوغر صدور قومي بقتلي. فألقى المتلمس صحيفته في نهر الحيرة، وأخذ نحو الشام.

قال في الشمقمقية:

وَأَفْعَلُ بِمَنْ تَرْتَابَ مِنْهُ مِثْلَ فَعْدٍ لِ الْمُتَلَمَّسِ اللَّيْبِ الْحَذِقِ
أَلْقَى الصَّحِيفَةَ بِنَهْرِ حِيرَةٍ وَقَالَ يَا ابْنَ هِنْدٍ ارْعُدْ وَابْرُقْ
وأخذ طرفه نحو البحرين وقُتِلَ.

وفي سنن أبي داود وصححه الألباني أن عُبَيْنَةَ بْنَ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ وَالْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسِ التَّمِيمِيِّ - رضي الله عنهما - قدما على النبي - صلى الله عليه وسلم - فسألاه، فأمر لهما بما سألاه، وأمر معاوية فكتب لهما بذلك، فأما الأقرع فأخذ كتابه فلفه في عمامته وانطلق، وأما عُبَيْنَةُ فأخذ كتابه وأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - مكانه، وقال: يا محمد، أتراني حاملاً إلى قوم كتاباً لا أدري ما فيه كصحيفة المتلمس! فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنَ النَّارِ» قالوا: يا رسول الله، وما يُغْنِيهِ؟ قال: «قَدَرٌ مَا يُغَدِّيهِ وَيُعَشِّيهِ».

وممن قتله شعره أيضاً: أَعْشَى هَمْدَانٍ، وَالْأَعْشَى لَقِبَ لَهُ وَفِي قِبَائِلِ الْعَرَبِ مَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثِينَ شَاعِراً يَعْرِفُونَ بِهَذَا اللَّقَبِ يَنْسُبُونَ إِلَى قِبَائِلِهِمْ، فيقال: أَعْشَى هَمْدَانٍ، أَعْشَى بَاهِلَةَ، أَعْشَى شَيْبَانَ، تَمَيِّزاً لَهُمْ عَنِ الْأَعْشَى الْكَبِيرِ، مَيْمُونِ بْنِ قَيْسِ صَاحِبِ الْمَعْلَقَةِ (وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرِّكَبَ مُرْتَحِلٌ).

كان أَعْشَى هَمْدَانٍ قَدْ قَصَرَ شَعْرَهُ عَلَى نَصْرِ ثَوْرَةِ ابْنِ الْأَشْعَثِ، يَمْدَحُ ابْنَ الْأَشْعَثِ وَيَهْجُو الْحِجَااجَ، فَلَمَّا هَزَمَ ابْنُ الْأَشْعَثِ أُتِيَ بِأَعْشَى هَمْدَانٍ وَوُقِفَ بَيْنَ يَدَيْ الْحِجَااجِ، فَقَالَ لَهُ الْحِجَااجُ: وَيْحَكَ! أَوْلَسْتَ الْقَائِلَ:

[الكامل]

وَإِذَا سَأَلْتَ الْمَجْدُ أَيْنَ مَحَلُّهُ فَالْمَجْدُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَسَعِيدٍ
بَيْنَ الْأَشْجِ وَبَيْنَ قَيْسٍ بَاذِخٍ بَخْ بَخْ لَوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلُودِ
والله لا تُبَخِّخُ بعدها أبداً! وَقَتْلَهُ.

نرجع إلى المتنبي!

قد أجمع الحُذَّاق على أن للمتنبي نَوَادِرَ لم تأتِ في شعر غيره، من ذلك قوله: [البسيط]

لَوْ لَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَّالُ
وكثير من الأبيات التي تدور على ألسنة الناس هي من شعر المتنبي.

منها قوله: [البسيط]

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيَّاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ
وقوله: [الطويل]

تُرِيدِينَ لُقْيَانَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ
وقوله: [الخفيف]

مَنْ يَهْنُ يَسْهَلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لِي جُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيْلَامُ
وقوله: [الطويل]

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا سَرَجُ سَابِحٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ
وقوله: [الكامل]

لَا تَعْذِلِ الْمُشْتَاقَ فِي أَشْوَاقِهِ حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْشَائِهِ
وقوله: [الوافر]

فَإِنْ تَفُقَ الْأَنَامُ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

وقوله:

[البسيط]

كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ قَمِيصٌ يُوسُفَ فِي أَجْفَانٍ يَعْقُوبُ

وقوله:

[الطويل]

فَتَى كَالسَّحَابِ الْجُونِ يُخْشَى وَيُزْتَجَى يُرْجَى الْحَيَا مِنْهُ وَتُخْشَى الصَّوَاعِقُ

يقول في ممدوحه: إنه مرجو مهيب يرجى نفعه ويهاب ضره كالسحاب الجون -بضم الجيم- جمع جون -بفتحها- وهو الأسود، يرجى مطرها وتخشى صواعقها.

وقد قال السَّكَّافُ فِي الْعُودِ الْهِنْدِيِّ: هَذَا الْبَيْتُ مِنْ مَوَاطِنِ السُّجُودِ فِي الشَّعْرِ!

وقوله:

[الطويل]

وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرْفًا لَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخَلَائِقِ

وقوله:

[البسيط]

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلٍ
وَقَدْ وَجَدْتَ مَجَالَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلْ
لَعَلَّ عَتَبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ وَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ

وقوله:

[الخفيف]

وَمُرَادُ النَّفْسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ نَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى
غَيْرَ أَنَّ الْفَتَى يُلَاقِي الْمَنَايَا كَالْحَاتٍ وَلَا يُلَاقِي الْهَوَانَا
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدًّا فَمِنَ الْعَارِ أَنْ تَمُوتَ جَبَانَا

وقوله:

[الوافر]

وَلَمْ أَرْ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ

وقد ذكر الأستاذ عبدالوهاب عزام - وقد اعتنى بديوان المتنبي تصحيحاً وتعليقاً - في كتابه الشوارد أنه صلى مع صاحب له مرة فاقصر صاحبه على الفرض ولم يصل السنة فأنشده بيت المتنبي هذا قال: فكان يقول لي من بعد: كلما هممت بترك السنة تذكرت بيت صاحبك فصليتها.

وقبله قوله:

عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدْ وَحَدٌ وَيَنْبُو نَبْوَةَ الْقَضِيمِ الْكَهَامِ
وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي فَلَا يَذُرُ الْمَطِيَّ بِلَا سَنَامِ
وَلَمْ أَرْ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ
وقوله: [الطويل]

وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغْيِرًا تَكَلَّفُ شَيْءٌ فِي طِبَاعِكَ ضِدُّهُ
وقوله: [البيسط]

وَلَمْ تَزَلْ قَلَّةُ الْإِنْصَافِ قَاطِعَةً بَيْنَ الرَّجَالِ وَإِنْ كَانُوا ذَوِي رَحِمِ
وقوله: [الكامل]

وَإِذَا أَتَيْتَ مَذْمَمَتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ
وقوله: [الوافر]

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرْفٍ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعُ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
فَطَعُمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِيرٍ كَطَعُمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ
وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَافْتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ
وقوله: [الوافر]

يُدْفَنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَتَمْشِي أَوْ اخِرْنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي
وَكَمْ عَيْنٍ مُقْبَلَةٍ النَّوَاحِي كَحِيلٍ بِالْجَنَادِلِ وَالرَّمَالِ

وَمُغْضٍ كَانَ لَا يُغْضِي لِخَطْبٍ وَبَالٍ كَانَ يُفَكِّرُ فِي الْهُزَالِ
وقوله: [الخفيف]

وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانَ بِأَرْضٍ طَلَبَ الطَّعْنَ وَخَدَهُ وَالنَّزَالَ
وقوله: [الطويل]

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا
وَوَضَعَ النَّدَا فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا مُضِرٌّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَا
وقوله: [الرجز]

إِنْ تَدْعُ يَا سَيْفُ لِتَسْتَعِينَهُ
يُجِيبُكَ قَبْلَ أَنْ تُتِمَّ سَيْنَهُ

وقوله: [البسيط]

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤْمَلُهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ فِيمَا أُحَازِرُهُ
لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلَا يَهَيِّضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ

ذكر هذين البيتين ابن كثير في البداية والنهاية فيما يستجد من شعره، ثم قال: وقد بلغني عن شيخنا العلامة أبي العباس أحمد ابن تيمية - رحمه الله تعالى - أنه كان ينكر على المتنبي هذه المبالغة، ويقول: إنما يصلح هذا لجناب الله - عز وجل -.

وذكر ابن كثير أيضًا أن ابن القيم أخبره أن شيخ الإسلام ابن تيمية ربما دعا بهذين البيتين في سجوده.

- ومن أعلام هذا العصر: أبو العلاء المعري، ذكر الذهبي في السير كثيرًا مما يدل على صحة ما كان يُرمى به من الإلحاد، وذكر أيضًا أنه قرأ القرآن بروايات وسمع الحديث على ثقات، ثم قال: ويظهر لي من حال هذا المخذول أنه متحير، لم يجزم بنحلة، اللهم فاحفظ علينا إيماننا.

وقد قال القحطاني في نونيته:

[الكامل]

تَعَسَّ الْعَمِيَّ أَبُو الْعَلَاءِ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ مَجْمُوعًا لَهُ الْعَمِيَانِ
وَلَقَدْ نَظَّمْتُ قَصِيدَتَيْنِ بِهِجْوِهِ أَيْبَاتُ كُلِّ قَصِيدَةٍ مِثْلَانِ
قال أبو العلاء المعري:

[البسيط]

يَدُ بِخَمْسٍ مِيٍّ مِنْ عَسَجِدٍ وَدِيَتْ مَا بِالْهَاءِ قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارٍ
تَنَاقُضُ مَا لَنَا إِلَّا الشُّكُوتُ لَهُ وَأَنْ نَعُودَ بِمَوْلَانَا مِنَ النَّارِ
فأجابه القاضي عبدالوهاب بن نصر البغدادي المالكي كما في تفسير ابن كثير بقوله: لما كانت أمينة كانت ثمينة فلما خانت هانت.

وأجابه القاضي عبدالوهاب أيضًا شعرًا كما في الذخيرة للقرافي وفتح الباري لابن حجر

[البسيط]

فقال:

صِيَانَةُ الْعُضْوِ أَغْلَاهَا وَأَرْخَصَهَا خِيَانَةُ الْمَالِ فَاظْهَرُ حِكْمَةَ الْبَارِي
من أجمل شعر أبي العلاء ما قاله في رثاء فقيه حنفي - وهو أشهر شعره - قال: [الخفيف]

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي نَوْحُ بَاكِ وَلَا تَرْتُّمُ شَادِي
وَشَبِيهُ صَوْتِ النَّعِيِّ إِذَا قِيءَ سَسَ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادٍ
أَبَكْتَ تِلْكَمُ الْحَمَامَةُ أَمْ غَنَدَ نَنْتَ عَلَى فَرْعِ غُضَنِهَا الْمَيَّادِ
صَاحِ هَذَا فُبُورُنَا تَمْلَأُ الرَّحَدَ بَبَ فَإِنَّ الْقُبُورَ مِنْ عَهْدِ عَادِ
خَفَّفِ الْوُطْأَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الـ أَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
وَقَبِيحُ بِنَا وَإِنْ قَدُمَ الْعَهْدُ سُدُّ هَوَانِ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
سِرٌّ إِنْ اسْطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رُويْدًا لَا اخْتِيَالًا عَلَى رُفَاتِ الْعِبَادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مِرَارًا ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ الْأَضْدَادِ
وَدَفِينِ عَلَى بَقَايَا دَفِينِ فِي طَوِيلِ الْأَرْمَانِ وَالْأَبَادِ

إلى أن قال:

تَعَبُ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعْبَ جَبُّ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي اِرْدِيَادِ
 وكان أبو العلاء أعجوبة في حفظه وذكائه، حصل أنه التقى بالمرتضى، وكان المرتضى يذم
 المتنبي ويكثر الوقعة فيه، أما أبو العلاء فكان متعصباً للمتنبي ويقول: هو أشعر
 المُحدثين، ويُفضّله على بشار وأبي نواس وأبي تمام، فالتقيا في مجلس جرى فيه ذكر
 المتنبي فتتقّصه المرتضى وجعل يتتبع عيوبه، فقال المعري: لو لم يكن للمتنبي من الشعر
 إلا قوله: [الكامل] (لَكَ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ) لكفاه فضلاً!

فغضب المرتضى وأمر به فسحب برجله وأخرج من مجلسه، وقال لجلسائه: أتدرون أي
 شيء أراد هذا الأعمى بذكر هذه القصيدة؟ فإن للمتنبي ما هو أجود منها فليل: النقيب
 السيد أعرف فقال: أراد قوله في هذه القصيدة:

وَإِذَا أَتَيْتُكَ مَذْمَمَتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ
 وقول المعري في أبياته السابقة:

أَبَكْتُ تِلْكَمُ الْحَمَامَةَ أَمْ غَنَنْتُ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا الْمَيَّادِ
 يريد به أنه ليس في الحياة ما يدعو إلى لذة، أو يستثير النفس إلى جزع، حتى إنه لا يرى
 فرقاً بين البكاء والغناء، والشعراء كثيراً ما يذكرون الحمام في شعرهم، وينزلون صوت
 الحمام على حالهم، فإذا سمع أحدهم صوت الحمام وكان فرحاً قال: هذا الحمام يغني،
 وإذا كان حزينا قال: ينوح، كما قال الشاعر:

[الوافر]

لَقَدْ عَرَضَ الْحَمَامُ لَنَا بِسَجْعٍ إِذَا أَصْغَى لَهُ رَكْبٌ تَلَاخَى
 شَجَى قَلْبِ الْخَلِيٍّ فَقَالَ: غَنَّى وَبَرَّحَ بِالشَّجِيِّ فَقَالَ: نَاخَا
 وسمع أحد العباد صوت الحمام، فقال:

[الطويل]

أَبَيْتُ عَلَى سَهْوٍ وَتَبَكِّيَ الْحَمَائِمُ وَلَيْسَ لَهَا جُرْمٌ وَمَنْنِي الْجَرَائِمُ
 كَذَبْتُ لَعَمْرُ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ صَادِقًا لَمَّا سَبَقْتَنِي بِالْبُكَاءِ الْحَمَائِمُ

وأحد الشيعة سمع صوت الحمام، فقال:

[مجزوء الكامل]

شَبَّهْتُهِنَّ وَقَدْ بَكَيَ —————
بِنِسَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ —————
نَ وَمَا ذَرَفْنَ دُمُوعَ عَيْنِ
لَمَّا بَكَينَ عَلَى الْحُسَيْنِ

ومن أجمل ما قيل في الحمام - ويجوز حذف (من) - قول الشاعر:

[الرمل]

رُبَّ وَرَقَاءَ هَتُوفٍ بِالضُّحَى ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنَنِ
ذَكَرْتُ الْفَاوْذَهْرًا مَاضِيًا فَبَكَتْ حُزْنًا فَهَاجَتْ شَجْنِي
فَبَكَائِي رُبَّمَا أَرْقَاهَا وَبُكَاهَا رُبَّمَا أَرْقَنِي
وَلَقَدْ تَبَكِّيَ فَمَا أَفْهَمَهَا وَلَقَدْ أَبْكِي فَمَا تَفْهَمُنِي
غَيْرَ أَنِّي بِالْجَوَى أَعْرِفُهَا وَهِيَ أَيْضًا بِالْجَوَى تَعْرِفُنِي
أَتْرَاهَا بِالْبُكَامُوعَةِ أَمْ سَقَاهَا الْبَيْنُ مَا جَرَّ عَنِي

هذه الأبيات ذكر بعضها ابن القيم في كتابه الكلام على مسألة السماع، وذكر أن هذه الأصوات كثيرًا ما ينزلها السامع على حاله، فتحرك هذه الأصوات منه ما يناسبه من فرح أو حزن أو غضب أو شوق أو غير ذلك.

ومن ذلك أيضًا قول أبي فراس الحمداني - وهو من أعلام هذا العصر - وقد سمع صوت

[الطويل]

حمامة بقربه على شجرة عالية وهو في الأسر فقال:

أَقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بُقْرَبِي حَمَامَةٌ أَيَا جَارَتَا هَلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِي
أَيْضَحَكَ مَا سُورُ وَتَبْكِي طَلِيقَةً وَيَسْكُتُ مَحْزُونٌ وَيَنْدُبُ سَالِي
لَقَدْ كُنْتُ أُولَى مِنْكَ بِالدَّمْعِ مُقْلَةً وَلَكِنَّ دَمْعِي فِي الْحَوَادِثِ غَالِي

[الطويل]

وقال وهو في الأسر:

أُسِرْتُ وَمَا قَوْمِي بِعُزْلِ لَدَى الْوَعَى وَلَا فَرَسِي مُهَرٌّ وَلَا رَبُّهُ غُمُرٌ
وَلَكِنْ إِذَا حُمَّ الْقَضَاءُ عَلَى امْرِئٍ فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ وَلَا بَحْرٌ

ومن شعره قوله:

[الطويل]

فَلَيْتَكَ تَحْلُوَ وَالْحَيَاةُ مَرِيرَةً وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامُ غَضَابُ
وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ
قال السَّكَّافُ في العود الهندي: ولقد أوفى على الإجادة غير أنه أساء الأدب؛ إذ لا يليق هذا
إلا بخطاب الباري ﷻ، ومن ثم استعملها في مناجاته جلة من العلماء.

ومنهم أبو إسماعيل الحسين بن عليّ المعروف بالطُّغْرَائِي نسبة إلى الطُّغْرَى وهي كلمة
أعجمية استعملتها العرب معناها الطُّرَّة التي تكتب عادةً في أعلى الكتاب بالخط الغليظ
تضمن نعوت الملك الذي يصدر الكتاب باسمه.

وقد قال أحمد شوقي في همزيته:

[الكامل]

نُظِمَتْ أَسَامِي الرُّسُلِ فَهِيَ صَحِيفَةٌ فِي اللَّوْحِ وَاسْمُ مُحَمَّدٍ طُغْرَاءُ
ومن مستجد شعر الطُّغْرَائِي لامية العجم التي نالت شهرة واسعة وُشِّرت شروحاً كثيرة
أشهرها شرح الصَّفدي مطلعها قوله:

[البسيط]

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الْخَطْلِ وَحَلِيَّةُ الْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى الْعَطْلِ
يقول فيها:

حُبُّ السَّلَامَةِ يَثْنِي عَزَمَ صَاحِبِهِ عَنِ الْمَعَالِي وَيُغْرِي الْمَرْءَ بِالْكَسْلِ
فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفْقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي الْجَوِّ فَاعْتَرِلِ
وَدَعْ غَمَارَ الْعُلَا لِلْمُقَدِّمِينَ عَلَى رُكُوبِهَا وَاقْتِنَعْ مِنْهُمْ بِالْبَلَلِ
يقول فيها:

إِنَّ الْعُلَا حَدَّثَنِي وَهِيَ صَادِقَةٌ فِيمَا تُحَدِّثُ أَنَّ الْعِزَّ فِي الثُّقَلِ
لَوْ أَنَّ فِي شَرَفِ الْمَأْوَى بُلُوغَ مَنَى لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ الْحَمَلِ
وآخرها قوله:

قَدْ رَشَّحُوكَ لِأَمْرِ إِنْ فَطِنْتَ لَهُ فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرَعَى مَعَ الْهَمَلِ

ثم بعد العصر العباسي وقبل العصر الحديث **عصرُ الدُّولِ المتتابعةِ** ويسميه بعض الباحثين عصرَ الانحطاط الأدبي وهذا الحكم ليس على إطلاقه فقد كان فيه شعراء مجيدون وإن كانت السمةُ الغالبة في هذا العصر نزولُ مكانة الشعر عما كانت عليه في العصر السالف. وقد سبق ذكر شيء من شعر هذا العصر في الكلام عن شعر العلماء.

ومن أعلام هذا العصر صَفِيُّ الدِّينِ الحِلِّيِّ ومن مُلَحِّهِ قوله: [الخفيف]

إِنَّمَا الْحَيَزَبُونَ وَالْدَّرْدِيْسُ وَالطَّخَا وَالنُّقَاخُ وَالْعَلْطَبِيْسُ
لُغَةً تَنْفِرُ الْمَسَامِعُ مِنْهَا حِينَ تُرَوَّى وَتَشْمِزُّ النُّفُوسُ
الحيزبون العجوز، أو التي لا خير فيها. والدردبیس العجوز الفانية والداهية. والطخا السحاب المرتفع. والنقاخ الماء البارد العذب الصافي. والعلطيس الأملس البراق. يقول:

إِنَّمَا الْحَيَزَبُونَ وَالْدَّرْدِيْسُ وَالطَّخَا وَالنُّقَاخُ وَالْعَلْطَبِيْسُ
لُغَةً تَنْفِرُ الْمَسَامِعُ مِنْهَا حِينَ تُرَوَّى وَتَشْمِزُّ النُّفُوسُ
وَقَبِيحٌ أَنْ يُذَكَّرَ النَّافِرُ الْوَحْـ شَيْءٌ مِنْهَا وَيُتْرَكَ الْمَأْنُوسُ
أَيْنَ قَوْلِي هَذَا كَثِيبٌ قَدِيمٌ وَمَقَالِي عَقْنَقْلٌ قُدْمُوسُ
خَلٌّ لِلْأَصْمَعِيِّ جَوْبَ الْفِيَا فِي فِي نِشَافٍ تَخِفُ فِيهِ الرُّؤُوسُ
إِنَّمَا هَذِهِ الْقُلُوبُ حَدِيدٌ وَلَذِيذُ الْأَلْفَاظِ مِغْنَاطِيْسُ
ومن مختار شعره في الحماسة والفخر قوله: [البسيط]

سَلِ الرِّمَاحَ الْعَوَالِي عَن مَّعَالِينَا وَاسْتَشْهِدِ الْبَيْضَ هَلْ خَابَ الرَّجَا فِينَا
لَقَدْ سَعَيْنَا فَلَمْ تَضْعُفْ عَزَائِمُنَا عَمَّا نَرُومُ وَلَا خَابَتْ مَسَاعِينَا
قَوْمٌ إِذَا اسْتُخْصِمُوا كَانُوا فَرَاغِنَةً يَوْمًا وَإِنْ حَكَمُوا كَانُوا مَوَازِينَا
تَدَرَّعُوا الْعَقْلَ جِلْبَابًا فَإِنْ حَمِيَتْ نَارُ الْوَعَى خَلَّتْهُمْ فِيهَا مَجَانِينَا

إِذَا ادَّعَوْا جَاءَتِ الدُّنْيَا مُصَدَّقَةً وَإِنْ دَعَوْا قَالَتْ الْيَوْمَ آمِينَا
 إِنَّا لَقَوْمٌ أَبَتْ أَخْلَاقُنَا شَرَفًا أَنْ نَبْتَدِيَ بِالْأَذَى مَنْ لَيْسَ يُؤْذِينَا
 بَيْضٌ صَنَانِعُنَا سُودٌ وَقَائِعُنَا خُضْرٌ مَرَابِعُنَا حُمْرٌ مَوَاضِينَا
 لَا يَظْهَرُ الْعَجْزُ مِنَّا دُونَ نَيْلِ مُنَى وَلَوْ رَأَيْنَا الْمَنَايَا فِي أَمَانِينَا

ومنهم صلاح الدين الصفديُّ ومن شعره لامية العجم التي يقول عنها الشوكاني في البدر الطالع:
 إن الصفدي سلك فيها مسلك الطغرائي في لامية العجم قال: وهي قصيدة رائقة مشتملة
 على حِكَمٍ نافعة.

وقد سبق أنه شرح لامية العجم فلا غرو أن يتأثر بالطغرائي وينتهج منهجه.

[البسيط]

قال فيها الصفدي:

الْجَدُّ فِي الْجَدِّ وَالْحَرَمَانُ فِي الْكَسَلِ فَانْصَبْ تُصَبُّ عَنْ قَرِيبٍ غَايَةَ الْأَمَلِ
 وَاصْبِرْ عَلَى كُلِّ مَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِهِ صَبِرَ الْحُسَامُ بِكَفِّ الدَّارِعِ الْبَطَلِ
 وَلَا تَكُونَا عَلَى مَا فَاتَ ذَا حَزَنِ وَلَا تَظَلَّ بِمَا أُوتِيَتْ ذَا جَذَلِ
 وَاسْتَشْعِرِ الْحِلْمَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَلَا تُسْرِعِ بِبَادِرَةِ يَوْمًا إِلَى رَجُلِ
 وَإِنْ بُلِيَتْ بِشَخْصٍ لَا خَلَاقَ لَهُ فَكُنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَلَمْ يَقُلْ
 وَلَا يَغُرَّنْكَ مَنْ يُبْدِي بِشَاشَتِهِ إِلَيْكَ خِدْعًا فَإِنَّ الشُّمَّ فِي الْعَسَلِ
 وَإِنْ أَرَدْتَ نَجَاحًا أَوْ بُلُوغَ مُنَى فَانْكُتُمْ أُمُورَكَ عَنْ حَافٍ وَمُتَعِلِ

المجلس السادس عشر

في هذا المجلس:

• **عصور الأدب:**

الشعر في الأندلس

* المعتمد بن عباد وشيء من أخباره وأشعاره.

- استعانه بيوسف بن تاشفين على النصارى.

- وقوعه أسيرًا، أول عيد فطر وهو في السجن، يوم الطين.

- رؤيا والده، البلاء موكل بالمنطق.

لَا تَمْزَحَنَّ بِمَا كَرِهْتَ فَرُبَّمَا ضَرَبَ الْمَزَاحُ عَلَيْكَ بِالتَّحْقِيقِ
* خبر مجنون ليلى وما جره إليه لسانه، خبر المؤمل الشاعر، عبید الجرهمي في
مجلس معاوية بن أبي سفيان يحكي أعجب شيء رآه في الجاهلية.

وَاحْفَظْ لِسَانَكَ أَنْ تَقُولَ فَتُبْتَلَى إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ
* ابن زيدون.

* لسان الدين ابن الخطيب.

٦/ العصر الحديث:

* محمود سامي البارودي

وَمَنْ تَكُنِ الْعِلَاءُ هَمَّةَ نَفْسِهِ فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبٌ
* حافظ إبراهيم

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدْ اصْطَفَاكَ مُقَسَّمُ الْأَرْزَاقِ
* أحمد شوقي، معارضة إبراهيم طوقان لأحمد شوقي:

شَوْقِي يَقُولُ وَمَا دَرَى بِمُصِيبَتِي "قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبَجِيلَا"
اقْعُدْ فَدَيْتُكَ...

* محمد مصطفى حمام

عَلَّمْتَنِي الْحَيَاةُ أَنَّ حَيَاتِي إِنَّمَا كَانَتْ امْتِحَانًا طَوِيلًا
قَدْ أَرَى بُعْدَهُ نَعِيمًا مُقِيمًا أَوْ أَرَى بُعْدَهُ عَذَابًا وَبِيلًا
* الشيخ حافظ الحكمي، ميمته في الوصايا والآداب العلمية، قصيدته التي أجاب
بها من مدحه:

عَادَتْ عَلَيْكُمْ تَحِيَّاتٌ مُضَاعَفَةٌ أَمَّا الْمَدِيحُ فَمَالِي حَاجَةٌ فِيهِ
مَا لِي وَلِلْمَدْحِ...



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فإن دولة الإسلام في الأندلس كانت على أوجها عندما قامت دولة بني أمية في تلك البلاد، واستمرت ما شاء الله، حتى كانت بعد ذلك دول الطوائف، فنفرقوا حتى صاروا
كما قال الشاعر:
[الكامل]

وَتَفَرَّقُوا شِيعًا فَكُلُّ مَحَلَّةٍ فِيهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْبَرٌ
وقال الحسن بن رشيق:
[البيط]

مِمَّا يُزْهَدُنِي فِي أَرْضِ أُنْدَلُسٍ أَسْمَاءُ مُعْتَصِدٍ فِيهَا وَمُعْتَمِدٍ
أَلْقَابُ مَمْلُكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَالْهَرِّ يَحْكِي انْتِفَاحًا صَوْلَةَ الْأَسَدِ
ثم انتهت بانتهاه آخر معقل من معاقل المسلمين وهو غرناطة في حكم عبدالله الصغير.

وخلال هذه المدة الزمنية الممتدة، شهد الأدب العربي ازدهارًا كبيرًا، واشتهر أدباء الأندلس بالبرقة ووصف الطبيعة مما أعان عليه حسن بلادهم وصفاء طبيعتهم.

ولا بأس أن نأخذ عَلمًا من أعلامها -شعرًا وحُكمًا وسياسةً وشجاعةً ورأيًا- وهو المُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ.

خشي المعتمد -وكان من كبار ملوك الطوائف- أن تسقط دولته إشبيلية على أيدي النصارى، فعزم على أن يكتب إلى يوسف بن تَاشَفِين -وهو أمير المسلمين آنذاك على بلاد المغرب- فيُعِينه بجيوشه وينتصر على النصارى. فحذره ملوك الطوائف من ذلك وقالوا له: الملك عقيم، والسيفان لا يجتمعان في غمد. يريدون أن ابن تاشفين إذا رأى

خُضرة البلاد وحسنها استولى على الأندلس وضمَّها إلى ملكه، فقال كلمته التي سارت مثلاً: رعي الجمال خير من رعي الخنازير يعني أن كونه أسيراً عند ابن تاشفين يرعى جماله في الصحراء خير من أن يكون أسيراً عند النصارى يرعى خنازيرهم.

وقدم يوسف والتقى هو والمعتد بن عبَّاد في صف واحد في معركة الزَّلَّاقة الشهيرة التي قيل: إن الله تعالى حفظ بلاد الأندلس من السقوط أكثر أربعة قرون بسبب هذه المعركة، وكان فيها النصر الذي يتحدث عنه التاريخ، ثم لما أَلقت الحرب أوزارها رجع يوسف إلى بلاده ولكنه رجع وقد عزم على أن يعود؛ لِمَا رأى فيها من افتراق الكلمة، وكيد بعض أمراء الأندلس لبعض، واستعانتهم بالنصارى على إخوانهم.

فرجع بعد سُنيهات يسيرة، والتقى يوسف بن تاشفين والمعتد مرة أخرى، لكنهما كانا في صفين متقابلين متقاتلين.

أحاط جيش يوسف بقصر المعتد، ودخل إليه رجلاً، فخرج إليهما ليس عليه سوى قميصه وسيفه، فحمل على أحدهما وقتله، ففزع الآخر وهرب، فأنشد المعتد على

البديهة والارتجال -وقد أحيط به-:

لَمَّا تَمَاسَكَتِ الدُّمُوعُ وَتَنَهَّاهُ الْقَلْبُ الصَّادِيعُ
قَالُوا الْخُضُوعُ سِيَاسَةٌ فَلْيُذْ مِنْكَ لَهُمْ خُضُوعُ
وَأَلْذُ مِنْ طَعْمِ الْخُضُوعِ عَ عَلَى فَمِي السُّمُّ النَّقِيعُ
إلى أن قال:

قَد رُمْتُ يَوْمَ قِتَالِهِمْ أَلَّا تُحَصِّنَنِي الدُّرُوعُ
وَبَرَزْتُ لَيْسَ سِوَى الْقَمِي— صِ عَنِ الْحَشَا شَيْءٌ دُفُوعُ
أَجَلِي تَأَخَّرَ لَمْ يَكُنْ بِهَوَايَ ذُلِّي وَالْخُضُوعُ
مَا سِرْتُ قَطُّ إِلَى الْقِتَا لِ وَكَانَ مِنْ أَمَلِي الرُّجُوعُ

شَيْمُ الْأَلَى أَنَا مِنْهُمْ وَالْأَصْلُ تَبْعُهُ الْفُرُوعُ
 وقع المُعتمد في آخر الأمر أسيرًا في يد يوسف بن تاشفين، ووضعوه في سفينة، ورجل
 بالمُعتمد وآله، بعد استئصال جميع أحواله، ليُنْفَى إلى أغمات في المغرب العربي،
 وتعرّض أبو الحسن الحُصْري الشاعر في طنجة للمُعتمد بشعر يمدحه فيه والمُعتمد
 أسير، فوجّه إليه المُعتمد بشيء من الأعطيات، ومع الأعطيات قطعة فيها شعر يعتذر من
 قِلَّتْهَا، فتسامع الشعراء بذلك فقصدوه من كل ناحية، فقال رحمه الله: [الكامل]

شُعْرَاءُ طَنْجَةَ كُلُّهُمْ وَالْمَغْرِبِ ذَهَبُوا مِنَ الْإِغْرَابِ أَبْعَدَ مَذْهَبِ
 سَأَلُوا الْعَسِيرَ مِنَ الْأَسِيرِ وَإِنَّهُ بِسُؤَالِهِمْ لَأَحَقُّ فَاغْجَبْ وَاعْجَبِ
 لَوْلَا الْحَيَاءُ وَعِزَّةُ لَخُمِيَّةٌ طَيِّ الْحَشَا سَاوَاهُمْ فِي الْمَطْلَبِ
 ولما رأى الناس المُعتمد بن عباد أسيرًا تركوا كل ما عندهم - هذا أعظم ملوكهم! -
 ووقفوا على جانبي النهر يستعبرون ويبيكون، ومعهم ابن اللبانة - وكان منقطعًا إلى
 المُعتمد - فقال ابن اللبانة قصيدته المشهورة: [البسيط]

تَبْكِي السَّمَاءُ بِدَمْعٍ رَائِحِ غَادِي عَلَى الْبَهَائِلِ مِنْ أَبْنَاءِ عِبَادِ
 نَسِيتُ إِلَّا غَدَاةَ النَّهْرِ كَوْنَهُمْ فِي الْمُنَشَّاتِ كَأَمْوَاتِ بِالْحَادِ
 وَالنَّاسُ قَدْ مَلَأُوا الْعَبْرَيْنِ وَاعْتَبَرُوا مِنْ تُولُؤِ طَافِيَاتِ فَوْقَ أَرْبَادِ
 حُطَّ الْقِنَاعُ فَلَمْ تُسْتَرْ مُخَدَّرَةٌ وَمُرِّقَتْ أَوْجُهُ تَمْزِيْقَ أَبْرَادِ
 حَانَ الْوَدَاعُ فَضَجَّتْ كُلُّ صَارِخَةٍ وَصَارِخٍ مِّنْ مُّفْدَاةٍ وَمِنْ فَادِ
 سَارَتْ سَفَائِنُهُمْ وَالنَّوْحُ يَصْحَبُهَا كَأَنَّهَا إِبِلٌ يَحْدُو بِهَا الْحَادِي
 وأول عيد فطر أدرك المُعتمد وهو مأسور، جاءت فيه بناته إلى السجن يهنئنه بالعيد، فلما
 نظر إليهن رأى وجوهاً قد أجذبت، وأقداما حافية تطأ في الطين، فتذكر قصة حصلت له
 معهن، وهي أن أمهن الرُّمَيْكِيَّة الملقبة باعتماد رأت ذات يوم نساء البادية يبعن اللبن في
 القرب، وهن رافعات عن سوقهن في الطين فقالت له: أشتهي أن أفعل أنا وجواريّ مثل

هؤلاء النساء فأمر المعتمد بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد وصير الجميع طيناً في القصر وجعل لها قِرباً وحبالاً من إبريسم وخرجت تخوض في الطين هي وبناتها وجواريه^(١) ، فلما رآهن الآن يطأن في الطين حافيات، حزن حزناً شديداً أنطقه بأشهر قصيدة له وهي قوله:

[البسيط]

فِيمَا مَضَى كُنْتُ بِالْأَعْيَادِ مَسْرُورًا فَسَاءَكَ الْعِيدُ فِي أَغْمَاتِ مَأْشُورَا
تَرَى بَنَاتِكَ فِي الْأَطْمَارِ جَائِعَةً يَغْزِلْنَ لِلنَّاسِ مَا يَمْلِكْنَ قِطْمِيرَا
بَرَزْنَ نَحْوَكَ لِلتَّسْلِيمِ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُنَّ حَسِيرَاتٍ مَكَاسِيرَا
يَطْأْنَ فِي الطِّينِ وَالْأَقْدَامُ حَافِيَةٌ كَأَنَّهَا لَمْ تَطَأْ مِسْكَاً وَكَافُورَا
لَا خَدَّ إِلَّا تَشَكَّى الْجَدْبَ ظَاهِرُهُ وَلَيْسَ إِلَّا مَعَ الْأَنْفَاسِ مَمْطُورَا
أَفْطَرْتُ فِي الْعِيدِ لَا عَادَتِ إِسَاءَتُهُ فَكَانَ فِطْرُكَ لِلْأَكْبَادِ تَقْطِيرَا
قَدْ كَانَ دَهْرُكَ إِنْ تَأْمُرْهُ مُمْتَلِئًا فَردَّكَ الدَّهْرُ مِنْهَيَّا وَمَأْمُورَا
مَنْ بَاتَ بَعْدَكَ فِي مُلْكٍ يُسْرِبُهُ فَإِنَّمَا بَاتَ بِالْأَحْلَامِ مَغْرُورَا

كان والد المعتمد وهو عبّاد بن محمد بن إسماعيل رأى رؤيا، عُبرت له بأن رجلاً يأتي من بلاد المغرب ويستولي على دولتك هذه، ويأخذ أميرها أسيراً، فجلس العبّاد مع بنيه وقال: يا بني، إني رأيت في المنام كذا وكذا، فليت شعري أيكم الذي سيكون هذا في عهده؟ فقال المعتمد هذا إذ أراد تطيب خاطر والده: جُعِلْتُ فداءك!

وشاء الله أن تدور الأيام ويكون المعتمد هو الذي تحققت فيه هذه الرؤيا.

وقد صح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: البلاء موكل بالقول، ويُروى مرفوعاً ولم يصح، لكن شواهد كثيرة.

(١) ذكر في نفع الطيب أنه غاضبها يوماً فقالت له: والله ما رأيت منك خيراً قط، فقال لها: ولا يوم الطين؟ تذكيراً لها بهذا اليوم الذي أباد فيه من الأموال ما لا يعلمه إلا الله فاستحيّت واعتذرت.

من ذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دخل على أعرابي يعودُه، فقال: «لا بأس طهور إن شاء الله» فقال الأعرابي: طهور! بل حمى تفور، على شيخ كبير، تُزيّره القبور! فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «فنعِم إذا» أخرجه البخاري.

ومن شواهد هذا من الشعر: قول قيس مجنون ليلى:

فَلَوْ كُنْتُ أَعْمَى أَخْبِطُ الْأَرْضَ بِالْعَصَا أَصَمَّ فَنَادَتْنِي أَجَبْتُ الْمُنَادِيَا
فابتلي نساء الله العافية بذلك، فعَمِي وَصَمَّ، وقال أيضًا:

قَضَاهَا لِغَيْرِي وَابْتَلَانِي بِحُبِّهَا فَهَلَّا بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلَى ابْتِلَانِيَا
فما مات حتى برّص، ورأى في منامه قائلاً يقول له: هذا ما تمنيت.

ومن ذلك أيضًا قول المؤمِّل الشاعر:

شَفَّ الْمُؤَمِّلَ يَوْمَ الْحِيرَةِ النَّظْرُ لَيْتَ الْمُؤَمِّلَ لَمْ يُخْلَقْ لَهُ بَصَرُ
فلم يلبث أن عمي! ورأى في منامه من يقول له: هذا ما تمنيت في شعرك.

وقد أشار ابن القيم في تحفة المودود إلى شيء من هذا، وقال: وقد رأينا من هذا عبرًا فينا وفي غيرنا، والذي رأيناه كقطرة في بحر. ثم أورد بيت المؤمِّل هذا.

ومن شواهد أن ملك العرب المُنذر بن المُنذر نزل في كتيبة موضعًا فقال له رجل: أبيت اللعن! إن ذُبِحَ رجل هاهنا إلى أيِّ موضع يبلغ دمه من هذه الرّابية؟
فقال المنذر: المذبوح والله أنت، ولأنظرنَّ أين يبلغ دمك! فقال رجل ممن حضر: رُبَّ كلمة تقول لصاحبها دعني!

وقال أَكْثَمُ بن صَيْفِي: مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَّيْهِ.

وقال الْأَخْنَفُ: حَتَفَ الرَّجُلُ مَخْبُوءَ تَحْتِ لِسَانِهِ.

[الكامل]

لَا تَمْزَحَنَّ بِمَا كَرِهْتَ فَرَبِّمَا ضَرَبَ الْمِزَاحُ عَلَيْكَ بِالتَّحْقِيقِ
وقد قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما لعبيد الجرهمي: أخبرني بأعجب شيء
رأيتَه في الجاهلية. فقال: إني نزلتُ بحَيٍّ من قُضَاعَةٍ فخرجوا بِجِنَازَةٍ رجلٍ من عُدْرَةٍ
وخرجت معهم، حتى إذا وَاَرَوْهُ انتبذت جانبًا عن القوم وعيناى تذرْفَان، ثم تمثَّلتُ بأبيات
شعر كنتُ أرويهَا قبل ذلك بزمان طويل، وذكر الأبيات وفي آخرها: [البسيط]

يَبْكِي الْغَرِيبُ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورٌ
قال: وإلى جانبي رجل يسمع ما أقول، فقال لي: يا عبدالله هل لك علم بقائل هذه
الأبيات؟ قلت: لا والله، إلا أني أرويهَا منذ زمان. فقال: والذي تحلف به إنَّ قائلها لصاحبنا
الذي دفنَاه الْآن، وهذا الذي ترى ذو قرابته أَسْرُ الناس بموته، وإنك لغيرب وتبكي عليه
كما وصفت. [الكامل]

لَا تَنْطِقْ بِمَقَالَةٍ فِي مَجْلِسٍ تَخْشَى عَوَاقِبَهَا وَكُنْ ذَا مَصْدَقٍ
وَاحْفَظْ لِسَانَكَ أَنْ تَقُولَ فُتُبْتَلَى إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ
ومما يُستظرف قول بعضهم وقد نقل المنطق في قولهم: البلاء موكل بالمنطق من معنى
القول إلى علم المنطق اليوناني، فقال: [الكامل]

نَفَذَ الْقَضَاءُ بِأَخْذِ كُلِّ مُرْهَقٍ مُتَفَلِّسٍ فِي دِينِهِ مُتَزَنِّدٍ
بِالْمَنْطِقِ اشْتَغَلُوا فَقِيلَ حَقِيقَةً إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ
ومما يتصل بهذا: أن ابن الرومي كان كثير الطيرة، ربما أقام المدة الطويلة لا يتصرف تطيرًا
بسوء ما يراه ويسمعه حتى إن بعض إخوانه من الأمراء افتقده فأعلم بحاله في الطيرة، فبعث إليه
خادمًا اسمه إقبال ليتفأل به فلما أخذ أهبطه للركوب، قال للخادم: انصرف إلى مولاك فأنت
ناقص، ومنكوس اسمك لا بقا!

- ومن أعلام الشعراء بالأندلس ابن زيدون، وأشهر قصائده نُونيته التي مطلعها: [البسيط]

أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيلًا عَنْ تَدَانِينَا وَنَابَ عَنْ طَيْبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا
وفيها يقول:

لِيُسْقَ عَهْدُكُمْ عَهْدَ الشُّرُورِ فَمَا كُنْتُمْ لِأَزْوَاحِنَا إِلَّا رِيَا حِينَا
لَا تَحْسِبُوا نَأْيَكُمْ عَنَّا يُغَيِّرُنَا إِذْ طَالَمَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَا
وَاللَّهِ مَا طَلَبْتَ أَهْوَاؤُنَا بَدَلًا مِّنْكُمْ وَلَا انصَرَفْتَ عَنْكُمْ أَمَانِينَا
وله تلك المقطوعة الجميلة التي قالها في الذكرى متوجعًا: [الرمل]

وَدَعَّ الصَّبْرَ مُحِبًّا وَدَعَاكَ ذَائِعٌ مِّنْ سِرِّهِ مَا اسْتَوَدَعَكَ
يَقْرَعُ السَّنَّ عَلَى أَنْ لَّمْ يَكُنْ زَادَ فِي تِلْكَ الْخُطَى إِذْ شَيَّعَكَ
يَا أَخَا الْبَدْرِ سَنَاءً وَسَنًا حَفِظَ اللَّهُ زَمَانًا أَطْلَعَكَ
إِنْ يَطُلْ بَعْدَكَ لَيْلِي فَلَكُمْ بَتُّ أَشْكُو قِصَرَ اللَّيْلِ مَعَكَ
- ومن أعلام شعراء الأندلس لسان الدين ابن الخطيب ذو الوزارتين، مفخرة من مفاخر الأندلس، صاحب البيان الرائق، والشعر الفائق، روى كثيرًا من أخباره وأشعاره المَقْرِي في كتابه "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب". من شواهد حسن بيانه وجودة قريحته أنه بعثه السلطان محمد بن أبي الحجاج سفيرًا إلى السلطان أبي عنان مستمداً له على عدوّه على عادته مع سلفه. فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه، تقدّم الوفد الذين معه من وزراء الأندلس وفقهائها واستأذنه في إنشاد شعر قدّمه بين يدي نجواه، فأذن له، فأنشد وهو قائم: [المنسرح]

خَلِيفَةَ اللَّهِ سَاعَدَ الْقَدْرُ عُلَاكَ مَا لَاحَ فِي الدُّجَى قَمَرُ
وَدَافَعْتَ عَنْكَ كَفُّ قُدْرَتِهِ مَا لَيْسَ يَسْطِيعُ دَفْعُهُ الْبَشَرُ
وَجْهُكَ فِي النَّبَاتِ بَدْرٌ دُجَى لَنَا وَفِي الْمَحَلِّ كَفُّكَ الْمَطَرُ
وَالنَّاسُ طُرّاً بِأَرْضِ أَنْدَلُسٍ لَوْلَاكَ مَا أَوْطَنُوا وَلَا عَمَرُوا
وَجُمْلُهُ الْأَمْرُ أَنَّهُ وَطَنُ فِي غَيْرِ عُليَاكَ مَا لَهُ وَطَرُ

وَمَنْ بِهِ مُذْ وَصَلَتْ حَبْلَهُمْ مَا جَحَدُوا نِعْمَةً وَلَا كَفَرُوا
وَقَدْ أَهَمَّتْهُمْ نَفُوسُهُمْ فَوَجَّهُونِي إِلَيْكَ وَانْتَظَرُوا
فاهتزَّ السلطان لهذه الأبيات وأذن له في الجلوس، وقال له قبل أن يجلس: ما ترجع إليهم
إلا بجميع طلباتهم، ثم أثقل كاهلهم بالإحسان، وردّهم بجميع ما طلبوه.

قال القاضي أبو القاسم الشريف وكان معه في ذلك الوفد: لم نسمع بسفير قضى سفارته
قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا.

ومن أشهر شعره موشحته التي يقول فيها:

[الرمل]

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَى يَا زَمَانَ الْوَصْلِ بِالْأَنْدَلُسِ
لَمْ يَكُنْ وَضْلُكَ إِلَّا حُلْمًا فِي الْكَرَى أَوْ خُلْسَةِ الْمُخْتَلِسِ
إِذْ يَقُودُ الدَّهْرُ أَشْتَاتَ الْمُنَى تَنْقُلُ الْخَطْوَ عَلَى مَا يَرُسُّمُ
زَمَرًا بَيْنَ فُرَادَى وَثُنَى مِثْلَ مَا يَدْعُو الْوَفُودَ الْمَوْسِمُ
وَالْحَيَا قَدْ جَلَّلَ الرُّوَضَ سَنَا فَتُغَوِّرُ الزَّهْرُ فِيهِ تَبَسُّمُ
وَرَوَى النُّعْمَانُ عَنِ مَاءِ السَّمَاءِ كَيْفَ يَرْوِي مَالِكٌ عَنْ أَنْسِ
فَكَسَاهُ الْحُسْنُ ثَوْبًا مُعْلَمًا يَزْدَهِي مِنْهُ بِأَبْهَى مَلْبَسِ
فِي لَيْالٍ كَتَمَتْ سِرَّ الْهَوَى بِالْدُّجَى لَوْلَا شُمُوسُ الْغُرَرِ
مَالَ نَجْمِ الْكَأْسِ فِيهَا وَهَوَى مُسْتَقِيمِ السَّيْرِ سَعْدَ الْأَثَرِ
وَطَرٌّ مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى أَنَّهُ مَرَّ كَلَمَحِ الْبَصَرِ
حِينَ لَدَّ الْأَنْسُ شَيْئًا أَوْ كَمَا هَجَمَ الصُّبْحُ هُجُومَ الْحَرَسِ
غَارَتْ الشُّهُبُ بِنَا أَوْ رُبَّمَا أَثَرَتْ فِيهَا عَيُونُ النَّرْجِسِ

وقوله:

وَرَوَى النُّعْمَانُ عَنِ مَاءِ السَّمَاءِ كَيْفَ يَرْوِي مَالِكٌ عَنْ أَنْسِ
فيه تورية وهي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد.

فكلمة النعمان معناها القريب مَلِك الحيرة، ومعناها البعيد المقصود زهر أحمر يقال: له شقائق النعمان، وماء السماء معناه القريب جد النعمان ملك الحيرة ومعناه البعيد المقصود: المطر.

والمعنى أن بين شقائق النعمان والمطر من النسبة ما بين الإمام مالك بن أنس وأبيه أنس من أن الأول فيهما ابن للثاني وناشئ عنه.

ومن شعره قوله: [المتدارك]

أَبْنِي الْأَنْصَارَ لَكُمْ شَرَفٌ حُكْمُ الْقُرْآنِ بِهِ نَطَقَا
أَوْوَا نَصَرُوا أَوْذُوا صَبَرُوا كَانُوا لِرَسُولِ اللَّهِ وَقَا
حَفِظُوهُ بِبَذْلِ النَّفْسِ كَمَا حَفِظُوا بِجُفُونِهِمُ الْحَدَقَا
وله رَقْمُ الْحُلُلِ فِي نِظْمِ الدُّوَلِ فِي التَّارِيخِ، يقول فيها في أهمية علم التاريخ: [الرجز]

وَبَعْدُ فَالَّتَّارِيخُ وَالْأَخْبَارُ فِيهِ لِنَفْسِ الْعَاقِلِ اعْتِبَارُ
وَفِيهِ لِلْمُسْتَبْصِرِ اسْتِصْصَارُ كَيْفَ أَتَى الْقَوْمُ وَكَيْفَ صَارُوا
يُجْرِي عَلَى الْحَاضِرِ حُكْمَ الْعَائِبِ فَيُثَبِّتُ الْحَقَّ بِسَهْمِ صَائِبِ
وَيَنْظُرُ الدُّنْيَا بِعَيْنِ النُّبْلِ وَيَتْرُكُ الْجَهْلَ لِأَهْلِ الْجَهْلِ

- ثم بعده العصر الحديث

ومن أعلامه محمود سامي البارودي باعث الشعر في العصر الحديث، أشعاره درر، وقصائده غرر، جزل الأسلوب، فحل الألفاظ والمعاني، من مُتَخَيَّرِ شعره قوله:

سَوَايَ بِتَخَنَانِ الْأَغَارِيدِ يَطْرَبُ وَغَيْرِي بِاللَّذَاتِ يَلْهُو وَيُعْجَبُ
وَمَا أَنَا مِمَّنْ تَأْسِرُ الْخَمْرُ لُبَّهُ وَيَمْلِكُ سَمْعِيهِ الْيَرَاغُ الْمُثَقَّبُ
وَلَكِنْ أَخُوهُمْ إِذَا مَا تَرَجَّجَتْ بِهِ سَوْرَةٌ نَحْوَ الْعُلَا رَاحَ يَذَابُ

نَفَى النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْهِ نَفْسُ أَبِيَّةُ
 إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا
 وَمَنْ تَكُنِ الْعِلَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ
 لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَطْلَبُ
 فَلَا عَزَّي خَالٌ وَلَا ضَمْنِي أَبُ
 فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبُ
 ومن أعلام هذا العصر حافظ إبراهيم الذي قال على لسان العربية تنعى حظها بين أهلها:

[الطويل]

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِي
 رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي
 وَلَدْتُ وَلَمْ أَلَمْ أَجِدْ لِعِرَائِسِي
 وَسِعَتْ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً
 فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ
 أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنُ
 ومن جميل شعره قوله:

وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِي
 عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عِدَاتِي
 رَجَالًا وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتِي
 وَمَا ضِيقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ
 وَتَنَسَّقِ اسْمَاءٌ لِمُخْتَرَعَاتِ
 فَهَلْ سَأَلُوا الْغَوَاصَ عَنْ صَدَفَاتِي
 [الكامل]

إِنِّي لَتَطْرِبُنِي الْخِلَالُ كَرِيمَةً
 وَتَهْزُنِي ذِكْرَى الْمُرُوءَةِ وَالنَّدَى
 وفيها يقول:

طَرَبَ الْغَرِيبِ بِأُوبَةٍ وَتَلَاقِي
 بَيْنَ الشَّمَائِلِ هِزَّةَ الْمُشْتَاكِ

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً
 وفيها يقول:

فَقَدْ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الْأَرْزَاقِ

وَالْعِلْمُ إِنْ لَمْ تَكْتَنِفْهُ شَمَائِلُ
 لَا تَحْسِبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ
 وفيها يقول:

تُعْلِيهِ كَانَ مَطِيَّةَ الْإِخْفَاقِ
 مَا لَمْ يُتَوَجَّ رَبُّهُ بِخَلَاقِ

الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعْدَدَتْهَا
 الْأُمُّ رَوْضٌ إِنْ تَعَهَّدَهُ الْحَيَا
 أَعْدَدَتْ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ
 بِالرِّيِّ أَوْ رَقَ أَيْمًا إِيْرَاقِ

ومن أعلامه: أمير الشعراء أحمد شوقي، ومن جميل ما جرى مجرى الأمثال من شعره
قوله:

[البسيط]

وَإِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا
وقوله:

[الكامل]

وَإِذَا أَصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتَمًا وَعَوِيلًا
وقوله:

[الوافر]

وَلَيْسَ بِعَامِرٍ بُنَيَانُ قَوْمٍ إِذَا أَخْلَاقُهُمْ كَانَتْ خَرَابًا
وقوله:

[الكامل]

أَعْلَمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذِي يَنْبِي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولًا
وقوله:

[السريع]

وَلَيْسَ بِالْفَاضِلِ فِي نَفْسِهِ مَنْ يُنْكِرُ الْفَضْلَ عَلَى رَبِّهِ
وقوله:

[السريع]

مَا أَضْعَبَ الْفِعْلَ لِمَنْ رَامَهُ وَأَسْهَلَ الْقَوْلَ عَلَى مَنْ أَرَادَ
وقوله:

[الكامل]

دَقَّاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانِي
وقوله:

[الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرُهُ إِذَا قِيلَ إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا
ولا تكاد تجد غرضًا شعريًا إلا وقد تعرّض له أحمد شوقي في شعره.

ومن أشهر شعره قصيدته نهج البردة التي مطلعها:

[البسيط]

رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ أَحَلَّ سَفَكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ
وقصيدته الهمزية التي مطلعها:
[الكامل]

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءُ
ومن شعره قوله:
[الكامل]

قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِيهِ التَّبَجِيلُ كَادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا
وقد عارض هذه القصيدة الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان فقال:

شَوْقِي يَقُولُ وَمَا دَرَى بِمُصِيبَتِي قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَوَفِيهِ التَّبَجِيلُ
أَفْعُدْ فَدَيْتُكَ هَلْ يَكُونُ مُبَجَّلًا مَن كَانَ لِلنَّشْءِ الصَّغَارِ خَلِيلًا
وَيَكَادُ يَفْلُقُنِي الْأَمِيرُ بِقَوْلِهِ كَادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا
إلى أن قال:

وَأَكَادُ أَبْعَثُ سَيِّوِيَهُ مِنَ الْبَلَى وَذَوِيهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرُونِ الْأُولَى
فَأَرَى حِمَارًا بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ رَفَعَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ وَالْمَفْعُولَا
يَا مَنْ يُرِيدُ الْإِنْتِحَارَ وَجَدْتُهُ إِنَّ الْمُعَلِّمَ لَا يَعِيشُ طَوِيلًا
وللشاعر المصري محمد مصطفى حمام قصيدة حكيمة جميلة يقول فيها: [الخفيف]

عَلَّمْتَنِي الْحَيَاةُ أَنَّ حَيَاتِي إِنَّمَا كَانَتْ امْتِحَانًا طَوِيلًا
قَدْ أَرَى بَعْدَهُ نَعِيمًا مُقِيمًا أَوْ أَرَى بَعْدَهُ عَذَابًا وَبِئْسًا
عَلَّمْتَنِي الْحَيَاةُ أَنْ أَتَلَقَّى كُلَّ أَلْوَانِهَا رَضًى وَقَبُولًا
وَرَأَيْتُ الرِّضَا يُخَفِّفُ أَثْقَا لِي وَيُلْقِي عَلَى الْمَآسِي سُدُولًا
وَالَّذِي أُلْهِمَ الرِّضَا لَا تَرَاهُ أَبَدَ الدَّهْرِ حَاسِدًا أَوْ عَذُولًا
أَنَا رَاضٍ بِكُلِّ مَا كَتَبَ اللَّـ هُ وَمُزَجَّ إِلَيْهِ حَمْدًا جَزِيلًا
أَنَا رَاضٍ بِكُلِّ صِنْفٍ مِّنَ النَّا سِ لَيْمًا أَلْفَيْتُهُ أَوْ بَيْلًا
ضَلَّ مَنْ يَحْسِبُ الرِّضَا عَنْ هَوَانٍ أَوْ يَرَاهُ عَلَى التَّفَاقِ دَلِيلًا

فَالرِّضَا نِعْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَمْ يَسْ
عَلَّمْتَنِي الْحَيَاةُ أَنَّ لَهَا طَعْمَ
أَكْثَرُ النَّاسِ يَحْكُمُونَ عَلَى النَّاسِ
فَلَکُمْ لَقَبُوا الْبَخِيلَ كَرِيمًا
رُبَّ عَذْرَاءٍ حُرَّةٍ وَصَمُوهَا
وَقَطَّيعِ الْيَدَيْنِ ظُلْمًا وَلِصِّ
عَدِبَهَا فِي الْعِبَادِ إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْ مُّرَا وَسَائِنًا مَّعْسُولًا
سِ وَهَيْهَاتَ أَنْ يَكُونُوا عُدُولًا
وَلَكُمْ لَقَبُوا الْكَرِيمَ بَخِيلًا
وَبَغِيٍّ قَدْ صَوَّرُوهَا بُتُولًا
أَشْبَعَ النَّاسُ كَفَّهُ تَقْبِيلًا

انظر إلى هذه الآيات كيف تُبغض إليك النفاق، وتُحبب إليك الصدق وتبين شيئاً من حقيقة الدنيا.

- ومن أعلامه وهو من رجال هذا العصر علماً وحفظاً وشعراً: الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله - وقد فاتني ذكره في الكلام عن شعر العلماء - وهو من أقدر المتأخرين على قول الشعر، وأجراهم به لساناً، يقوله سليقة دون تكلف، له منظومات كثيرة تشهد بجودة شعره وحسن أدبه وصلاح نفسه ووفرة علمه، وله أشعار كثيرة غير المنظومات العلمية، ينظم نصيحة أو مساجلة لصديق أو خاطرة. ومن أجمل قصائده ميمته في الوصايا والآداب العلمية، وفيها يقول مبيناً شيئاً من شرف العلم وعالي رتبته: [البسيط]

الْعِلْمُ أَعْلَى وَأَخْلَى مَا لَهُ اسْتَمَعَتْ
الْعِلْمُ غَايَتُهُ الْقُصْوَى وَرُتْبَتُهُ الْـ
الْعِلْمُ أَشْرَفُ مَطْلُوبٍ وَطَالِبُهُ
الْعِلْمُ نُورٌ مُبِينٌ يَسْتَضِيءُ بِهِ
الْعِلْمُ أَعْلَى حَيَاةٍ لِلْعِبَادِ كَمَا
أُذُنٌ وَأَعْرَبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمٍ
عَلِيَاءُ فَاسْعَوْا إِلَيْهِ يَا أُولِي الْهِمَمِ
لِلَّهِ أَكْرَمُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ
أَهْلُ السَّعَادَةِ وَالْجَهَالُ فِي الظُّلَمِ
أَهْلُ الْجَهَالَةِ أَمْوَاتٌ بِجَهْلِهِمْ

وقد ابتدأ ميمته بالحث على طلب العلم، وما ذكره في فضل العلم هو من مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم، لأن ابن القيم ذكر في أول مفتاح دار السعادة وجوهاً كثيرة في فضل العلم تزيد على مئة وخمسين وجهاً، فأمتع وأطرب وأتى بكل بديع، وما في صدر

الميمية هو ثلث هذه الوجوه التي ذكرها ابن القيم تقريباً، حتى إن ابن القيم سمي سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق سماها سورة القلم، فتبعه الشيخ حافظ وسماها سورة القلم، وهو من أسمائها، ولعلك لن تجد كلاماً في فضل العلم يرفع الهمة أفضل مما في صدر مفتاح دار السعادة، وقد قال صديق حسن خان: هو كتاب لا يوجد نظيره في الإسلام.

وفي الميمية يقول الشيخ حافظ:

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ لَا تَبْغِي بِهِ بَدَلًا	فَقَدْ ظَفِرْتَ وَرَبَّ اللُّوحِ وَالْقَلَمِ
وَقَدِّسِ الْعِلْمَ وَاعْرِفْ قَدْرَ حُرْمَتِهِ	فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْآدَابِ فَالْتَزِمِ
وَاجْهَدْ بِعَزْمٍ قَوِيٍّ لَا انْثِنَاءَ لَهُ	لَوْ يَعْلَمُ الْمَرْءُ قَدْرَ الْعِلْمِ لَمْ يَنْمِ
وَالنُّصْحَ فَأَبْذُلْهُ لِلطُّلَّابِ مُحْتَسِبًا	فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ وَالْأُسْتَاذَ فَاحْتَرِمِ
وَمَرْحَبًا قُلْ لِمَنْ يَأْتِيكَ يَطْلُبُهُ	وَفِيهِمْ اخْفِظْ وَصَايَا الْمُصْطَفَى بِهِمْ
وَالنِّيَّةَ اجْعَلْ لَوَجْهِهِ خَالِصَةً	إِنَّ الْبِنَاءَ بِدُونِ الْأَصْلِ لَمْ يَقُمْ
وَمَنْ يَكُنْ لِيَقُولَ النَّاسُ يَطْلُبُهُ	أَخْسِرْ بِصَفْقَتِهِ فِي مَوْقِفِ النَّدَمِ
وَمَنْ بِهِ يَبْتَغِي الدُّنْيَا فَلَيْسَ لَهُ	يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حَظٍّ وَلَا قِسْمِ

وقد ذكر الشيخ زيد بن محمد بن هادي - رحمه الله - عن الشيخ حافظ الحكمي: أن بعض أصحابه أرسل للشيخ حافظ قصيدة فيها ثناء عليه بما هو فيه، فأجاب الشيخ حافظ بأبيات قال فيها:

عَادَتْ عَلَيْكُمْ تَحِيَّاتٌ مُضَاعَفَةٌ	أَمَّا الْمَدِيحُ فَمَالِي حَاجَةٌ فِيهِ
وَلَسْتُ أَرْضَاهُ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ	وَلَسْتُ أَضْغِي إِلَى مَنْ قَامَ يُنْشِيهِ
إِذْ يُورِثُ الْعَبْدَ إِعْجَابًا يُسْرُّ بِهِ	وَمَا جَنَاهُ مِنَ الزَّلَّاتِ يُنْسِيهِ
مَالِي وَلِلْمَدْحِ وَالْأَمْلَاكِ قَدْ كَتَبُوا	سَعْيِي جَمِيعًا وَرَبُّ الْعَرْشِ يُحْصِيهِ
وَلَسْتُ أَذْري بِمَا هُمْ فِيهِ قَدْ سَطَرُوا	وَمَا أَنَا فِي مَقَامِ الْحَشْرِ لَاقِيهِ
وَمَا مَضَى لَسْتُ أَذْري مَا عَمِلْتُ بِهِ	وَمَا بَقِيَ أَيُّ شَيْءٍ صَانِعٌ فِيهِ

وَمَا اغْتَرَارِي لِأَهْلِ الْأَرْضِ لَوْ مَدَحُوا وَفِي السَّمَاوَاتِ ذِكْرِي لَسْتُ أَذْرِيهِ
إِيَّاكُمْ أَنْ تُعِيدُوا مِثْلَهَا أَبَدًا فَاسْتَقْبِلِ النَّصْحَ مِنِّي حَيْثُ أُمْلِيهِ
إلى آخر ما قال من النصح.

هذا آخر هذه المجالس، وقد كان المقصود منها أمران اثنان:

الأول: أن نتعرف على فضل الأدب ومنزلته وأهميته.

والثاني: أن تُعرَض نواتج نواتجه وروائعه وجواهره، لأنها إذا عرضت في المعرض الحسن
أوشكت أن تنجذب إليه القلوب، وأن تهوي إليها الأفتدة.

وكان الطريق إلى تحقيق هذا المقصود ثلاثة أشياء بُنِيَتْ عليها هذه المدارس:

أما الأول: فلماذا الدعوة إلى علم الأدب؟ وعرفنا أن الإسلام حث عليه، وأنه يعين على
فهم الكتاب والسنة، وأنه عنوان الهوية، وأنه يحث على الاتصاف بالكمالات، وعرفنا ما
له من التأثير، فإنه يرفع الوضع، ويضع الرفيع، وينزع الغضب، ويشير الأحقاد، ويكسب
سرعة البديهة، ويثمر السلامة من اللحن، وتُخلد به مفاخر الإسلام، ويُذَبُّ به عن
الأحساب، ويُمضي الشفاعات، ويستنجز الصّلات، وفيه ترويح للقلوب، وأخذنا شواهد
هذا كله من الأخبار والأشعار، وكان ذلك في ستة مجالس.

ثم القسم الثاني: في شعر العلماء وأدب الفقهاء منذ أن كان العلماء في هذه الأمة إلى
عصرنا هذا، وأخذنا أن العلماء والفقهاء أجادوا في هذه الصنعة، وأنه ما كان الفقه ليحول
بينهم وبين أن يكونوا شعراء مبدعين، وكان ذلك في أربعة مجالس، وهذا يمكن أن يدرج
فيما قبله فمن دواعي العناية بالأدب؛ أن العلماء أقبلوا على الأدب وقالوا الشعر وأبدعوا
فيه.

ثم القسم الثالث: في عصور الأدب من عصر الجاهلية إلى العصر الحديث، نأخذ من كل

عصر بعض أعلامه وشيئاً من أشعارهم وأخبارهم، وكانت المنهجية في هذا كله أن لا نشغل بما قيل في الأدب عن الأدب نفسه، بل عشنا مع الشعراء في سرعة بديهتهم، وحلو نادرهم، ولطيف حكاياتهم، وعشنا معهم في مفاخراتهم في مجالس الملوك، وفي ارتجازهم في حروبهم، وفي إنشادهم في أنديتهم.

هُنَا ثَنَى الْمَجْلِسُ مِنْ عَنَانِهِ
حِينَ خَبَا بَعْضُنَا مِصْبَاحُهُ
وَصَوِّحَ الْمُخَضَّرُ مِنْ رِيَاضِهِ
وَعَادَ مَغْنَاهُ صَعِيدًا بَلْقَعَا
نَسَجْتَهَا وَقَدْ خَلَا وَفَاضِي
لِكِي يَعُودَ النَّضْلُ فِي قَرَابِهِ
وَتُقْبَلَ النَّفْسُ عَلَى أَبْوَابِهِ
بَهَا بَلَّغْتُ الْآنَ مُتَّهَاهَا
يَا رَبِّ يَا رَبِّ بِكُلِّ اسْمٍ لَكَ
يَا رَبِّ وَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي كُلَّهَا
فَأَنْتَ لِي نِعَمَ الْوَلِيِّ وَأَنْتَ لِي
وَمَا بَقَاءُ الدَّمْعِ فِي الْعَيْنِ وَقَدْ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ قَالَ
ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالشَّانَا
عَلَى نَبِيِّنَا الْبَلِيغِ الْهَادِي
وَالِلهِ وَصَّحْبِهِ الْأَبْرَارِ

يَرْجُو شِفَا الْأَدِيبِ مِنْ أَشْجَانِهِ
وَرَكَدَتْ بَيْنَ الْوَرَى أَرْوَاحُهُ
وَنَضَبَ النَّمِيرُ مِنْ حِيَاضِهِ
وَمُمَعِرًا وَكَانَ دَهْرًا مُمَرَّعَا
وَقَدْ بَدَا لِمَنْ يَرَى إِنْفَاضِي
وَيَرْجِعَ الْأَمْرُ إِلَى نِصَابِهِ
فَذَاكَ مِنْكَ يَا أَخِي أَوْلَى بِهِ
إِنْ قُبِلَتْ وَاهَا لَهَا وَوَاهَا
انْفَعُ بِهَا وَصَفَّهَا لَوَجْهِكَ
إِنْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ لَهَا فَمَنْ لَهَا
رَبِّي الْحَفِي وَأَنْتَ لِي وَلِي وَلِي
جَهَلْتُ مَا أَنَا لَهُ فِي يَوْمٍ غَدُ
كُونِي فَكَانَتْ رَوْضَةً مُحَلَّلَا
وَالْحُبُّ وَالتَّعْظِيمُ مَا صَبُّ رَنَا
أَفْصَحَ كُلِّ نَاطِقٍ بِالضَّادِ
مَعَادِنِ التَّقْوَى وَنُورِ السَّارِي

المقدمة	٣
المجلس الأول	٧
دواعي العناية بالأدب وشواهد تأثيره	١١
١- الإسلام رفع شأن الأدب	١١
٢- الأدب يعين على فهم القرآن	١٦
٣- الأدب واللغة عنوان الهوية	١٨
المجلس الثاني	٢٠
٤- الأدب يحمل على الاتصاف بالكمالات	٢٢
٥- الأدب يزيد في العقل ويحيي الفكر	٢٤
٦- الأدب يرفع الوضع	٢٩
المجلس الثالث	٣٥
٧- الأدب يضع الرفيع	٣٦
٨- الأدب ينزع الغضب	٤٢
المجلس الرابع	٥٣
٩- الأدب يثير الأحقاد	٥٤
١٠- الأدب يُكسب حسن البديهة	٥٦
المجلس الخامس	٦٦
١١- الأدب يُثمر السلامة من اللحن	٦٨
١٢- الأدب تُحمى به الأعراض ويُذَبَّ به عن الأنساب	٧١

٧٢	١٣- الأدب يُخَلِّدُ المفاخر
٧٤	١٤- الأدب يُمِضِي الشفاعات
٧٨	١٥- الأدب يستنجز ما تأخر من الصِّلات
٨٠	المجلس السادس
٨١	١٦- الأدب ترويح للقلوب وإجمام للنفوس
٨٢	مزاح الصحابة والأئمة
٨٧	أخبار الحمقى والمغفلين
٩٢	المجلس السابع (شعر العلماء وأدب الفقهاء (١))
١٠٣	المجلس الثامن (شعر العلماء وأدب الفقهاء (٢))
١٢٠	المجلس التاسع (شعر العلماء وأدب الفقهاء (٣))
١٣٤	المجلس العاشر (شعر العلماء وأدب الفقهاء (٤))
١٤٥	المجلس الحادي عشر (العصر الجاهلي)
١٦٢	المجلس الثاني عشر (عصر صدر الإسلام)
١٨٨	المجلس الثالث عشر (العصر الأموي)
٢٠٤	المجلس الرابع عشر (العصر العباسي (١))
٢٢٠	المجلس الخامس عشر (العصر العباسي (٢) - عصر الدول المتتابعة)
٢٣٩	المجلس السادس عشر (الشعر في الأندلس - العصر الحديث)